

أهداف التربية الإسلامية

مركز أبحاث الحوزة والجامعة

تعريب: السيد حسن علي الهاشمي

جامعة المصطفى العالمية/فرع العراق


بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة / فرع العراق

عنوان و نام پدیدآور:	اهداف التربیه الاسلامیه / تالیف مرکز ابحاث الحوزه و الجامعه.
مشخصات نشر:	قم: مرکز بین المللی ترجمه و نشر المصطفی صلى الله عليه وآله، ۱۳۹۳.
یادداشت:	بصورت تک جلد با ترجمه السید حسن الهاشمی منتشر می‌شود
عنوان قراردادی:	اهداف تربیت از دیدگاه اسلام. عربی
موضوع:	اسلام و آموزش و پرورش
موضوع:	اسلام و آموزش و پرورش -- هدف‌ها و نقش‌ها
شابک:	۵-۲٦۹-۱۹۵-۹٦٤-۹۷۸
فروست اصلی:	مرکز پ ۱۹۸/۲۹۱/۱۳۹۳
فروست فرعی:	نمایندگی عراق / ٤
رده بندی دیویی:	۲۹۷/۴۸۳۷
رده بندی کنگره:	BP۲۳۰/۱۸/الف۹۰۴۳ ۱۳۹۳
شناسه افزوده:	الهاشمی، السید حسن علی
شناسه افزوده:	جامعة المصطفى العالمية. مرکز ابحاث الحوزة و الجامعة
وضعیت فهرست نویسی:	فیپا
شماره کتابشناسی ملی:	۳۶۷۴۶۴۲

أهداف التربية الإسلامية

مركز أبحاث الحوزة و الجامعة

تعريب:

السيد حسن علي الهاشمي



مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر

أهداف التربية الإسلامية

تأليف: مركز أبحاث الحوزة و الجامعة

تعريب: السيد حسن علي الهاشمي

الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ / ١٣٩٣ش

النّاشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر

● **المطبعة:** نارنجستان ● **السّعر:** ١٥٠٠٠٠ ريال ● **الكميّة:** ٣٠٠

● ايران، قم، شارع معلم الغربي (شارع الحجّتية)، هاتف: ٩ - ٠٢٥٣٧٨٣٩٣٠٥ ٩٨+

● ايران، قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالاريّة هاتف: ٢٥٣٢١٣٣١٠٦ ٩٨+ فكس: ٢٥٣٢١٣٣١٤٦ ٩٨+

pub.miu.ac.ir mnup@pub.miu.ac.ir

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل تنضيد الحروف والمقابلة الطباعة والنشر حتى مراحله الأخيرة.

● مدير مركز النشر: عباس ثقفي
● مدير الإنتاج: روح‌الله سلماني
● المشرف على الإنتاج: جعفر قاسمي الأبهري
● المشرف الفني: محمدباقر شكري
● مصمم الغلاف: مسعود المهدوي
● المشرف على الطباعة: نعمت‌الله يزداني
● الإعداد الفني: محمد خسرويگر
● الإخراج الفني: محمد خسرويگر
● المراجعة: الموسوي
● المقابلة الفنية: محمد خسرويگر

كلمة الناشر

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾.[1]

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

لقد شهدت دائرة العلوم الإسلامية على اختلاف موضوعاتها وأغراضها عبر تاريخها الطويل، اتّساعاً واضحاً ونموّاً مطّرداً، صاحبَهَا ازدهارٌ مشابهٌ في العلوم الإنسانية، وفي الفكر، والثقافة والتعليم، والفن والأدب.

وقد ازدادت هذه العلوم نشاطاً وحيويّةً وعمقاً وشمولاً بعد انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخمينيقدس سره، وتصاعدت حركة أسلمة العلوم، وتركيز القيم الدينية والروحية والإنسانية، بعد تزايد الحاجة الماسّة إلى إيجاد الحلول للمشاكل والاستفهامات الدائرة في شتّى الموضوعات الاجتماعية والسياسية والعقائدية، في ظلّ المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمجتمع، وانتشار شبهات العولمة والفكر الإلحادي، وحتى التكفيري المتطرّف، بخاصّةٍ بعد ثورة الاتصالات الكبرى التي هيّأت للعالم فرصة فريدة للاطلاع الواسع بما يحيط به.

---

1. الكهف: 1.

من هنا دعت الحاجة إلى وضع مناهج للبحث والتحقيق، واستخلاص النتائج الصحيحة في كلّ علمٍ من علوم الشريعة: في التوحيد، والفقه، والأصول، والفلسفة، والكلام، والحديث، والرجال، والتاريخ، والأخلاق والنفس، والاجتماع، وغيرها؛ لتوقّف سعادة الإنسان عليها في الدنيا والآخرة؛ ولتحقيق الغرض العبادي الذي خُلق الإنسان من أجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[1]

فقامت في الحوزة العلمية حركة علمية كبرى بتوجيه من قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي (دام ظلّه) وجهود الفقهاء والعلماء والمفكّرين، والعمل الجاد وبذل غاية الوسع، من أجْل بناء صرح علمي ديني رصين، وصياغة مناهج جديدة تُعنى بعلوم الشريعة، وعموم حقول المعرفة الإسلامية والإنسانية.

وأخذت جامعة المصطفى ﷺ العالمية على عاتقها المساهمة الفعّالة في صياغة كثير من المناهج الدراسية، التي تنسجم مع تصاعد الحركة العلمية والثقافية الحديثة.

فأسست (مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر) لينهض بنشر هذه الآثار العلمية وتقديمها لطلاب العلم وروّاد المعرفة.

نأمل أن تأخذ هذه الآثار مكانها في المكتبة الإسلامية، وتلقى جميل الأثر، وحسن الردّ من رجال العلم والفضيلة؛ بأن يرسلوا إليها بما يستدركون عليها من نقص، أو خطإٍ يفوّت جهد المحقّق الحصيف، والمؤلّف الحريص.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم، تقدّم مركز **أبحاث الحوزة والجامعة**، و قام بترجمته إلي العربية الأستاذ السيد **حسن علي الهاشمي** جاء متّسقاً مع أهداف الجامعة، ومفردة من مفردات مناهجها الدراسية المترامية الأطراف.

---

١. الذاريات: ٥٦.

يتقدّم (مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر) بوافر الشكر لمترجمه الكريم على ما بذله من جهد وعناية، ولكلّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب، وتقديمه للقرّاء الكرام.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد وهو من وراء القصد.

مركز المصطفى ﷺ العالمي
للترجمة والنشر

الفهرس

القسم الثاني: الأهداف العامّة (الوسيطة)

المقدّمة

اسم ترك إنّ الكتاب الذي بين أيديكم هو الجزء الثاني من سلسلة *مدخل إلى التعليم والتربية الإسلامية*، ويتضمن الطرح العام لـ «أهداف التربية الإسلامية» والأبحاث المرتبطة بها. وقد تمّ إعداد هذا المشروع على أساس الدراسات الشاملة التي قامت بها هيئة العلوم التربوية في لجنة التنسيق بين الحوزة العلمية والجامعة. وقد اشتمل الجزء الأول من هذا الكتاب على تعريف التربية والتعليم، والمسار التاريخي لها، وموضوعها. وفي هذا الجزء سنتناول بحث الأهداف التربوية.

ومن الضروري ـ قبل كل شيء ـ أن نشرح باختصار بعض المسائل الموجودة في هذا الكتاب:

١. لم يكن المنظور في هذا الكتاب هو تنظيم وتبويب الأهداف طبقاً للمفهوم الخاص المتّبع في العلوم التربوية، بل إننا نظرنا إلى هذه الأهداف من زاوية الرؤية الإسلامية.

٢. لقد رأينا أن نطرح العديد من الآراء، وبعد البحوث المطولة والدقيقة تمّ إعداد الطرح الفعلي لهذا الكتاب. وفي هذا الطرح تمّ تقسيم الأهداف إلى

مجموعتين، هما: الأهداف الغائية، والأهداف العامة. وقد كان بحث الأهداف العامة ضمن أربع مقولات، وهي:

علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان بالآخرين، وعلاقة الإنسان بالطبيعة. في هذا التبويب وقد اتبعنا في هذا التبويب منهج السيد الشهيد محمدباقر الصدر في كتابه *الفتاوى الواضحة*، وكذالك منهج الأستاذ الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي في بحوثه الأخلاقية. وبطبيعة الحال كان هناك في جميع المناهج المقدمة ـ بما في ذلك منهج هذا الكتاب ـ بعض التداخلات، بيد أننا وجدنا هذا المنهج في نهاية المطاف أفضل من غيره من حيث الجامعية والشمولية والوضوح والمتانة والبساطة.

٣. تمّ تقسيم جميع أبحاث هذا االكتاب إلى قسمين عامين: ففي القسم الأول بحثنا مفهوم الهدف، وتبويبه، والملاكات في تحديد الأهداف، ونوع تبويبها من خلال دراسة تحليلية، وفي الختام تم بحث الأهداف الغائية من وجهة نظر الإسلام. وفي القسم الثاني قُمنا ـ على أماست الاعتماد على المباني ـ والمصادر الدينية ـ بتقسيمات فرعية بغية استنباط الأهداف واستخراجها منها.

٤. إن ميزة التحقيق الذي أنجزته الهيئة الآنفة الذكر والتي تمّ تلخيصها في هذا الكتاب، تكمن في الأمور الآتية:

أولاً: إنّ تنظيم أهداف التربية الإسلامية بهذه الجامعية والشمولية يعد الخطوة الأولى في هذا المجال.

ثانياً: لقد كان الاستناد ـ في جميع الأبحاث ـ إلى المصادر الإسلامية الموثوقة والمعتبرة، بالإضافة إلى الآيات القرآنية والروايات.

ثالثاً: لقد تمّ إنجاز هذا التحقيق بشكل جماعي وبمشاركة أساتذة الحوزة العلمية والجامعة.

٥. لقد أحجمنا ـ في هذا الكتاب ـ عن الخوض في البحوث المقارنة بالأفكار والمدارس الأخرى، مكتفين بالآيات القرآنية والروايات باعتبارها هي المصدر الرئيس.

٦. من الممكن أن يكون هذا الكتاب مصدراً للطلاب في مرحلة البكلوريوس والماجستير والدكتوراه، بخاصةٍ في حقل الفلسفة، وتاريخ التربية والتعليم والتربية الإسلامية، كما يمكن لغير هؤلاء ـ بطبيعة الحال ـ من الباحثين في حقل التربية والتعليم الإسلامي أن يستفيدوا من هذا الكتاب أيضاً.

وفي الختام نرى من الواجب علينا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والتقدير الكبير لسماحة الدكتور علي محمد كاردان على مراجعته بحوث هذا الكتاب، وحضوره في اجتماعات الهيئة العلمية، وما تفضّل به من مقترحات نافعة، وكذلك نتقدم بجزيل شكرنا إلى الأخ الفاضل سماحة السيد شهاب الدين مشايخي الذي قام بتقويم النص من خلال إعادة قراءته وكتابته وتنقيح محتواه، وكذلك نتقدم بالشكر الجزيل لكل الإخوة المسؤولين الكرام في مكتب التعاون والتنسيق ومنظمة (سمت). ونتمنى من الإخوة الباحثين والمحققين أن لا يبخلوا علينا بتوجيهاتهم ونصائحهم القيّمة.

هيئة العلوم التربوية

القسم الأول

مفهوم الهدف والتبويب وماهيّة الهدف الغائي في المنظور الإسلامي

الفصل الأول

مفهوم الهدف وملاك تحديده

مفهوم الهدف والمفردات المرادفة له

يتضح من خلال التدبّر في المعاني اللغوية لكلمات من قبيل: الهدف والقصد، والغاية، أنّها تشتمل بأجمعها على مفهوم «إتمام العمل وإنجازه». مع فارق أنّ الغاية النهائية تارة تتعلّق بأمر خارجي من قبيل الهدف في الرماية أو المقصد الذي يريد المسافر بلوغه، وهو الذي يسمى بـ «الهدف» و«الغاية»، وتارة يكون أمراً ذهنيا أو وجدانياً من قبيل: الشعور باللذة والمتعة عند شمّ الرياحين، وهو الذي يسمى: بالقصد والغرض والدافع والشوق[1].

أ) معنى الهدف لغة: مرمى السهم، وكلّ شيء مرتفع ومُشرع.

ب) معنى الغرض لغة: الشوق والدافع والإرادة، ومرمى السهم.

ج) معنى القصد لغة: الاعتدال، وإرادة القيام بفعل، والتعمد والعمد، والطريق الصحيح والمستقيم.

د) معنى الغاية لغة: إتمام العمل وإنجازه، والهدف والغرض، والمقصود، والراية.

---

١. وبطبيعة الحال فإنّ الهدف والغاية كلمتان تستعملان أيضاً للدلالة على معنى الدافع والقصد أيضاً، كما يستعمل القصد والغرض في معنى الهدف الخارجي أيضاً.

إنّ المعاني المشتركة بين مفردة الـ (intention)، و(purpose)، و(goal)، و(objective)، و(aim)، عبارة عن الهدف والمقصود والنقطة والنهاية التي يبلغها السهم، أو الشيء الذي يروم الإنسان أن يبلغه من وراء سعيه ومجهوده. وربّما أمكن القول إنّ لفظ «الهدف» قد استعمل أول الأمر لمرمى السهم، ثمّ -بالالتفات إلى أنّ «مرمى السهم» يكون ملازماً لوضعه في مكان مرتفع ومشرع- شاع استعماله في هذا المعنى بشكل عام. ومن ناحية أُخرى حيث يُؤخذ المرمى بنظر الاعتبار والاهتمام أولاً، ثمّ يصار إلى رمي السهم وإصابته لذلك الهدف، فقد استعمل هذا المصطلح في مفهوم «النهاية»، و«إتمام العمل»، و«الغرض»، و«الدافع من وراء الفعل». كما أن مفردة الغرض والغاية تشتمل على هذه المعاني أيضاً، وعليه فهناك من الناحية اللغوية نوع من الترادف بين هذه المفردات.

هذا وقد ذكر بعض المحققين أربعة معاني لمفردة «الهدف»[١].

١. السلوك الوظيفي: عندما يقال: «إنّ الغاية من مهاز الكلية، هي تصفية الدم» لا تكون هناك إشارة صريحة إلى عنصر هادف، ولذلك يمكن استبدال كلمة الغاية بكلمة وظيفة. إنّ المفاهيم الوظيفية تلفت انتباه الفرد إلى سهم عضو أو تيار ضمن نشاط أو مجموعة كاملة.

٢. سلوك التنظيم التلقائي: تصوروا منظومة للسيطرة يتمّ فيها ترميم كل نوع من الجنوح عن شرائط الجودة من خلال آلية ترميمية تعمل بشكل تلقائي. من قبيل: أنظمة تعديل مقياس حرارة الجسم بواسطة قياس دفق الدم -وهو من أنظمة التعديل الحيوي في جسم الإنسان- أو نظام التوجيه الصاروخي الذي يبحث عن الهدف بتوجيه من جهاز الرادار أو الأشعة ما دون الحمراء. ففي هذه المنظومات يكون السلوك الغائي سلوكاً تتم السيطرة عليه بواسطة التآكل السلبي الناشئ من الاختلال في النظام.

---

١. *العلم والدين*، باربر، إيان: ٣٧١.

٣. السلوك الموجّه نحو الهدف: يمكن تعريف هذا السلوك بأنّه «الخضوع للهدف في ظروف مختلفة». إنّ هذا النوع من السلوك ليس ميكانيكياً لا يقبل المرونة، بل هناك مرونة عالية في اختيار أنواع الأعمال من أجل الوصول إلى الهدف، من قبيل سلوك الهرة عند محاولة إمساكها بالفأرة حيث تركز انتباهها على هدف خاص، وتحدد الطرق الممكنة للوصول إلى غايتها ومبتغاها.

٤. السلوك الهادف: تستعمل مفردة الهادف في موضع يكون فيه شوق وقصد وعقيدة تجاه هدفٍ ما. من قبيل سلوك الفرد تحت تأثير الأهداف الواعية.. جدير ذكره أنّ الناس ـ بما يتناسب وأهدافهم المستقبلية والحماسة التي يبدونها من أجل تحقيقها ـ يعملون بالشكل الذي يرونه هو الأفضل من أجل الوصول إلى أهدافهم.

المفهوم الفلسفي للغاية. تستعمل الغاية في الفلسفة في معنيين[١]:

أ) النتيجة والغاية حيثُ يقوم الفاعل المدرك بالفعل من أجل الوصول إليها، وتصوّر تلك النقطة الأخيرة التي تسوق الفرد نحو الهدف. ومن الزاوية الفلسفية تكون للغاية بهذا المعنى ثلاث خصائص، وهي: التصور السابق في الذهن، والتصديق بفائدته، واقترانه بنوعٍ من الشوق والرغبة.

ب) الغاية بمعنى النتيجة والنهاية التي تحصل بعد تحقق الحركة.

مفهوم الهدف في التربية والتعليم

إنّ الهدف في التربية والتعليم يعني الواقع النهائي والمناسب الذي تمّ اعتباره نافعاً بشكل واعٍ، ويتم القيام بأنشطة تربوية مناسبة من أجل تحقيقه

---

١. لمزيد من الاطلاع انظر: *الأسفار الأربعة*، الشيرازي: ١/ ٢٥١؛ صدر الدين، *شرح المنظومة*، السبزواري: ١٢٤؛ *الشفاء*، ابن سينا: ٤٤٨؛ *آموزش فلسفه*، مصباح اليزدي: ٢/ ٩٩.

والقيام بـه. وعلـى هـذا الأسـاس فـإن الأهـداف التربويـة تحتـوي علـى ثـلاث آليـات، وهـي: قيـادة الأنـشطة التربويـة، وخلـق الحـافز والـدافع لـدى الفـرد، وتقديم المعيار الناجع في تقييم الأنشطة التربويـة. وأنّ الخـصوصية المـشتركة في جميع الأهداف التربوية (الأهداف الغائيـة، والأهـداف العامـة، والأهـداف الخاصة والسلوكية)، هي أنّ هذه الأهداف نتيجة نـشاط واحـد أو العديـد مـن الأنشطة التربوية.[1]

خصائص الهدف. بالالتفات إلى ما تقـدّم مـن مفهـوم الهـدف، فـإنّ أهـم خصائصه عبارة عن:

١. **الاختيار:** حيث يتمّ القيام بالأفعال الاختيارية عن وعـي وإرادة، يكـون هناك نوع من التكّهن والانتخاب في جميعها، بمعنى أنّ ماهية الهـدف تـستلزم جزأي الوعي والإرادة. إذن، لا يكون للهدف من معنى إلّـا فـي دائـرة الأفعـال الاختيارية التي تـتم بـوعي وإرادة، وأمّـا خـارج هـذه الـدائرة حيـث لا تكـون الأفعال عن وعي ولا تكون مسبوقة بالإرادة فإنها ليست ذات معنى.

٢. **الـدافع:** حيـث إنّ الحـصول علـى الأهـداف يـضمن الحاجـة النفـسية وغيرها من حاجات الفرد، فإنّه يسير باتجاه الهـدف عـن شـوق ورغبـة. وعليـه فإن من بين أهم خصائص الهدف إيجاد الدافع لدى الفرد.

٣. **تحديد المسار:** لا شكّ في أنّه لا يمكن بلوغ الهدف من خلال سـلوك أي طريق أو منهج، بل من الضروري لبلوغ الأهداف من رسم مخطـط ونظـام مدروس. وعلى هذا الأساس لا بد ـ للوصول إلى الهدف ـ من وجود آليّة مـن قبيل: الإدارة والأنظمة وتحديد المسار.

العمل التربوي، والنشاط الاختياري: هـل يعتبـر كـلّ نـشاط يحتـوي علـى

---

١. لمزيـد مـن الاطـلاع انظـر: *مبـاني وأصـول آمـوزش وبـرورش*، شـكوهي: ١١٥؛ *اصـول آموزش وبرورش*، هشيار: ١٢؛ *فلسفة التربية والتعليم*، سمث: ٧٤.

تأثير تربوي، عملاً تربوياً؟ وما هو الركن الرئيس في النشاط التربوي؟ للإجابة عن هذين السؤالين يجب أولاً تعريف «النشاط التربوي» وبيان المراد منه. إن المراد من التربية والنشاط التربوي في إطار نظام التربية والتعليم مسار تشكّل الأنظمة ركنه الرئيس بغية الوصول إلى هدف تربوي. وطبقاً لهذا التعريف يمكن لنا أن نعتبر النشاط التربوي عملاً هادفاً، والقول: إنّ عناصر الوعي والإرادة دخيلة فيه. إن بالإمكان التكهن بتأثير النشاط التربوي، وكما يمكن تحديده وبيانه على أساس خصائص الهدف (من الاختيار والدافع والمسار). لو أنّ نشاطاً ترك أثراً تربوياً دون أن يكون له تخطيط أو قصد سابق، لا يمكن عدّه نشاطاً تربوياً. وتوضيح ذلك إنّ بعض الأنشطة والأفكار التي يمارسها الناس من قبيل (الآداب والتقاليد، والصحافة، ومشاهدة الأنشطة التلفزيونية وغيرها) والعوامل الطبيعية من قبيل (هطول الأمطار والثلوج، وحدوث الزلازل والطوفان، وما إلى ذلك) قد تترك تأثيراً تربوياً، في حين أنّه لم يتم التخطيط لها، ولم تكن هادفة، ولم يتم اعتبارها نشاطاً تربوياً. وعليه فإن المهم في البين هو ما كان له هدف تربوي. فإنّ النشاط الخالي من القصد التربوي حتى إذا كان مشتملاً على تأثير تربوي، لا يكون «نشاطاً تربوياً».

ضرورة تحديد الهدف: هل يمكن القيام بأمر دون الأخذ بنظر الاعتبار هدفاً محدداً؟ يجب القول في معرض الإجابة عن هذا السؤال: من وجهة النظر الفلسفية والنفسية إذا لم يكن لدى الإنسان حافز للقيام بعمل، فإنّه لن يقوم باتخاذ أيّ خطوة في هذا الاتجاه. بحسب المصطلح الفلسفي تسمى نتيجة العمل «غاية»، كما يسمى الدافع والحافز المسبوق بالوعي والإدراك لنتيجة ذلك بـ «العلة الغائية». وأنّ دور العلة الغائية في التحليل الفلسفي يكمن في خلق نوع من الشوق والرغبة الذاتية للقيام بفعل أو تركه. ففي علم النفس نجد أحد الأبحاث الهامة يتلّخص في بحث الحافز والدافع. يرى علماء النفس

أنّ أنواع السلوك التي تصدر عن الإنسان، ومن بينها: التعلّم؛ والإدراك والاستذكار، والتفكير، والإبداع، والحماسة، تحصل بتأثير من الحافز والدافع، وقد ذهبوا إلى الاعتقاد بأنّ الدافع يعمل على توجيه سلوك الإنسان، ويؤدّي به إلى الانتباه إلى الهدف من النشاط المنشود ومواصلة نشاطه. وطبقاً للتحليلات الفلسفية ودراسات علم النفس، فإن تحديد الهدف وتعيينه الدقيق تترتب عليه نتائج وآثار هامة على صعيد التربية والتعليم، ومن بينها النتائج الآتية:

١. معرفة الأساليب وإعداد الأدوات والوسائل المناسبة لرفع الموانع.

٢. التنسيق بين أنشطة مختلف العاملين في الحقول التربوية من قبيل: المعلمين والمدرسين، والمخططين، وواضعي المناهج الدراسية، ومدراء التربية والتعليم.

٣. خلق الحافز والدافع إلى مزيد من الحركة بغية الوصول إلى القصد والغاية.

٤. الحصول على معيار لقياس مدى نجاح النشاط التربوي وسعي النظام التعليمي، ولرفع النواقص وإعادة النظر فيها أحياناً.

الأهداف المناسبة للاختيار

إنّ أهمية الأهداف في استثمار الأنشطة التربوية تحتّم علينا أن نستفيد من معايير محددة من أجل الاختيار المناسب. وإنّ أهم هذه المعايير لفي:

١. أن تكون الأهداف التربوية متناسبة و«الكمال النهائي» للإنسان الذي هو من أهم الأهداف في حياته، بمعنى أنّ كلّ هدف يجب ـ في النهاية ـ أن يؤثر في تحقق الكمال النهائي للإنسان، وأن لا يكون مخالفاً له أبداً. من هنا يجدر أن تقوم علاقة وثيقة ومحكمة بين الأهداف التربوية الجزئية والهدف النهائي والأخير.

٢. أنّ الهدف التربوي إنّما يكون جديراً بالانتخاب إذا كان ـ في حدود الإمكان وبشكل معقول ـ مؤثّراً في ضمان الحاجات المتنوّعة (الداخلية والخارجية، والفردية والاجتماعية) للفرد، أو لا يكون له ـ في الحدّ الأدنى ـ

تأثير سلبي على شؤون الحياة إثر الاهتمام بشؤون الحياة الأخرى.

٣. أنّ من بين معايير تقييم الأهداف التربوية ، هو إمكان الوصول إليها وحيويتها. أنّ الالتفات إلى الحاجات الراهنة والمستقبلية للفرد والمجتمع ومقتضيات الزمان والمكان والأخذ بنظر الاعتبار الخلفيات الخارجية وتحديد الموانع والمشاكل يمكنه أن يكون مؤثّراً في تحديد إمكانية الوصول إلى الأهداف وحيويتها.

إنّ ما تم طرحه في معيار اختيار الأهداف، على الرغم من عدم قابلية إحرازه من خلال العقل البشري بشكل كامل، إلّا أنّ توظيف مصدر الوحي والدين يمكنه أن يلقي ضوءاً أمام العقل ليغدو بإمكانه النظر إلى الإنسان ببصيرة ورؤية أوسع وأعمق، وعلى ضوء هذا المصدر يتمّ توظيف المعطيات العقلية في دراسة المسائل الجزئية وتطبيقها على الأهداف الإنسانية السامية.

تطبيق أهداف التربية والتعليم على هدف الحياة:

ما هي العلاقة بين أهداف الحياة وبين أهداف التربية والتعليم؟ إنّ هدف الحياة هو إقامة التناغم والانسجام بين سلوك الإنسان وبين بنيته الوجودية. وإنّ هذه البنية تشتمل على عناصر فطرية. وإن عدم مراعاة الأطر الفطرية للإنسان بمنزلة الانحراف عن المسار الفطري لحياته. إن الإنسان من خلال اتخاذ التدابير الضرورية في نظام التربية والتعليم، وبالالتفات إلى المتغيرات الزمانية والمكانية وغير ذلك من مقتضيات الحياة اليومية، يسعى إلى المسير على هذا النهج الفطري، ويعمد إلى تنظيم برامجه التربوية لتكون منسجمة مع ذلك النهج. وعليه يمكن القول: هناك نوع من العلاقة الوثيقة بين هدف الحياة وبين أهداف التربية والتعليم في النظام التعليمي. بمعنى أنّ الهدف الغائي في التربية والتعليم هو ذات هدف الحياة، وإن الانحراف عنها يؤدي بالفرد إلى عدم بلوغ مقتضياته الفطرية، وأن لا يحصل على نصيبه من التربية والتعليم الصحيح.

هدفية العالم من منظور القرآن والعقل

اتفقت كلمة جميع المتكلمين والفلاسفة المتألهين على وجود غاية وهدف لعالم الوجود. حيث آمنوا بالأصل القائل إنّ للوجود هدفاً وغاية محددة، ورأوا أن النظم الحاكمة في الطبيعة دليل على وجود ناظم قادر وعالم[١]. إن هدفية الوجود تعني أن للوجود وظيفة محددة ومساراً قد تمّ تعيينه مسبقاً، وقد رسمه الله لجميع أجزائه، أي أن الوجود في ذاته يحتوي على غاية، وقد خلق بحيث يقوم بوظائفه المحددة له، وأن يسير باتجاه الغاية التي رسمت له.[٢]

وهناك في القرآن الكريم آيات متعددة تصرح بمختلف التعابير على وجود هدف من وراء هذا الوجود، من قبيل:

١. منح الكمال الوجودي لكل شيء وهدايته نحو الكمال، قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.[٣]

٢. هداية الكائنات إلى المصير الذي رسم لها، والغاية التي قدرت لها، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾.[٤]

---

١. إن من بين الأدلة المحكمة القائمة على وجود النظم في الوجود، استنباط القوانين من الروابط القائمة بين أجزاء الوجود، والقدرة على التنبؤ بالحوادث والوقائع على أساس هذه القوانين.

٢. إن المفهوم الصحيح لهدفية الحياة هو أن جميع الفواعل الطبيعية إنّما هي فواعل مسخَرة، وإن فوق فاعليتها فاعلية المبادئ العالية، وفوقها بأجمعها فاعلية الله تعالى، وبذلك يكون لكل الحوادث هدف وعلة غائية، ولكن لا في داخل الطبيعة، بل في ذات الفواعل ما فوق الطبيعية، وإن ما يتحقق في عالم الطبيعة هي غايات الحركات وليس العلل الغائية (*آموزش فلسفه*: ٢/ ١١٤).

ولمزيد من الاطلاع انظر: كليات الفلسفة؛ بابكين، ريتشارد هنري، وآروم استرول، *الأسفار الأربعة*: ٢/ ٢٧٧.

٣. طه: ٥٠.

٤. الأعلى: ٢ ـ ٣.

٣. نفي العبثية في الخلق، والتأكيد على أن عملية الخلق قامت على الحق[١]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾.[٢]

٤. والأهم من ذلك وصف «الصنع الإلهي» بـ«الحكمة»، وهذه الصفة تقتضي أن يكون الوجود هادفاً، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٣].

هدف حياة الإنسان من منظور القرآن

إن توظيف لغة الوحي في معرفة الهدف الكامن وراء حياة الإنسان، يضع أمامنا أُفقاً أوسع مما نتصوّر؛ لأنّ معرفة خصائص الإنسان كما يجب، لا تدخل إلّا في قدرة الخالق تعالى. إنّ القرآن عندما يتحدّث عن الهدف من خلق الإنسان ومسار حركته، يعتبره كائناً روحانياً، ويعمد إلى رسم مسيرته في الحياة على أساس من هذه الحقيقة. وإنّ تقسيم حياة الإنسان إلى مرحلة الحياة الدنيا، ومرحلة الحياة الآخرة يحكي عن هذه الرؤية، و أنّ على الإنسان أن ينتقل إلى مساحة أوسع من مساحة الحياة الدنيا، كي لا تكون معجزة الخلق أمراً عبثياً. قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[٤]. إذاً، فالأحرى أن يركز الإنسان انتباهه في هذه الحياة الدنيا على الجانب الأبدي من الحياة، ألا وهو الحياة الأخروية، ومن هنا نجد الله تعالى يقول: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾.[٥] ويمكن أن يأتي إثراء القوى الفكرية والحصول على التربية والتعليم الصحيحين، وكذلك توظيف

---

١. ص: ٢٧؛ الدخان: ٣٨؛ الأنعام: ٧٣؛ الجاثية: ٢٢؛ الأحقاف: ٤.

٢. الأنعام: ٧٣.

٣. الأعلى: ١ ـ ٣.

٤. المؤمنون: ١١٥.

٥. الضحى: ٤.

النعم الموجودة في هذه الحياة الدنيوية في إطار الالتفات إلى الحياة الأبدية وتنظيمها على هذا الأساس.

من وجهة نظر القرآن فإنّ الإنسان السعيد هو ذلك الذي يسعى إلى الاقتراب من الله ويعبده حق عبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[١]. وبطبيعة الحال فإن عبادة الله لا تعني نفي الاستفادة من نعم الدنيا، وإنما تعني أن على جميع المظاهر والقوى الفكرية والطاقات الكامنة في وجود الإنسان أن تنظر إلى هدف واحد وهو الله سبحانه وتعالى، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢]. وقال الله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣]. وطبقاً للمصطلح القرآني فإنّ الإنسان الكامل، هو ذلك الذي يحصل على القرب الإلهي، ومن هنا فإن الهدف من الحياة من وجهة نظر القرآن هو العبودية، وبالتالي القرب من الله[٤].

أسس تحديد أهداف التربية والتعليم

إنّ من المسائل الهامة في البرامج التربوية تعيين الأهداف في الحقل التربوي. وإن الالتفات إلى حاجة الإنسان ـ الذي هو موضوع التربية ـ يشكل على الدوام مصدراً هاماً، بل مصدراً وحيداً لاختيار الأهداف التربوية. وإن المصادر المؤثرة في معرفة هذه الاحتياجات على ثلاث طوائف، وهي: العلم والفلسفة، والدين. وأنّ كل واحد من هذه المصادر الثلاثة يمكنه أن يكون

---

١. الذاريات: ٥٦.

٢. الأنعام: ٧٩.

٣. الأنعام: ١٦٢.

٤. لمزيد من الاطلاع راجع: مرتضى، *هدف زندكي*، المطهري؛ *معارف قرآن*، مصباح يزدي؛ *فلسفة وهدف زندكي*، الجعفري.

أساساً لاختيار الأهداف التربوية ورفع الاحتياجات الإنسانية. وبالطبع فإن التعرف على الطاقات الإنسانية وجميع شؤون الإنسان الوجودية تستلزم توظيف هذه المصادر الثلاثة بأجمعها، وأن التمسّك بواحد منها لا يكفي لتلبية جميع الاحتياجات الإنسانية. ومن هنا فإن استحكام الأسس التربوية إنّما يحصل من خلال الالتفات إلى جميع النواحي الوجودية لدى الإنسان، والاستفادة مِمّا جاء في المصادر الثلاثة بما يتناسب ورفع حاجاته وبيان الأهداف التربوية.

١. الأسس العلمية

كلما رسا الحديث حول الرجوع إلى الأسس العلمية في تحديد الأهداف التربوية، طرح هذا التساؤل نفسه حيث يقال: ما هي احتياجات الإنسان، وأيّ منها يتكفّل العلم برفعه؟ إنّ العلم ـ بالنظر إلى رؤيته الخاصة في كشف العلاقات الدقيقة بين جزئيات الأمور ـ إنّما يستطيع الخوض في مرتبة من مراتب الاحتياجات الإنسانية التي تقع في مستوى جزئي وأدنى من احتياجاته الأساسية؛ لأنّ العلم ـ بلحاظ ماهيته ـ قد تمّ حصره ضمن نطاق وحدود التجربة المادية، وإنّ مسائل من قبيل: الوجود، والقيَم، والإنسان والمعرفة، خارجة عن دائرته. في حين أننا بحاجة إلى هذه المحاور في تحديد الأهداف التربوية الغائية من خلال التمسك بالفلسفة والدين. كما لا بد من الالتفات إلى أنّ ضمان وتلبية الاحتياجات الأولية من طريق المعطيات العلمية، وشرائط الارتقاء إلى المراتب العليا، ورفع الاحتياجات الأهم يأتي من خلال الاستعانة بالفلسفة والدين. ومن دون الاستفادة من المعطيات العلمية لا يمكن توفير الأرضية اللازمة للوصول إلى الأهداف الناظرة إلى الاحتياجات الفلسفية والدينية.

إنّ العلوم التي تقع مورداً للاستفادة المباشرة في العثور على الأهداف التربوية، هي العلوم التي تبحث في حاجة الإنسان الجسدية والنفسية، وتسعى إلى بيان الآلية الوجودية للإنسان من خلال الالتفات إلى هاتين الناحيتين. من هنا فإن مختلف فروع علم النفس (ومن بينها علم النفس العام، والتنمية، والتعليم، والإدراك، والإثارة، والشخصية، وعلم النفس الاجتماعي) وكذلك سائر العلوم الاجتماعية من قبيل: علم الاجتماع (الشامل لمعرفة الآفات الاجتماعية، وعلم الاجتماع التربوي والتعليمي وما إلى ذلك) يمكنها التأثير بشكل مباشر في تحديد الأهداف التربوية.

٢. الأسس الفلسفية

رغم ما للفلسفة من التعاريف المختلفة، وعلى الرغم من الفهم المختلف بشأنها، إلّا أنّها على كلّ حال تحتوي على خصيصة محددة، وهي أنّها تعمل على تحليل المسائل التي يتعذر إثباتها من طريق العلم والأدوات المخبرية والأساليب التجريبية. إنّ المنهج الفلسفي أسلوب عقلي، وإن الفلاسفة يسعون على الدوام ـ من خلال الدراسات الانتقادية الدقيقة ـ إلى تقييم عقائد البشر حول الكون بأسره وما غَيوب من أسرار بما فيه الإنسان نفسه، ومساعدة الإنسان من خلال تقديم إطار محدد لهذه الأمور، ليكوّن إدراكاً صحيحاً عن العالم والإنسان، ولكي يسعى إلى تنظيم أفعاله وسلوكه.

لقد لعب الفلاسفة أهم الأدوار في تأسيس المذاهب والمدارس التربوية. فقد سعوا ـ من خلال تقديم نظام محدد مستوحى من طريقة تفكيرهم حول العالم والإنسان والمعرفة وغيرها، ـ إلى بيان الأفكار والآراء التربوية. وفي الحقيقة فإن جميع الذين أسهموا بنحو من الأنحاء في تحديد المذاهب والأهداف التربوية، إما أنّ يكونوا أنفسهم من الفلاسفة، أو أن يكونوا أتباعاً

للفلسفة السائدة على ثقافة عصرهم، وأنّهم كانوا بنحو من الأنحاء متأثرين بنوع من الآراء الفلسفية فيما يتعلّق بالأفكار والأهداف التربوية. لقد ترك الفلاسفة بتدوين ـ الأهداف الفلسفية وبسط الآراء التربوية ـ تأثيراً في مسار التربية، بحيث أننا اليوم نجد أنفسنا ملزمين بتبنّي بعض الأسس الفلسفية من أجل اختيار الأهداف التربوية.

فما لم يتضح رأينا الفلسفي بشأن مفاهيم من قبيل: الكون والطبيعة والإنسان والمعرفة والقيَم وأمثال ذلك، لن يكون بإمكاننا أن نقيم مذهباً تربوياً، والبحث عن أهداف خاصة للتربية. لأن معيار تحديد الهدف في مستوى عام رهن بنوع رؤيتنا إلى هذه الأمور، وما لم نعمل على إيضاح هذه المسائل فإننا نبقى في ضياع وتخبّط. إنّ دور الأفكار الفلسفية الملحوظ في تكوين الأهداف التربوية، من السعة بحيث نجد حتى أولئك الذين يبحثون عن الفلسفة ضمن أساليب وأُطر التحليل اللغوي، ولا يرون لها أي دور في بسط وتقديم الحلول، يعملون على توظيف سلسلة من الفرضيات العامة المسبقة في دائرة أفكارهم التربوية.

إنّ المسائل التي يجب على المتخصّص في حقل التربية والتعليم أن يدركها بشكل دقيق كيما يمكنه الخوض في تحديد الأهداف، عبارة عن: مسائل معرفة الكون والعوالم ذات الصلة بالإنسان (الإنسان والمعرفة والقيَم). وعليه يمكن تلخيص الأسس الفلسفية لتحديد الأهداف التربوية ضمن الأُطر الأربعة الآتية:

أ) علم المعرفة: إنّ من بين الأبحاث المهمّة التي تتمّ دراستها طبقاً للمنهج الفلسفي، هو بحث علم المعرفة. فعلماء المعرفة وأغلب الفلاسفة ـ عند تناولهم هذا البحث ـ يعمدون إلى دراسة مسائله من خلال تقييمها ورصد مقدار صدقها ومدى مطابقتها للواقع. وإن من بين الأمور التي تخضع للدرس بشكل دقيق ضمن هذا الإطار هو السؤال القائل: هل هناك واقع وراء ذهن

الإنسان؟ وهل يمكن معرفة الواقع كما هو موجود خارج الذهن؟ وهل يمكن للأفراد أن ينقلوا تجاربهم الشخصية إلى الاخرين؟ إنّ الإجابة عن هذه التساؤلات يفتح الطريق أمام حل أكثر المسائل التربوية؛ لأن التربية والتعليم إنما يؤتيان ثمارهما ويُعطيان نتائجهما عندما يتمّ وضعهما على أرض صلبة وقرار مكين بعد حل مسائل علم المعرفة.

وقبل كلّ شيء لا بدّ من الإجابة عن السؤال القائل: ما هو أساس المعرفة البشرية؟ وعلى ماذا تقوم هذه المعرفة؟ وهل يمكن ادّعاء امتلاك «الاعتقاد الصادق»؟ وبعد حلّ هذه المسائل يمكن لنا مباشرة التعليم؛ لأنّ أهم ركن في التربية والتعليم، هو إدراك ونقل المفاهيم الناشئة عن الواقعيات الخارجية. فمن باب المثال: إن الاختلاف في الرؤية المعرفية بين المذهب (المثالي)[1] والمذهب (الواقعي)[2]، ينعكس على نوع التدريس والتعليم. فالمثاليون يرون مكانة خاصّة وقيمة كبيرة للعقل والذهن. وقد ذهب كل من إفلاطون وسقراط إلى الاعتقاد بأن المعرفة الحقيقية لا تحصل إلّا من خلال العقل؛ لأنّ العقل قابلية ذهنية حيث يمكن من خلاله الوصول إلى كنه الأشكال المعنوية الكامنة وراء الوجود المادي للأشياء. قال (هيجل) ـ بوصفه من المنتسبين إلى المذهب المثالي ـ إنّ المعرفة إنما تكون معتبرة إلى حدّ ما إذا كانت تشكل نظاماً، وحيث إنّ الواقعية الغائية تشتمل على ناحية عقلية منتظمة، فإن معرفتنا القائمة على الواقعية ستكون معرفة حقيقية بالحدّ الذي تستطيع معه أن تكون منتظمة. وأما (كانت) وأغلب المثاليين الجدد فيذهبون إلى الاعتقاد بأنّ أساس المعرفة هو تنظيم المعلومات التي يتمّ جمعها عبر الحواس. ومن جميع هذه الآراء يمكن لنا أن نستنبط أنّ للتلميذ في هذه الرؤية محورية في أمر

---

1. idealism
2. realism

التعليم والتدريس؛ لأنّ بيان سلسلة من المعلومات ـ دون القيام بأي نشاط ذهني بشأنها ـ لا يمكنه أن يضمن رأي المثالي في حقل النشاط الذهني والعقلي. من هنا فإنهم يعتبرون أن أفضل أنواع المعرفة هي تلك التي تنبثق عن التلميذ دون تلك التي يتم إقحامها في ذهنه. وبعكس ذلك في الرؤية المعرفية عند المذهب الواقعي، حيث لا يكون التأكيد على العقل والذهن وتأصيلهما، ولا يعدّ العالم الخارجي عالماً غير واقعي يحتاج إلى ترميم وخلق في الذهن. من هنا فإنّ الواقعيين يرون أهمية كبيرة للمعلومات الحاصلة من خلال الحواس. فمن وجهة نظرهم أنّ القضية إنّما تكون صادقة إذا تطابقت مع خصائص العالم التي تدل على صحة توصيفها، وأنّ المعرفة الصائبة هي المعرفة التي تنطبق على العالم كما هو. ومن وجهة نظر الواقعي أنّ أهم وظائف التعليم تكمن في إظهار مجموعة مختارة من المعرفة التي تم تجميعها من قبل البشر، لتعرض على المتعلم. وعليه فإن الابتكار في التربية والتعليم يقع على عاتق المعلم أو الناقل للثقافة. والمعلم هو الذي يجب أن يأخذ القرار في قاعة الدرس بشأن محتوى الدرس، وليس الطالب. ومن ناحية أخرى فإن الفلسفة المعرفية العملية تقوم على أساس المعرفة الحاصلة من العمل، وأنّ العمليون يرون أنّ الحقيقة هي المعرفة العملية التي هي بدورها حصيلة التعاطي بين الإنسان ومحيط حياته، وبالتالي فإنّهم يعتقدون بأنّ على كلّ من المعلم والطالب ـ بدلاً من اتباع الصيغة التقليدية للمحتوى الدرسي ـ أن يركزوا اهتمامهما على المعلومات التي ثبتت فائدتها وجدواها في حل المسائل الخاصة التي نتعاطى معها في حياتنا. وإن هؤلاء يعتقدون بأن الطالب ومطالبه واحتياجاته هي محور النشاط التعليمي؛ لأن التعليم بوصفه معرفة حاصلة من التقابل بين الذهن والعالم الخارجي، ليس أمراً مفتعلاً، وإنما هو جزء من الحياة.

ب) معرفة الوجود[1]: كما تقدم أن ذكرن، فإن مصدر الكثير من الآراء والغايات التربوية، يعود إلى الأفكار الفلسفية ومعرفة الوجود. إن موضوع معرفة الوجود هو «ماهية الواقعية» أو بعبارة أخرى «إظهار الواقع». فالفلاسفة ينظرون إلى الوجود كله بنظرة جامعة وعامة، ويسعون إلى تقديم نظام فلسفي قائم على الآراء المعرفية بشأن الوجود. ويختلف الفلاسفة في نوع رؤيتهم إلى العالم. فمنهم من ينظر إليه برؤية معنوية، معتبراً أن جميع المظاهر الموجودة في العالم المادي تعبر عن حقيقة غير مادية وأكثر تأصيلاً (من قبيل: هيجل وإفلاطون بوصفهما من الفلاسفة المثاليين). فمن وجهة نظر هؤلاء الفلاسفة تصبّ جميع جهود الإنسان حول مسألة التربية في الوصول إلى الأهداف المعنوية، وبلوغ الحقيقة التي تعدّ أمراً معنوياً ـ نظرية المُثُل عند إفلاطون، والروح المطلقة أو الخالدة عند هيجل ـ تشكلان محور جميع الأنشطة التربوية. بينما يذهب بعض الفلاسفة الآخرين إلى اعتبار الحقيقة النهائية أمراً مادياً، ويقولون: إنّ الأشياء الموجودة من حولنا تحضى باستقلالية وجودية، فهي ليست ظلالاً عن الحقائق المعنوية. ويتزعم أرسطو القائلين بهذا النوع من الآراء، حيث كان يسعى ـ في إطار الواقعية العقلية ـ إلى تقديم تفسير مختلف عن التفسير الذي ذكره إفلاطون بشأن الوجود.

وإلى جانب هذه الواقعية العقلية، هناك واقعيتان أخريان، وهما «الواقعية الدينية»، و«الواقعية الطبيعية» أو العلمية أيضاً. وبناءً على الواقعية الدينية فإن عالم المادة والروح رغم استقلالهما وعدم ارتباطهما ببعضهما، إلّا أنّهما ينبثقان عن مبدأ واحد، وهو «الله»، وأنّ الروح هي الوجه الأفضل والأسمى في الوجود. وأما الواقعية الطبيعية التي تحتوي على ماهية تشكيكية وتجريبية، فهي تقول: حيث إنّ

---

١. لمزيد من الاطلاع، انظر: *فلسفه آموزش وپرورش*، شعاري نجاد، علي أكبر؛ *فلسفه آموزش وپرورش*، فيلر، جورج اف؛ *فلسفة تعليم وتربيت*، شريعتمداري.

العالم من حولنا حقيقي، فإنّ من واجب العلم أن يدرس خصائصه دون الفلسفة، وإذا أرادت الفلسفة أن تدرسه وجب عليها أن تتخذ ماهية علمية. وأن الذين يتبنون هذا النوع من الاراء الفكرية، إما هم من المنكرين للأمور المعنوية، أو من الذين يذهبون إلى القول إنها غير قابلة للإثبات.

تختلف الأهداف التربوية في كُلٍّ... من الواقعية العقلية، والواقعية الطبيعية، والواقعية الدينية. فالذين يؤمنون بالواقعية العقلية أو الواقعية الطبيعية لا يعتقدون بغاية خالدة وأبدية في تصوير الحياة الإنسانية كما هو الحال بالنسبة إلى الواقعية الدينية. فإنهم لا يرون الطبيعة من صنع الله، وإنما يرومون مجرّد الكشف عن القوانين السائدة في عالم الوجود بغية الحصول على حياة أفضل، ويقيّمون الأهداف التربوية على هذا الأساس. وإن ضرورة التعقل، والوصول إلى النتائج المنطقية في التفكير وإدراك الروابط القائمة بين الظواهر المادية تعتبر من أهم الجوانب التربوية في الواقعية العقلية. وفي هذه الفلسفة يعتبر التعليم كاشفاً عن الروابط المهيمنة على عالم الوجود، وليست نوعاً من الاستذكار والإنتاج الفكري. ومن جهة أخرى فإنّ بعض الفلاسفة من أمثال (وليم جيمز) و(جون ديوي) كان لهما منهج عملي؛ إذ يذهبون إلى الاعتقاد: بأنّ عالم الوجود لا هو مرتبط بتصور الإنسان، ولا هو مستقل عنه. بل إنّ الواقعية عبارة عن التعاطي بين الإنسان والطبيعة، أو مجموع ما نحصل عليه من خلال التجربة. إنّ الذي تنظر إليه هذه الفلسفة بوصفه من الأهداف التربوية ليس هو مجرد الوصول إلى الحقيقة الخارجية، وممارسة الأمور المعنوية والروحية، بل هو الحصول على التجربة وجعلها محوراً في المراحل التربوية. وطبقاً لهذا المذهب يعتبر كلّ أمر لا يخضع للتجربة فاقداً للحقيقة.

بالالتفات إلى الاختلاف المحتدم بين الآراء الفلسفية، يمكن لنا الوقوف على اختلاف الرأي بشأن تحديد الأهداف التربوية. فكلّ واحد من الفلاسفة

يذهب ـ بالنظر إلى ما يتناسب ونوع رؤيته وفهمه للوجود ـ إلى تبنّي بعض الأهداف الخاصّة، وأنّ منشأ هذا الاختلاف في الآراء والأهداف التربوية ليس سوى الاختلاف في المباني والأسس التي تقوم عليها معرفة الوجود.[١]

ج) **المعرفة الإنسانية**: إن النمط الفكري الذي يحمله الفيلسوف عن ماهية الإنسان هو الذي يحدد مساره في تدوين الأهداف التربوية. من هنا فإن الفلاسفة ـ بالنظر إلى محورية الإنسان ـ يختلفون فيما بينهم في أمور من قبيل: ماهية الإنسان والتعريف الذي يقدمونه له، والطاقات والعوالم الإنسانية (من العقل، والعواطف والطبيعة الإنسانية)، واستقلال الإنسان أو تبعيته للمجتمع.

لا شك في أنّ إبداء الرأي حول كلّ واحد من هذه الموضوعات يمكنه أن يعكس آراء الفلاسفة بشأن الأهداف والآراء التربوية. من باب المثال: يذهب المثاليون (التوهميون) إلى الاعتقاد بأن الإنسان في ماهيته كائن مجرّد، ويتمتع بقوة الفكر والقدرة والحرية والإرادة، ويشعر في نفسه بالقابلية على البقاء بعد الموت، وتشكل ماهيته الذهن أو الروح. كما أنهم يقولون: إنّ القيَم الروحية للإنسان تترك تأثيراً قطعياً على أمور العالم، وإنّ كلّ شيء هو روحي أو عقلي أو معنوي قبل أن يكون مادياً. كما يعتقدون بأن سلوك الإنسان في ذاته هادف، وأنّه ليس تابعاً للمحركات الخارجية، وعليه فلا بد من البحث عن الدوافع الرئيسة للسلوك في داخل الإنسان. ومن ناحية أخرى فإن الواقعية تقف في الطرف المقابل للمثالية، فهي ترى حقيقة للأشياء الواقعة خارج دائرة ذهنية الإنسان، وتؤمن بوجودها المستقل. يرى الواقعيون أنّ العالم

---

١. إن التربية والتعليم يبحثان في... الآراء التربوية من خلال هذه الرؤية، حيث يسعيان إلى دراسة أسسها من الزاوية الفلسفية. وإن فلسفات من قبيل: التوهمية، والواقعية، والطبيعية، وأصالة العقل، وأصالة التجربة، والبراغماتية، والوجودية، والشيوعية، والفلسفة التحليلية، والنزعة الإنسانية العلمية تشكل جميعُها أساساً لعرض الآراء وتحديد الأهداف التربوية.

الخارجي حقيقة، ويذهبون إلى الاعتقاد بأنّ الإنسان يمكنه أن يدرك هذا العالم؛ لأن من أهم خصائص العقل أو الذهن البشري قدرته على استيعاب وهضم الأفكار المتنوعة وإقامة الارتباط بينها. إننا إذا أجرينا مقارنة بين هاتين الرؤيتين بشأن الإنسان، سندرك أن هدف التربية في المذهب الواقعي يكمن في تنمية وتكامل الذهن والذات، وإن الذي يكون هو المحور في التعليم هو الأنشطة العقلية، والأحكام الأخلاقية، ومعرفة الجمال، والحرية، والمسؤولية الفردية والسيطرة الشخصية. وإن هذا المذهب يهتم بالبحث عن الأهداف التربوية في العلوم الإنسانية أكثر من اهتمامه بالعلوم الطبيعية؛ وذلك لأن النشاط العقلي، وماهية وعي الإنسان أو ذهنيته، وكل ما يسمى ثقافة أو فناً أو أخلاقاً أو ديناً هو أقرب الأشياء إلى الحقيقة. وفي هذه الفلسفة يتم التأكيد على عظمة الروح الإنسانية بشكل خاص. وأنّ الهدف والغاية من التربية في هذا المذهب تكمن في إصلاح الإنسان دون حشو ذهنه بالمعلومات. ومن هنا يكون تفضيل الإنسان الصالح على الإنسان العالم.

ومن ناحية أخرى فإنّ المثالي يعتقد بالطبيعة الخارجة عن الذهن، ولذلك فإنّه يرى أنّ دراسة الروابط القائمة في الطبيعة واكتشاف قوانينها، من أهم الأهداف التربوية، ويذهب ـ في تحديد هذه الأهداف ـ إلى الاهتمام بأمرين، وهما:

١. التعويل على البحث العلمي والتفكير المنطقي فيما يتعلّق بالتجربة العملية.

٢. إقرار المواد والمناهج الدراسية المرتبطة بالعلوم الطبيعية بدلاً من العلوم الإنسانية والأدبية المحضة. إن الاختلاف في الرؤية بين هذين المذهبين ـ فيما يتعلّق بالمعرفة الإنسانية ـ يؤثّر حتى في طريقة التدريس والارتباط التعليمي أيضاً؛ إذ بناءً على المذهب المثالي يكون الطالب هو المحور في عملية التعليم، وكما تقدّم أن ذكرنا أنّ أفضل معرفة هي المعرفة التي يتوصل إليها الطالب، لا تلك التي يتم إقحامها في ذهنه إقحاماً. وأما في

الرؤية الواقعية فإن المعلم يكون هو المسؤول، وهو الذي يتعيّن عليه حث الطالب وتحفيزه إلى النشاط والعمل، ويعطيه الفرصة ويخلق له أجواء البحث والنقد وحب الاستطلاع.

د) **معرفة القيم**: إنّ الأسس الأخلاقية ومنظومة القيَم المتّبعة في كل فلسفة، تترك تأثيراً مباشراً في الآراء والأهداف التربوية. وإنّ موضوعات من قبيل: ثبات أو تغيّر القيَم، وخلودها أو مرحليتها، وكذلك خارجيتها أو ذهنيتها، إنما تستوحى من الرؤية المعرفية لدى الفلاسفة بشأن الوجود؛ لأنّ فهم كل مفكر للقيم سيكون مرتبطاً بفلسفته العامة. وأنّ لهذا الفهم تأثيراً مباشراً في الآراء التربوية، وأن لاختلاف الآراء المعرفية لدى الفلاسفة تأثيراً لا ينكر في تحديد الأهداف التربوية. فمن باب المثال: أنّ القيَم في المذهب المثالي ذات ماهية مطلقة وخالدة وغير قابلة للتغيير، حيث تتجلّى إما في وجود الله أو في الروح المطلقة. إن القيَم والأخلاقيات ليس لها صورة مطلقة من وجهة نظر القائل بالمذهب المثالي. إنّ الصلاح والحقيقة والجمال تنتقل من خلال الحفاظ على جوهرها الثابت من جيل إلى جيل، ومن مجتمع إلى مجتمع آخر، كما أنّها مفاهيم تعكس جانباً من الماهية الحقيقية للعالم.

تنعكس الرؤية المثالية على المسار التربوي وتعليم الطالب وتعريفه بالقيم الثابتة. إنّ هذا التعليم يتضمّن إيجاد التنسيق الوجودي بالكلّ المعنوي والروحي الأكبر المرتبط به. ومن ناحية أخرى فإن القيَم في المذهب العملي نسبية، وأنّ الأسس الأخلاقية تتغير تبعاً لتغيّر الثقافات والمجتمعات. إنّ هذه الرؤية تحكي عن أنه لا يجب اعتبار أي قانون أو أصل ملزماً أو عاماً لكلّ الناس في العالم دون الأخذ بنظر الاعتبار الأوضاع والأحوال التي يقع فيها النشاط. وفي هذا النظام ـ خلافاً للمذهب الواقعي ـ لا ينبغي تعليم الطفل القوانين العامة وغير القابلة للتغيير ، بل عليه أن يتعلّم كيفية اتخاذ أفضل

القرارات بالالتفات إلى إفضائها إلى أفضل النتائج. إن على المدرسة أن تعمد إلى تعميم التجارب التي تؤهل الفرد لحياة أفضل. إنّ التربية والتعليم مساران يؤديان بالشخص إلى السيطرة على أعماله، وأن يتعرف على نتائج أعماله وأعمال الآخرين. وبذلك تتسع بصيرته وتغدو أكثر عمقاً، وتمكنه من التنبّؤ بنتائج وتبعات أعماله.

وفيما يلي نشير إلى بعض المسائل الأخلاقية وارتباطها بأهداف التربية والتعليم:

أ) **ما هو معيار وجذور القيَم؟** إن الفيلسوف لا يعدد القيَم وما يعارضها، وإنّما يبين ملاكاتها وموازينها؛ فهو يقول مثلاً: «إن أساس القيم يكمن في الاعتدال، ويجب توجيه جميع الخطط وأهداف التربية والتعليم نحو هذا السمت». ومن ناحية أخرى فإن «مذهب اللذة» يرى أساس القيم في الانغماس في المتعة الحسية، والاحتراز عن العناء والألم. وعليه فهو ينتقي من الأهداف ما يضمن الحصول على اللذة والابتعاد عن المعاناة والألم. وهكذا إذا كان المفكر يرى جذور القيَم في العودة إلى الحياة البسيطة، فإنه سيختار أهدافاً تؤدي إلى نتائج في هذا الإطار. كما أن ملاكات أخرى من قبيل: حب الإنسان لنفسه، والاستئثار بالسلطة وما إلى ذلك تؤثر في اختيار الأهداف التربوية بشكل كامل. وعلى هذا الأساس فإن المعيار في انتقاء أهداف التربية والتعليم، هي القيم والمسائل الأخلاقية.

ب) **هل القيَم ثابتة ولا تتغير بتغير الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية أم أنها نسبية؟**

ج) هل للقيَم سلسلة مراتب أم لا؟ وأيّ القيَم تحضى بأهمية أكبر، هل هي القيم المعنوية أم المادية؟ أم القيم السياسية أم الاقتصادية أم الثقافية؟ واضح أنّ لهذا النوع من المسائل تأثيراً مباشراً في اختيار الأهداف التربوية، وأولوية بعضها على بعض، وتفريع بعضها على بعض.

٣. الأسس الدينية

تعود وظيفة الدين في تحديد أهداف التربية والتعليم إلى دوره في حياة الإنسان. لا شكّ في أنّ الإنسان والمجتمع الذي يحدد مسار حياته من خلال الانتماء إلى دين أو مذهب خاصٍ، لا يستطيع الاستغناء عن الأوامر والواجبات والمحرمات الدينية في انتخاب الأهداف التربوية. إنّ الثقافة الدينية التي تحكم الإنسان تمد جذورها الي جميع شؤون حياته. وإنّ التربية الدينية تلازم الطريق والنهج الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى الهدف والغاية من الحياة، وأنّ كلّ دين أو مذهب يرسم هذا الهدف بشكل مغاير للدين أو المذهب الآخر. فمن باب المثال: أنّ الدين الإسلامي ينظر إلى مسائل الحياة برؤية توحيدية. إذ يقوم اعتقاد المسلم على أنّ كمال الإنسان رهن بالتزاماته تجاه نفسه ومجتمعه وخالقه. وهو يعتقد بأن لحياة الإنسان بعداً أبدياً وخالداً يشكل أساس حياته، وإن سعادته تكمن في التزامه بالأبعاد الروحية من وجوده.

إن الدين يعمل على توجيه الرؤية الفلسفية لدى الفرد في التربية والتعليم، وبتبعها الأهداف التربوية. وأنّ الذي ينظر إلى عالم الوجود بنظرة إلهية، لا يستطيع أن يسلك في حياته سلوكاً مشابهاً لسلوك الملحد. فإن سلوك الموحّد مقتبس من التعاليم الإلهية وفي سياق يؤدي إلى هدوئه وطمأنينته المعنوية. خلافاً للفرد الملحد الذي يحصر الحياة في دائرة الرفاه والهدوء القائم على الإمكانات المادية، وهي إمكانات لا تستطيع مواكبته وإيصال النفع له لأكثر من عمره المحدود في الحدّ الأقصى.

الفصل الثاني

تبويب أهداف التربية والتعليم

سنبحث في هذا الفصل المفهوم العام لتبويب الأهداف التربوية، وتطبيقها على الأهداف التربوية في الإسلام. ولتحقيق هذه الغاية لا بدّ أولاً من إيضاح ما هو المراد من تبويب الأهداف التربوية؟ وما هي الناحية التي يرمي إليها تبويب الأهداف التربوية في الإسلام من نواحي حياة الإنسان؟ وما هو دور وفائدة هذه التبويبات في كلّ واحد من المجالات التحقيقية؟ وهل هناك تعارض وتنافر بين تبويب الأهداف التربوية ذات المنشا الديني الناظر إلى جميع نواحي الحياة وبين تبويب الأهداف التربوية في العلوم التربوية الناظرة إلى نواحي خاصة من وجود الإنسان، أم هناك تآلف وتعاضد؟ سنعمد في هذا الفصل إلى بيان ماهية أنواع التبويب وحقول توظيفها في مجال العلم والدين وارتباطها ببعضها.

مفهوم تبويب الأهداف التربوية من الزاوية الدينية والعلمية

إنّ المراد من تبويب الأهداف في العلوم التربوية غالباً هو التبويب التعليمي الخاص. وعلى الرغم من أنّ الأهداف التنموية لا تنحصر بالأهداف التعليمية (الأهداف السلوكية)، وإنّما تشمل الأهداف العامة أيضاً، بيد أنه عندما يأتي الحديث بشأن تبويب الأهداف في هذا العلم، يكون المراد هو

الأهداف الجزئية التي يتم الحصول عليها بعد نهاية كل مقطع ومرحلة تعليمية خاصة[١]. بمعنى أن الطالب ـ بعد اجتياز كل مرحلة دراسية محدّدة، ـ يحصل على الأهداف المتوقعة في تلك المرحلة. وفي هذا المفهوم يكون التبويب ناظراً إلى هدف خاص يتعلق بمرحلة وفترة محددة. فمن باب المثال: أنّ «تعليم القراءة» يمكنه أن يكون هدفاً تربوياً للصف الأول في المدرسة الابتدائية، أو القدرة على حل المعادلات الجذرية هدفاً لنهاية المرحلة الابتدائية من الدراسة.

إن تبويب الأهداف التربوية من هذه الزاوية يحتوي في الغالب على جهة تعليمية، ويتبع أسساً بنائية خاصة. وإن جميع التبويبات الناظرة لغايات تعليمية يتم بيانها على أساس الأهداف التعليمية. وفي الحقيقة فإن الأهداف التعليمية تعمل على بيان مراد المعلم من الأهداف التعليمية وأسلوب فهمه لهذه الأهداف، وبيان كيفية تبويب الأهداف التعليمية من وجهة نظر ذلك المعلم. ومن الممكن تحديد هذه الأهداف من خلال الالتفات إلى الموارد الآتية:

١. **نشاط المعلم**: يقوم بعض المعلمين ببيان أهدافهم التعليمية بالالتفات إلى أسلوبهم التعليمي أو الأنشطة التي يقومون بها من أجل تعريف الطالب بتلك الأهداف، من قبيل استعراض طريقة عمل جهاز مخبري.[٢]

٢. **نشاط الطالب**: يعمد بعض المعلمين إلى تحديد أهدافهم التعليمية بالالتفات إلى مختلف الأنشطة التي يمارسها الطلاب، من قبيل كتابة صفحة كاملة بالخط الرقعي، أو القيام بحل معادلات حسابية في جدول الضرب والتقسيم مثلاً.

---

١. وبالطبع فإن تبويب الأهداف التربوية ـ كما سنشير إلى ذلك لاحقاً ـ قد تكون له فروع عديدة. وهذا الأمر يتوقف على المجال الذي يتم فيه طرح الأهداف التربوية. وأن الحقول الثلاثة التي ترسم للأهداف عبارة عن: الحقل المعرفي، والحقل العاطفي، والحقل الروحي ـ الحركي.

٢. *روانشناسي پرورشي*، سيف، علي أكبر: ٧٤ ـ ٧٥.

٣. عنوان الدرس: في بعض الموارد تكون عناوين الدروس أساساً لتحديد الأهداف التعليمية، من قبيل: أسباب الحرب العالمية الأولى، أو قانون انكسار الضوء وما إلى ذلك. إن الإشكال الأساسي في هذه الأساليب الثلاثة يكمن في أنّ الهدف الذي يتمّ تحديده يؤكد ـ في الغالب ـ على نشاط المعلم أو الطالب، دون النتائج المترتبة على التعليم، وما يحصل عليه الطالب. بعبارة أخرى: عندما يجرى استعراض عمل وسيلة مخبرية، أو عندما ينتهي تدريس ما تمّ تحديده ضمن عنوان درسي محدد، تكون الغاية من التعليم قد تحققت، سواء في ذلك تعلم الطالب شيئاً أو لم يتعلم إطلاقاً.

٤. مقدار استيعاب الطالب: إن الأسلوب الأفضل والأكثر تجذراً من أجل بيان الأهداف التعليمية، يكمن في تحديد النتائج التي نتوقع لها أن تترتب على التعليم، وعليه فإنّ خير طريقة لتدوين الأهداف التعليمية هي أن نأخذ بنظر الاعتبار مقدار وحجم ما يتعلمه الطلاب. وكلما تمّ بيان الأهداف على هذا الأساس، فإنها سوف تدل مباشرة على أنواع السلوك التي نتوقع من الطالب أن يظهرها ويقوم بها إثر الانتهاء من العملية التعليمية. ولهذه الغاية يجب بيان الأهداف التعليمية بالالتفات إلى السلوك والأداء الذي يمكن له أن يشاهد أو يقدّر. وقد أطلق على هذا النوع من الأهداف التعليمية بـ «الهدف السلوكي»[1]. إنّ الأهداف التعليمية السلوكية هي تلك الأهداف التي تبيّن غاية المعلم من التعليم بالالتفات إلى الأداء أو السلوك الذي يمكن لنا رؤيته من خلال النشاط الذي يقوم به الطالب. إنّ هذه الأهداف تساعد المعلم على تحديد غايته من تعليم الموضوع الدراسي بشكل دقيق، وأن يشرح للمتعلّم ما يتوقّع منه أن يقوم به في نهاية الدرس بوضوح. فمن باب المثال: يتوقع من الطالب في نهاية الدرس أن يذكر الأسباب الرئيسة التي أدّت إلى سقوط الخلافة الأموية

---

1. behavioral objective.

واضمحلالها، أو أن يبين تجارب رحلته الصيفية في تقرير تحريري.

حتى الآن أدركنا مفهوم تبويب الأهداف التربوية في العلوم التربوية، فكما ذكرنا إن هذه الأهداف يتمّ مجرّد طرحها في مجال خاص يرتبط بمرحلة خاصة من حياة الإنسان (المرحلة التعليمية). في حين أن الإنسان في تبادل مستمر للمعلومات مع محيطه الخارجي، ويستمر هذا التعاطي المعرفي حتى يتخطى الأروقة التعليمية والدراسية. فإن تعلم الإسلام وتأثيره لا يمكن أن يحدد ضمن فترة زمنية أو مرحلة خاصة، فهو في صراع مستمر في كلّ الوصور من أجل تحقيق أهدافه. إنّ سعة حياة الإنسان وارتباطه مع الآخرين في الوسط الاجتماعي، وكذلك في طريقة ارتباطه بمعبوده سبحانه، تدل على جهده وسعيه من أجل الوصول إلى أهدافه التي سبق أن رسمها وحددها لنفسه. وأنّ ما قام به الأنبياء والمصلحون والفلاسفة والمعلمون طوال تاريخ الإنسان بشأن مسائل من قبيل: الهدف من الخلق، والغاية من الحياة، ومراحل هداية الإنسان، ودرجات الكمال والسعادة، ومراحل التنمية الأخلاقية والسير والسلوك الإنساني، ومسؤولية الإنسان في الحصول على الأهداف الغائية، وكذلك الأهداف الروحية والجسدية والفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، يثبت لنا أنّ الأهداف التربوية لا يمكن حصرها ضمن تبويب واحد، أنّ الأهداف والبرامج التربوية للأديان لا تنظر إلى ناحية خاصة من وجود الإنسان، أو دورة خاصة من حياته، بل إنّها تنظر إلى جميع مراحل الحياة الإنسانية.

العلاقة بين تبويب الأهداف التربوية من الزاوية الدينية والزاوية العلمية

إن ارتباط أهداف البرامج التربوية الدينية بالأهداف التربوية التعليمية، بمنزلة الارتباط بين الغاية والوسيلة. إن توظيف التقدّم العلمي في مجال العلوم الإنسانية، ومن بينها التعليم المدرسي في العصر الراهن، يمكنه تطبيق البرامج التربوية الدينية

بشكل أفضل. يمكن للأساليب العلمية والمدرسية ـ للحصول على الأهداف المعرفية والعاطفية والنفسية الحركية ـ أن يكون لها تأثير كبير على التنمية والتقدم الأخلاقي والديني للطلاب. وفي الحقيقة فإنّ تبويب الأهداف في العلوم التربوية يقدم منهجاً وأسلوباً للحصول على الأهداف المعرفية والعاطفية والنفسية ـ الحركية. في هذا النوع من التبويب، يتم تكوين إطار علمي يساعد على إدخال مضمون يشتمل على ثقل أخلاقي في العملية التعليمية. من هنا فإن تبويب الأهداف التربوية الناظرة إلى جميع شؤون الحياة، والتي يكون مصدرها التعاليم الدينية، لا تتعارض مع تبويب الأهداف التربوية في العلوم التربوية أبداً، بل يمكن ـ للارتباط الوثيق بينهما ـ أن يضمن لنا الوصول إلى الأهداف التربوية. وبعبارة أخرى: إن ما يتمّ طرحه في بحث تبويب الأهداف في العلوم التربوية، ليس هو إظهار المضمون التربوي، بل هو اقتراح الأساليب والأطر من أجل الحصول على مختلف المضامين التربوية. إن العلوم التربوية تقدّم أطراً عامة من أجل الحصول على كل نوع من أنواع الأهداف المعرفية والعاطفية والنفسية ـ الحركية. إن المطروح في هذا الفرع هو كيفية الوصول إلى الأهداف المدرسية، وليس تحديد المضمون والمحتوى ونوع الهدف، في حين أن رسم الأهداف والبرامج التربوية الدينية ـ التي تحدد مسار الحياة ـ يكون البحث فيها حول مضمون وتحديد مواد ووسائل الحركة. لقد كان الأنبياء عليهم السلام والمصلحون يؤكدون على مضمون أهداف الحياة، دون الأساليب والأطر، رغم أن الأساليب العامة كانت تشكل جانباً من مضامين برامجهم. وأما في العلوم التربوية، فإن الأساليب الجزئية ـ للوصول إلى الأهداف السلوكية ـ تكون منظورة ومنشودة أيضاً[1].

---

١. إننا لا نروم تبويب موارد من قبيل: أساليب تعليم المعلمين، وسبل الارتباط بالطلاب أو مختلف أنواع المواد التعليمية. كما أننا لا نسعى إلى تبويب موضوع أو مضمون درس خاص، وإنما الذي نسعى إلى تبويبه هو السلوك الصحيح للطالب، بمعنى الأعمال

جدير ذكره، أنّ تبويب الأهداف التربوية في العلوم التربوية يشتمل على مجرّد الأهداف السلوكية، وقد لا يمكن إدراج جميع الأهداف الدينية في إطار سلوك قابل للملاحظة أو القياس. وعلى هذا الأساس فإنه على الرغم من جدوائية توظيف الأساليب العلمية من أجل تحقيق الكثير من الأهداف التربوية الدينية، إلا أنّ بعض الأهداف الدينية التربوية ذات صبغة داخلية ومعنوية خاصة، وإنها رغم تأثيرها التام على الفرد، لا تتجلّى على المستوى الخارجي والظاهري إلّا على نحو باهت للغاية. وعليه فبالالتفات إلى هذا الأمر لا يمكن لنا أن نتوقّع حصول جميع الأهداف التربوية الدينية من خلال توظيف الأساليب العلمية المأخوذة من تبويب الأهداف التربوية. وفي البحوث القادمة سوف ندرس سلسلة المراتب الموجّهة، بغية الحصول على الأهداف الدينية التربوية بشكل تفصيلي.

تبويب الأهداف التربوية من زاوية العلوم التربوية

بعض الباحثين من قسَّم التربية والتعليم وعلم النفس التربوي والأهداف التربوية، إلى طبقات مختلفة. ومن بين التبويبات التي تحظى بشمولية وأهمية

والأفكار أو المشاعر والأحاسيس الحاصلة من خلال المشاركة في نوع من المناهج الدراسية (*تبويب الأهداف التربوية*، بلوم، بنيامين اس: ٢٥).

(... إن التبويب مورد البحث، يجب أن يكون طرحاً توصيفياً كاملاً، بحيث يمكن تعريف كل نوع من أنواع الأهداف التربوية بشكل محايد نسبياً. وعلى هذا القياس نظام ديوي العشري في تبويب المكتبات، حيث يتم فيه توصيف جميع طبقات الكتب. إن هذا التبويب لا يتحدث عن قيمة أو كيفية طبقة من الكتب بالقياس إلى الطبقات الأخرى، ولا يتم تحديد عدد أو نوع الكتب التي ينبغي اشتمال المكتبة عليها. وهذا يعني أن بالإمكان تعريف جميع أنواع المتغيرات السلوكية التي يتم التأكيد عليها في أيّ مؤسسة أو حقل تربوي أو فلسفة تربوية في هذا التبويب. وبعبارة أخرى: إن كل هدف يعمل على وصف سلوك معيّن سيكون له حيّز في هذا التبويب). (المصدر: ٢٧).

خاصّة، تبويب جماعة من المحققين تحت إشراف «بلوم»، والهيكلة الرئيسية تشتمل على ثلاث مساحات هامة: وهي المساحة المعرفية، والمساحة العاطفية، والمساحة النفسية (الحركية).

أما المساحة المعرفية فتشتمل على الأهداف المرتبطة بالاستذكار، أو إعادة التعرّف بالفكر وتنمية القابليات والمهارات الذهنية. وأنّ هذه المساحة تمثل أهم مجالات الأنشطة لأكثر المختبرين في الوقت الراهن. وأنّ أكثر الأعمال المرتبطة بالتخطيط والبرامج الدراسية تقع في هذه المساحة، ويمكن العثور على أوضح التعاريف المتعلقة بالأهداف المعرفية ـ على شكل توصيف سلوك الطلاب ـ في هذه المساحة.

وأمّا المساحة العاطفية فتشتمل على الأهداف التي تحكي عن المتغيرات في العلاقات والرؤى والقيَم وتنمية الاحترام والانسجام.

وأمّا المساحة الثالثة فإنّها ترتبط بالمهارات النفسية ـ الحركية[1]. جدير ذكره أنّ الطبقات المتعلّقة بكلّ مساحة قد تمّ تنظيمها ضمن سلسلة تراتبية تبدأ من أبسط النتائج السلوكية وتنتهي بأكثرها تعقيداً.

١. المساحة المعرفية

إنّ هذه المساحة تشتمل ـ بشكل أكبر ـ على الأهداف التي ترمي إلى العلم والفهم والمهارات الفكرية. وبعبارة أخرى: أنّ الأهداف المعرفية ترتبط بما يجب على الطالب أن يعلمه ويستوعبه. وأن طبقات هذه المساحة عبارة عن:

العلم (المعلومات): إنّ استحضار المطالب التي سبق للطالب أن تعلّمها

---

١. أخذ البحث المرتبط بالمساحة المعرفية، والمساحة العاطفية من كتاب: *الأهداف السلوكية*، لمؤلفه: نرمان اي. غرونلند، ترجمة: أمان الله صفوي، من الصفحة ٣٢ إلى ٣٨، والبحث المرتبط بالمساحة النفسية ـ الحركية من كتاب: *المهارات التربوية والتعليمية*، لمؤلفه: حسن شعباني، من الصفحة ١٨٤ إلى ١٨٦.

يسمى بالعلم أو المعلومات. يمكن لهذا التعريف أن يشمل استذكار مطالب واسعة ابتداءً من المسائل الجزئية وصولاً إلى النظريات الكاملة، ولكن المراد في البين هو استذكار المعلومات المناسبة. وتعتبر هذه الطبقة من أدنى سطوح نتائج التعلم في المساحة المعرفية.

الإدراك: عرّف الإدراك بأنه: «القدرة على فهم المطالب». ويمكن اعتبار هذه القدرة تحويلاً للمطالب من صورة إلى صورة أخرى من قبيل: (تحويل الكلمات إلى أعداد)، أو تفسير المطالب من قبيل: (توضيحها وتلخيصها) أو التكهّن بأحداث المستقبل (التنبّؤ بالعواقب والنتائج). وإن نتائج التعلم في هذه الطبقة تتخطّى الاستذكار البسيط للمطالب بخطوة، وهي تحكي عن أدنى مستويات الإدراك.

التطبيق: يشير التطبيق إلى القدرة على توظيف المعلومات في الموقعيات الجديدة والواقعية. وأنّ هذا المستوى يشمل تطبيق القواعد والمفاهيم والأسس والقوانين والنظريات. وفي هذا المستوى يكون الفهم أعمق منه في الطبقة السابقة.

التجزئة والتحليل: تشير عملية التجزئة والتحليل إلى القدرة على تقسيم المطلب إلى الأجزاء المكونة له، والتي توفر الأرضية لإمكان معرفته التركيبية. ويمكن لهذا المستوى أن يشتمل على تحديد الأجزاء، وتجزئة وتحليل الروابط بين الأجزاء، ومعرفة الأصول الجذرية. وفي هذه الطبقة تكون نتائج التعلّم على مستوى أعلى بالقياس إلى الطبقات السابقة؛ لأنّها تستلزم فهم المحتوى والبنية التركيبية للمطالب.

التركيب: يحكي التركيب عن القدرة على المزج بين الأجزاء بشكل يؤدي إلى بناء كلٍّ جديد.. وأنّ هذه العملية قد تشمل إعداد رسالة فريدة من نوعها، أو تقديم مشروع عملي (مشروع تحقيق) أو تنظيم نظرية. وفي هذه

الطبقة تكون نتائج التعلم مرتبطة بالسلوكيات الخلّاقة، ويكون التأكيد الرئيس على تدوين المشاريع والتركيبات الجديدة.

التقييم: يحكي التقييم عن القدرة على الأحكام بشأن قيمة المطالب (الإعلان، والبيان، والقصة، والشعر، والتقرير التحقيقي) لغاية محددة. إن هذا النوع من الأحكام يجب أن يقوم على أساس الملاكات القطعية والمحددة. إنّ هذه الملاكات قد تكون داخلية وقد تكون خارجية. إن نتائج التعلم المرتبطة بهذا القسم تقع على رأس سلسلة مراتب المساحة الذهنية؛ لأنّ هذه النتائج تشتمل على جميع الطبقات الأخرى أيضاً.

٢. المساحة العاطفية

تشتمل هذه المساحة على تلك المجموعة من الأهداف المرتبطة بالإحساس والعاطفة، من قبيل: العلائق والرؤى والتكريم وما إلى ذلك. إن حجم السلوك في المساحة العاطفية واسع وكبير، بيد أنّه في الوقت نفسه غير محدد. بحيث إن تقييم الأنشطة السلوكية ـ بسبب عدم بروز الميول والمشاعر الباطنية كافة على الأفعال الظاهرة ـ يبدو في غاية التعقيد. وعلى الرغم من ذلك يمكن أن نحقق تقدماً في هذه المساحة من خلال مواصلة الجهود والاهتمام المستمر. وإن الطبقات الخمس في هذه المساحة عبارة عن الأمور الآتية:

أ) **التلقّي:** يشير التلقّي إلى دقّة الطالب في الظواهر أو الإجابة عن المحركات الخاصّة من قبيل: (النشاط المدرسي في الفصل، والمناهج الدراسية، والموسيقى، وما إلى ذلك). ومن الناحية التدريسية يرتبط باستقطاب وحفظ وتوجيه الطالب. وأن التعلّم في هذا القسم يتغيّر ابتداءً من الوعي البسيط للطالب بشأن ظاهرة من الظواهر وحتى الاهتمام المدروس والمتأني. في هذه المساحة العاطفية يعدّ التلقي من أدنى سطوح التعلم.

ب) **ردّة الفعل**: تشير ردّة الفعل إلى المشاركة والنشاط الفعّال للطالب. وفي هذا المستوى لا يهتم الطالب بظاهرة خاصّة فقط، بل يبدي ردّة فعل وتفاعل تجاهها بنحو من الأنحاء. ومن الممكن في هذا القسم أن تكون نتائج التعلّم عبارة عن قبول القيام بالتكاليف، والرغبة بالتفاعل وردود الأفعال من قبيل: (القيام بالواجبات والوظائف الدراسية الإضافية)، أو (الرغبة في التعبير عن ردّة الفعل) أو (الشعور باللذة والرغبة الشخصية في المطالعة). إنّ المستويات العليا في هذه الطبقة عبارة عن تلك المجموعة من الأهداف التي يتمّ تبويبها عادة تحت عنوان (العلائق)[1]، بمعنى الأهداف التي يكون منشأها الرغبة في العمل، والشعور بالمتعة عند القيام بها.

ج) **التقييم**: وهو عبارة عن القيمة التي يوليها الطالب لشيء أو ظاهرة أو سلوك خاص. وتتغير هذه الطبقة ابتداء من القبول البسيط لقيمةٍ من قبيل: الرغبة في تطوّر المجموعة، وصولاً إلى سطوحها المعقدة. بمعنى القبول بالالتزام، من قبيل: القبول بالمسؤولية من أجل تقدم المجموعة. إن التقييم يقوم على استبطان مجموعة محددة من القيم، ويتمّ تحديد علامة استبطان القيَم من خلال سلوك الطالب وأدائه. وإن نتائج التعلم في هذا المستوى تشتمل على السلوكيات التي يكون الاتصال والثبات فيها مشهوداً وملحوظاً. وإن هذه المجموعة من الأهداف التي يتمّ تصنيفها بالكامل تحت عنوان: (الرؤى والتكريم)، تندرج في هذه الطبقة.

د) **التدوين (التنظيم)**: إنّ التدوين عبارة عن إدغام القيَم المختلفة ورفع حالة التعارض بينها، وبناء منظومة قيَم ثابتة ومنسجمة. لذلك يكون التأكيد هنا على المقارنة والربط بين القيَم. وإنّ التعلّم في هذه الطبقة قد يكون مجرد امتلاك تصوّر عن كلّ قيمة أخلاقية من قبيل: (معرفة المسؤولية الفردية

---

1. interests.

لتحسين الروابط والوشائج الإنسانية)، أو أن يرتبط بمنظومة القيَم من قبيل: (إعداد مشروع توظيف يعالج المشكلة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع). وأنّ تلك المجموعة من الأهداف التعليمية التي تؤدي إلى الغاية من الحياة تندرج ضمن هذه الطبقة.

هـ) استبطان القيَم: يمتلك الفرد في هذا المستوى من المساحة العاطفية نظاماً أخلاقياً خاصّاً يعمل على بلورة شخصيته وتنظيم سلوكه. وأن نتائج التعليم في هذا المستوى تشتمل على نشاطات واسعة، وأن كلّ واحد من هذه الأنشطة يعبّر عن شخصية الطالب. كما أنّ الأهداف المناسبة في هذه الطبقة عبارة عن تلك المجموعة من الأهداف المرتبطة بالنماذج العامة لسلوك الطالب في إقرار التفاهم والوئام.

٣. المساحة النفسية ـ الحركية

ترتبط هذه المساحة بالمهارات الحركية وتتعاطى مع الحركات الإرادية والهادفة للإنسان، والتي يستلزم القيام بها توظيف العضلات والأعصاب والمُستقبِلات الخاصّة بجهاز المركز العصبي. وأنّ مراحل هذه المساحة عبارة عن:

أ) المشاهدة والتقليد: في هذه المرحلة يقوم الطالب بمشاهدة أداء المعلم المشغول بالعمل في الموضوع مورد البحث. إنّه مضطر إلى متابعة تفاصيل الحركات وتسلسلها وتعاقبها والعلاقة بينها، حتى بلوغ النتائج النهائية بدقّة. ويتفق أحياناً أنّ تحل مطالعة قانون العمل محل هذه المرحلة من المشاهدة، ولكن في الغالب تقترن مطالعة قانون العمل بتطبيق المهارات في وقت واحد.

ب) تطبيق الموضوع دون مساعدة: في هذه المرحلة يكون مستوى التعلم أعلى من المرحلة السابقة شيئاً ما، ونبتعد فيه عن أسلوب التقليد السطحي، ونصل إلى مرحلة التطبيق الواعي. وفي هذه المرحلة يجب أن

ينخفض اعتماد الطالب على المعلم إلى أدنى مستوياته، بحيث لا يعود بحاجة إلى مساعدة مباشرة منه. ولكن يجب أن يستمر إشراف المعلم على أداء الطالب عند تطبيق المهارات.

الدقة في العمل: في هذه المرحلة يجب على الطالب أن ينجز النشاط والعمل بدقة وسرعة. وإنّه في هذه المرحلة يكون قد بلغ مرحلة من الكفاءة في أداء أعماله بمهارة، وتنظيمها بحسب الحاجة. فمثلاً، نجده ينظم إيقاع حركاته بين السرعة والبطء، ويقلل من مستوى أخطائه، أو يعمل على تغيير مسار حركاته.

تنسيق الحركات: بمعنى إقامة التنسيق بين سلسلة من الأعمال والنشاطات، مع مراعاة النظم والكفاءة. وفي هذه المرحلة يكون الطالب قد تمكن من القيام بالتنسيق بين عدة حركات في وقت واحد.

الأداء الطبيعي: تعتبر هذه المرحلة أعلى مراحل التعلم في المساحة النفسية ـ الحركية، حيث يقوم الطالب بأداء مهامه بشكل تلقائي وعفوي وعلى نحو دقيق ومتوازن. وبعبارة أخرى: إنه في هذه المرحلة يستغني عن إمعان النظر وبذل الطاقة من أجل التنسيق بين الأنشطة وتنظيم تعاقبها، وتصدر عنه الأعمال بشكل طبيعي وعلى نحو ذاتي وتلقائي.

ومن المهم التذكير بهذه النقطة الهامة وهي أنّ الأنشطة التعليمية لا يمكن بيانها في مساحة واحدة فقط. بل لربما تكون هناك ضرورة لأن تقع الأنشطة التعليمية في مساحتين، بل وحتى ثلاث مساحات لتعطي نتائج سلوكية، بمعنى أن تكون مسبوقة بالمعرفة والتعلم الذهني، وفي الوقت الذي تعتبر حركة فيزيقية، فإنّها تقع تحت التأثير العاطفي أيضاً. وعلى هذا الأساس فإن الأهداف التعليمية في دائرة الحركة تشمل ـ نوعاً ما ـ بعض العناصر التابعة للدوائر المعرفية. بيد أن إبداء المهارة الحركية جزء من الخصوصية البارزة

للمساحة الحركية. وإن وجود الوجه المشترك لا يقتصر بهذه المساحة والمساحتين الأخريين فقط، بل هناك في نتائج التعليم في المساحة المعرفية عناصر من المساحة العاطفية، وبالعكس أيضاً. إن تقسيم الأهداف التعليمية إلى هذه المساحات الثلاث يعتبر أسلوباً نافعاً، ولكن يجب الالتفات إلى أن هذا التقسيم إنما هو اعتباري إلى حدٍّ ما، ولا يعني أن كل واحد من هذه الطبقات مستقل عن الطبقات الأخرى.

تبويب الأهداف التربوية من زاوية الإسلام

ما هو المراد من تبويب الأهداف التربوية في الإسلام؟ هل هناك معيار خاص في الإسلام بشأن تبويب الأهداف المطروحة، كما هو الحال في العلوم التربوية أيضاً؟ وما هي الأصول الحاكمة على تبويب الأهداف التربوية في الرؤية الإسلامية؟

كما يتضح من مفهوم التبويب فإنّ هذا المصطلح يستعمل في مورد تكون فيه:

١. سلسلة المراتب مختلفة. وبعبارة أخرى: أن تكون هناك مراحل يكون بينها تقدُّم وتأخُّر، بحيث إنها تشكل سلسلة من الحلقات المترابطة والتي لايمكن بلوغ طبقة في هذه السلسة إلّا بعد اجتياز الطبقة السابقة، ولا يمكن الحصول على المراتب العليا إلّا بعد الخوض في المراتب الدنيا. وبشكل عام يمكن بيان تصوير طريقة الارتباط وترتب الأهداف ببعضها على عدة أنحاء، وهي:

أ) **الترتب الخارجي**: بمعنى أنّ الهدف الأدنى يشكّل بالنسبة إلى الهدف الأعلى جهة علية وتقدّمية، بمعنى سواء كان هناك دافع ونية في البين أم لا، فإن الذي يقع في الخارج هو تقدم الهدف الأدنى على الهدف الأعلى. فمن باب المثال: إن إيجاد التغيير والإصلاح في المجتمع يتوقف على إيجاد التغيير

والإصلاح في أفراد المجتمع. إن هذا الترتب هو من نوع الترتب العلّي الذي يتمتع بماهية واقعية وخارجية.

ب) الترتب القصدي: في الكثير من الأحيان لا يكون بين الأهداف ترتيب خارجي، بل الارتباط بينها يكون من طريق: القصد، والنية، والدافع، فمن باب المثال: يمكن أن يكون هناك ارتباط بواسطة النية والقصد بين هدفين هما: «الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد» و«التقرب من الله».

والمسألة الأخرى التي يتم التطرق إليها فيما يتعلّق بطريقة الارتباط بين الأهداف، هو أننا إذا قلنا: إنّ الأهداف تترتب على بعضها، وإنّها بالتالي تشتمل على هدف نهائي، فليس المراد أنّ لعنصر الزمن دخل في جميع هذه الترتبات، بل إن الغائية هنا تعني أن الهدف النهائي هو النقطة المطلوبة والمنشودة من الناحية المنطقية.

إنّ القرب الإلهي ليس هدفاً بعيد المنال، ومنفصلاً عن السلوك اليومي، بل هو هدف له مراتب واسعة، وعلى الرغم من أنّ مراتبه الأولية يمكن الحصول عليها من خلال القيام بأي عمل نقوم به بنية التقرّب من الله، إلّا أنّ الوصول إلى المراتب الأعلى يتوقّف على القيام بأعمال أسمى وأكثر تأثيراً. خلاصة القول: يُمكن للمسلم أن يقوم على الدوام بالتقرب إلى الله من خلال الأعمال الصالحة.

٢. إنّ كل طبقة في هذه السلسلة تكون بسيطة بالقياس إلى الطبقة الأعلى، وهذا يعني أننا كلّما تقدمنا إلى الأمام ستكون الطبقات العليا أكثر تعقيداً.

٣. إنّ تبويب الأهداف في الدين ليس تبويباً علمياً. بمعنى أن التبويب العلمي يعتمد الشكل والصورة، وبعبارة أخرى: إن الذي يتمّ بحثه في التبويب العلمي هو إطار العمل وأسلوبه كما هو الحال بالنسبة إلى تبويب «بلوم ومساعديه»، ومن هنا فإنّه لا يشتمل على بعد أخلاقي، فهو لا ينظر إلى مفاهيم

من قبيل: الحسن والقبيح أو الثواب والعقاب. وأما في تبويب الأهداف التربوية من الزاوية الإسلامية، فحيث يتمّ تبويب المحتوى التربوي، فإنّه يشتمل على ثقل أخلاقي. بمعنى أنّ الأهداف التي يتمّ تحديدها في النظام الديني هي أهداف ذات توجّه أخلاقي وإيجابي، وتبيِّن الواجبات والمحظورات الدينية.

إنّ المعيار والملاك في تبويب الأهداف التربوية في الإسلام ينظر إلى ذات الإنسان. وعندما ننظر إلى الإنسان من زاوية الإسلام، فإننا نكوّن فرضيات مسبقة تحدد لنا نوع رؤيتنا للإنسان. من قبيل: إن الإنسان والكون من مخلوقات الله، وإن الإنسان خليفة الله في أرضه، وإنّه يتمتّع بالهداية الذاتية والتكوينية (الفطرة). وعلى هذا الأساس إذا أردنا تبويب الأهداف الموجودة في النصوص الدينية، وجب علينا أن نأخذ ملاك هذا التبويب من الدين أيضاً. فلا يمكن أن نختار ملاكاً ومعياراً من خارج الرؤية الدينية، والعمل من خلاله على تبويب الأهداف الدينية بغية الوصول إلى تحقيق أهدافه ومطالبه. وفي الحقيقة لا ينبغي لنا أن نفرض إرادتنا على الدين، أو أن نتمسك بالنصوص الدينية (الآيات والروايات) من أجل إضفاء الشرعية على إرادتنا. وبعبارة أخرى: إن نفس الملاك المستنبط من النص الديني، يجب أن يكون هو المحور في عملية التبويب. ومن هنا تجب الاستعانة بالدين والتمسك به حتى في هذا الأمر. وإن الرؤية التي يمكنها من طريق الوحي أن تكون ملاكاً ومعياراً للحركة التربوية في حياة الإنسان، ليس هناك من شك في ثباتها وديمومتها، وهي ترصد الإنسان من جميع أبعاده وجوانبه الوجودية، ولا تقتصر في تقييمه على جهة خاصة أو على مقطع محدد. إن الدين عندما ينظر إلى الإنسان لا ينظر إليه بوصفه «مواطناً» أو فرداً من أفراد المجتمع، وما إلى ذلك من العناوين الناظرة إلى بعد واحد أو جهة واحدة من الجهات

الوجوديـة، وإنمـا ينظـر إليـه بوصـفه «إنـساناً» ويـروم بلـورة وبنـاء شخـصيته الحقيقية على أساسٍ من هذه الرؤية. إن الإسلام يعتبـر الإنـسان خليفـة الله فـي الأرض، ويـسعى إلـى تقـديم منظومـة تربويـة تـشتمل علـى جميـع أبعـاده الوجوديـة (مـن العقـل، والـروح، والجـسم، والأبعـاد الفرديـة، والاجتماعيـة، والإلهية وما إلى ذلك) والعمل على تربيته تربية إنسانية صالحة.

إنّ المعيار أوالملاك الذي يقدمه الإسـلام فـي إطـار رؤيتـه إلـى الإنـسان يحكي عن اهتمامه ببنيته الوجودية. وهي بنيـة يلعـب فيهـا عنـصر الفطـرة دوراً أساسياً ومحورياً. ولكي نـتمكّن مـن الحـصول علـى تبويـب واقعـي فـي إطـار النظام الإسلامي، يجـب علينـا ملاحظـة رؤيـة الإسـلام بـشأن البنيـة والتركيبـة الوجودية للإنسان، والعمل على تبويب الأهداف التربوية من خـلال الالتفـات إلى هذه الأسس المعرفية من قبيل: (الفطرة). ومـن خـلال الالتفـات إلـى هـذا المعيار يمكن تبويب الأهداف التربويـة فـي النظـام الإسـلامي وتقـسيمها إلـى ثلاث طبقات عامة، وهـي: الأهـداف الغائيـة (النهائيـة)، والأهـداف الوسـيطة، والأهداف الجزئية. وكل واحدة من هذه الطبقات تحتوي علـى عـدّة طبقـات أخرى، سيأتي شرحها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

الهدف الغائي وخصائصه

مفهوم الهدف الغائي من الزاوية الدينية وخصائصه

إن الهدف الغائي من التربية في كل مذهب تربوي هو البلوغ بالإنسان إلى الكمال، ويجب أن تكون جميع أنشطته بتأثير من هذا الهدف. وإن الأهداف الغائية من وجهة نظر الإسلام - والتي أعطته ماهية خاصة في الإطار العام - عبارة عن:

١. **الانسجام مع الفطرة**: كما تقدم أن ذكرنا إن أصل التناغم والتنسيق بين الأهداف التربوية والبنية الوجودية للإنسان يجب أن تراعى في جميع الموارد. إن الهدف الغائي في المنظار الديني يتناسب والبنية الوجودية وماهية الإنسان التي يطلق عليها في النصوص الدينية عنوان (الفطرة). إن التناسق بين الهدف الغائي وفطرة الإنسان يعتبر من أهم خصائصه. وأن أقل اضطراب في للتوازن والتنسيق بين الهدف والفطرة سيؤدي إلى الانحراف عن مراحل النمو والتطور الإنساني، وبالتالي فإنّ ذلك سيفضي إلى عجزه وعدم تمكّنه من الحصول على بلوغ الكمال النهائي.

٢. **الشمولية**: إنّ المراد من شمولية الهدف الغائي في الإسلام هو شموله

لكافة القيَم الإنسانية. فمن باب المثال: إن الدفاع عن الوطن يعدّ من أهم القيم الاجتماعية في الإسلام، وإنّ هذا الأمر هو في حدّ ذاته هدف، ولكنه ليس هدفاً غائياً أو نهائياً. وعلى هذا الأساس يجب إدراج جميع القيَم الدينية ـ التي تحدد مسار الحياة ـ ضمن الهدف الغائي والنهائي الذي يشتمل على جميع القيم الأخلاقية.

٣. التحفيز: إن وجود الحافز والرغبة نحو القيام بأي نشاط، رهن بالوصول إلى النتيجة. وبعبارة أخرى: إن الوصول إلى كل هدف من الأهداف المحددة في كل نشاط أو برنامج، يضمن استمرار ذلك النشاط أو ذلك البرنامج. وأن القيام بالأنشطة دون أن تحقق أي نتيجة، سيؤدي بالتدريج إلى اضمحلال وزوال الدافع والحافز والشوق إلى مواصلة النشاط. إن التساؤل القائل: ما هي ثمرة تحديد الهدف النهائي؟ وكيف يمكن لما هو بعيد المنال أن يكون مشجعاً وحافزاً ومحركاً؟ وإن كان تساؤلاً في محله ويحتوي على أهم الأسس المهيمنة على نظام المكافأة (بمعنى الحافز)، ولكن يجب الالتفات إلى هذه النقطة أيضاً وهي أن تحديد الهدف الغائي لا يعني كونه مستحيل التحقق أو أنه بعيد المنال، وكما تقدّم أن قلنا: إنّ المراد من ترتيب الأهداف ـ وخاصّة الهدف النهائي ـ على سائر الأهداف الأخرى، ليس هو الترتيب الزمني. وفي البحوث القادمة سيتضح لنا أن الهدف الغائي من وجهة نظر الإسلام يستلزم ترتباً منطقياً، ويبدأ من المراحل البسيطة ويمضي قدماً من خلال توجيه مطلق نحو المراحل الأكثر تعقيداً. إن الفرد من خلال قيامه بكل نشاط ديني يحصل على الهدف الغائي، إلّا أن بلوغ هذا الهدف الغائي من الضروري أن يتناسب على الدوام مع نوع النشاط والعمل. فليس الأمر بأن التقرّب من الله الذي هو الهدف الغائي يتحقق بعد القيام والانتهاء من الأعمال الكثيرة، بل إن كل عمل ونشاط ديني يؤدي إلى تقرّب بحجم ومقدار ذلك

العمل. وعليه يمكن أن نصل إلى هذه النتيجة وهي: أن الوصول إلى الهدف الغائي حتى بعد القيام بكل نشاط جزئي، يغدو ممكناً وميسوراً.

عدم المحدودية: إنّ الخصوصية الرابعة للهدف الغائي (النهائي) في الرؤية الدينية تكمن في عدم محدوديته. والسؤال المطروح هنا هو: ما هو المراد من عدم محدودية الهدف؟ هل يمكن أن نتحرّك باتجاه غاية ليس لنهايتها أمد محدد؟ وإذا كان كذلك، كيف نعدّ تلك الغاية هدفاً نهائياً؟ إن المحور في الإجابة عن هذه الأسئلة هو لزوم تطبيق الهدف الغائي على فطرة الإنسان، والالتفات إلى ماهيته الأبدية. وعلى هذا الأساس يجب أن يكون الهدف الغائي هدفاً أبدياً غير محدود، ليتناسب مع الإنسان ويمكن تطبيقه عليه. وبعبارة أخرى: إن الإنسان كائن يُنشد الكمال، وحيث إنّه كائن إلهي، فإن محاولة الوصول إلي الكمال لا يمكن أن تقف عند حدّ. وعليه بما أنّ اللاتناهي في الهدف الغائي ينسجم مع حلم الإنسان بالكمال وحقيقة وجوده على الأرض، فإن هذا الهدف يكون منتخباً له. وإذا كان الهدف الغائي محدوداً، فإن الإنسان بعد بلوغه سيصاب بالخواء واليأس والقنوط، بل قد يمكن لتصوّر محدودية الهدف الغائي أن يثبط من عزيمة الإنسان. بالالتفات إلى أن بلوغ كل مرتبة من مراتب الهدف الغائي رهن بتجاوز المرحلة السابقة والقيام بعمل متناسب وطبيعة تلك المرحلة، ويمكن القول: إن عدم محدودية الهدف الغائي عنصر هام في اكتساب المراتب العليا والدرجات الأسمى.

اتحاد الهدف النهائي مع هدف الحياة (الخلق): إنّ ما يعتبر هدفاً نهائياً في النظام التربوي للإسلام ليس أمراً منفصلاً عن الهدف من خلق الإنسان وحياته. إن الإنسان يتمتع بكرامة وقيمة عالية من وجهة نظر الإسلام، وإن الهدف من بعث الأنبياء وإرسال الرسل هو تنمية طاقاته الذاتية. من هنا فإن كل توجيه من قبل الله لخلق الإنسان يعتبر نوعاً من بيان الهدف من حياته. وفي الحقيقة فإن

هذا الهدف يبين في قالبه وصيغته النهائية (الهدف الغائي) المتمثل بالشخصية السامية للإنسان الصالح.

اتحاد الهدف الغائي: إنّ من بين خصائص الهدف النهائي، اتحاده. بمعنى أننا إذا اعتبرنا الهدف النهائي جامعاً لكل القيَم، وحاوياً للمراتب المختلفة.[١] إذن، لا يمكن إلّا أن يكون هذا الهدف حقيقة وماهية واحدة. ومن الناحية المنطقية هناك تناقض بين تعدد الهدف النهائي وبين اعتباره نهائياً. وإن هذا الهدف إنما يكون محوراً لجميع أنشطة وحركات الإنسان إذا كان متصفاً بالوحدة، وأن يكون ـ على الرغم من بساطته ـ مستوعباً لجميع القيَم والكمالات الإنسانية، ومشتملاً على ازدهاره ونموّه وتساميه في جميع مراحل حياته.

بلوغ القرب الإلهي: إنّ الشعور والإحساس بنتائج وثمار كلّ نشاط يعتبر عاملاً محركاً في مواصلته والشروع في النشاط التالي، بيد أننا فيما يتعلّق بـ «القرب الإلهي» ـ الذي هو الهدف النهائي في الإسلام ـ نتساءل: كيف يكون الشعور بالنتيجة والثمرة؟ بعبارة أُخرى: أنّ الفرد في نهاية الكثير من السلوكيات والأعمال التي يمارسها يحصل على الأهداف التي توخاها من القيام بتلك الأعمال، من قبيل: الشعور بالصحة والعلاج بعد تناول الدواء، أواستيعاب الدرس بعد قراءته وما إلى ذلك؛ فكيف يكون الشعور بالقرب من الله وتأثيره في الحياة؟ وما هي الوسيلة وبأي عنصر من العناصر ندرك القرب الإلهي وتأثيره على حياتنا؟ إذا كان هذا الهدف ـ طبقاً للخصوصية الثالثة التي ذكرناها له ـ يمكن الوصول إليه بعد القيام ببعض الأعمال الجزئية للغاية، كيف يمكن الشعور بنتائجه في حياة الإنسان؟

---

١. إن المراد من المراتب هنا هي سلسلة المراتب الطولية، وكثرة المراتب في سلسلة المراتب الطولية لا يؤدي إلى تعدد الأهداف؛ إذ إن كل واحد من أجزاء السلسلة الطولية يقع تحت المرتبة الأعلى منه. أما الذي يوجب التعدد والكثرة وعدم الاتحاد فهو الارتباط العرضي.

إن هذه الأسئلة ناظرة إلى كيفية وطريقة تأثير الهدف النهائي على مسار الجهود والأنشطة اليومية للحياة، دون أصل التأثير. وأن مضمون هذه الأسئلة لا يتعلّق بإمكان تأثير الهدف النهائي والوصول إليه، بل بكيفية الشعور به وفهمه واستيعابه. بمعنى أنه كيف يمكن لنا الإحساس بالقرب الإلهي؟ وذلك لأن الأصل الهام في إيجاد الشوق والحركة، هو إدراك النتيجة، وليس مجرد تحقق وجودها.

نبدأ الإجابة عن هذه الأسئلة، ببيان هذه النقطة وهي: أنّ الهدف والنتيجة في الدين تتناسب والبنية الوجودية للإنسان. وهي بنية وتركيبة لاتنظر إلى الوضع الحالي (الآني) وحسب بل تنظر إلى المستقبل والأبدية، وبإدخال هذين العنصرين في مسار الحياة، يتم احتواء النتائج المنشودة والحاصلة من بلوغ الهدف النهائي. وبعبارة أُخرى: كما تقدّم أن ذكرنا فإنّ الإنسان يستطيع الوصول إلى الهدف النهائي ـ ألا وهو القرب من الله ـ من خلال القيام بكلّ عمل مهما كان ضئيلاً وجزئياً، شريطة أن يقوم ذلك العمل على أساس من ذلك الهدف النهائي. ولو نظرنا بهذه الرؤية ستكون النتيجة المنطقية المترتبة على الأعمال الواقعة في إطار القرب من الله، مختلفة عن تلك المترتبة على الأعمال الفاقدة لهذه الخصوصية، وسوف تترك آثاراً مختلفة على روح الإنسان وحياته.

إنّ الأعمال التي تتحقق من خلال الالتفات إلى الهدف النهائي المتمثّل بالقرب من الله تحمل للفرد نتائج إيجابية قيّمة توفر له الأرضية للتقدّم والتطوّر والارتقاء ـ على المستوى النفسي والروحي ـ نحو المراتب والمراحل العليا.

وعلاوة على انعكاس التأثير الإيجابي لهذه الأعمال على روح الإنسان ونفسه، فإنّ تحققها الخارجي يكون مقترناً بالمصالح الفردية والاجتماعية؛ لأنّ هذه الأعمال إنّما يكتب لها التحقق الخارجي في الإطار المحدد من قبل

الدين وبإشراف كامل من الأمر الإلهي. وعلى هذا الأساس فإنّ صلاح وطهر وتطبيق العمل على وقائع حياة الإنسان، وتأثيره الإيجابي على روح الفرد ونفسه، رهن بحجم ومقدار اهتمامه بالقيام بالعمل من أجل الله (تعالى) وفي سبيله. إنّ هذا التوجه ليس مجرّد عناية شكلية أو صورية، بل إنّ آثارها تلفت انتباهنا إلى بذل الجهود وتكثيفها من أجل تحسين العمل وإبراز الواقع والعمل الدؤب على الإصلاح. إنّ التأثير الآني والمرحلي لهذا التوجه علاوة على الشعور بالرضا الداخلي والروحي، تترتب عليه أبعاد حقيقية وخارجية بالكامل، ويمكن تطبيقها على واقع الحياة. وبالإضافة إلى هذا الأمر الناظر إلى البعد الوجودي من الإنسان (أي حاجته إلى الحصول على إجابة فورية وسريعة بشأن بلوغ النتيجة المنشودة بعد العمل)، فإن هذا الهدف في المسار الأبدي لحياة الإنسان الروحية يكون مؤثراً أيضاً؛ لأن تأثير الأعمال الجزئية للإنسان ـ طوال حياته ـ على روحه ونفسه، يؤثر في بناء سلوكه وشخصيته.

في الحقيقة فإنّ شخصية الإنسان تتبلور من خلال الربط والتلفيق بين آثار الأعمال في نفسه وروحه على مرّ الزمن، وهي ذلك البعد من وجود الإنسان الذي يمثل ـ من الزاوية الدينية ـ أصله وتركيبته. إن الإنسان يواصل حياته الأبدية من خلال شخصيته هذه التي تبلورت في الحياة الدنيا. إنّ تأثير الأعمال الصالحة والطالحة على منظومة الإنسان الشخصية دائمي، من هنا فإنّ الفرد إذا احتفظ بسلامة شخصيته، وسار في حياته على أساس من الفطرة الإلهية الطاهرة، فإنّه سيرى النتائج الإيجابية المتمثلة بالأجر الإلهي في الحياة الآخرة.

الهدف الغائي من وجهة نظر الإسلام

يمكن الاستنتاج من البحوث السابقة أنّ الهدف الغائي ـ الذي هو حقيقة مطلقة ومستوعبة لجميع القيَم ـ من وجهة نظر الإسلام هو الله سبحانه وتعالى.

فهو المطلق والكامل هو المحور لجميع أفعال الإنسان. والمراد من محورية الله وكونه هدفاً هو حضوره في صلب الحياة. وفي الأساس ليس دور الهدف النهائي في مسيرة الحياة سوى استمرار حضور الله والشعور بهذا الحضور. إنّ هذا الهدف هو حقيقة تعود إليها جميع الفضائل والكمالات. إنّ القرب من الله، والعلم بالله، والإيمان بالله، وما إلى ذلك، ناظر إلى حقيقة واحدة، ألا وهي الله.

ومن هنا يجب أن يكون «الله» نفسه ـ الذي هو حقيقة أزلية ـ هو المحور، وليس الأمور التي تربطنا به بنحو من الأنحاء. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا الارتباط بعبارات ومفاهيم مختلفة، من قبيل: القرب من الله، والوصول إلى الله، والعبودية، والطهر، والحياة الطيبة، والإيمان بالله. إنّ جميع هذه المفاهيم تشير إلى بيان كيفية ارتباط الفرد بالله، وفي الوقت الذي تشتمل على هدف خاص، فإنها تلعب دور الوسيط أيضاً، والذي يكون هو المحور والأصل هو الله والحقيقة الواحدة التي تقع معياراً لجميع هذه المظاهر وغيرها. كما أن الفلاح والسعادة والفوز العظيم هي من المفاهيم التي تشرح كيفية الارتباط بالله، وتجعل من الهدف النهائي أكثر وضوحاً[1].

إنّ عطاء الله اللامتناهي من الجنة وجنة عدن والفردوس والرضوان، إنّما هي مظاهر عن نتيجة ارتباط الإنسان بخالقه، وحتى القرب من الله ليس هو الهدف النهائي، وإنّما هو مجرد نموذج عن الارتباط الأكمل بين الإنسان والإله. وعليه لو استنبط مفهوم الهدف من هذه النماذج والأهداف، وتم إطلاقه عليها، فإنه يصبّ في مطلوبية تلك الحقيقة الواحدة، ألا وهي الله سبحانه وتعالى. إن التوجّه إلى الله يعتبر في الإسلام محوراً لجميع العقائد والأساليب التربوية وكافة القوانين والبرامج التوجيهية في الإسلام، وقد تم بناء صرح حياة الفرد المسلم على أساسٍ من هذه القاعدة. إنّ جميع المناهج

---

١. انظر: المجادلة: ٢٢؛ هود: ١٠٨؛ النور: ٥٢.

التربوية في الإسلام تحكي في حقيقتها عن الارتباط الوثيق بين الإنسان وخالقه، وإن جميع الفروع والأقسام التربوية تنشأ من هذا الارتباط وكيفيته، وإن مآل جميع الأمور في الختام إلى الله سبحانه وتعالى.

وفيما يلي نشير إلى بعض المفاهيم القرآنية التي تحكي عن الارتباط القائم بين الإنسان وبارئه:

١. العبودية: تعتبر العبودية، والحصول على الحياة الطيبة، والقرب الإلهي في القرآن الكريم من مصاديق السعادة. وقد جاء الأنبياء عليهم السلام ليوصلوا الإنسان إلى هذه السعادة. بيد أنّ السعادة ليست رهناً بكسب العلم أو الحصول على اللذة أو المزيد من القوّة والسلطة وما إلى ذلك[١]. وإنما تحصل سعادة الإنسان من خلال الارتباط مع الله، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه السعادة بالعبادة، وذلك إذ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[٢].

إن العبادة هي الغاية من خلق الإنسان. وإن الإنسان السعيد من وجهة نظر القرآن هو الذي يصل إلى هذا الهدف. وقد اعتبر النبي إبراهيم عليه السلام أسوة السعداء، ولسان حاله يقول: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣]؛ ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[٤] وفي المقابل فإنّ الذين يتمرّدون على عبادة الله، ويقيمون أساس حياتهم على غير جهة الله، ليس لهم من مصير غير الرزوح في الشقاء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.[٥]

---

١. انظر: مطهري، مرتضى، *هدف زندگى (هدف الحياة)*: ١٢.

٢. الذاريات: ٥٦.

٣. الأنعام: ٧٩.

٤. الأنعام: ١٦٢.

٥. غافر: ٦٠.

٢. القرب: إن المفهوم الآخر الذي يبيّن كيفية الارتباط بالله هو مفهوم القرب. والمراد من القرب ليس هو القرب الزماني أو المكاني، بل هو القرب الارتباط الروحي والمعنوي. وهو ارتباط يمدّ جذوره في أعماق وجود الإنسان وشخصيته، ويقرّبه من الله حقيقة.

٣. الحياة الطيّبة: لقد استعمل هذا المفهوم أيضاً لبيان كيفية الارتباط بالله، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[١].

والمراد من الطهارة ـ بالإضافة إلى الطهارة الجسمانية ـ هي طهارة النفس والروح الشاملة. وإن طهارة الروح ـ التي يطلق عليها في عرف الإسلام اسم الطهارة الكبرى ـ إنما تتبلور في أصل التوحيد، وتشمل جميع التعاليم العقائدية، وأصول الأخلاق العملية، والأعمال الشرعية[٢]. إنّ القرآن الكريم يرى أنّ الإنسان المطهّر هو الذي أدرك حقيقة الهداية القرآنية، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[٣]. إن القرب الإلهي هو المقام الأرفع الذي ناله أهل البيت عليهم السلام بوصفهم المصاديق الكاملة حيث يصلح التأسي بهم واتخاذهم من قبل الناس قدوة لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٤]. والمراد من الطهارة في هذا المورد، الطهارة الكبرى أيضاً، وهي تساوق الاعتقاد بالحق. وعليه يكون المراد من تطهير أهل البيت هو تجهيزهم بإدراك الحق في الاعتقاد والعمل.[٥]

---

١. النحل: ٩٧.

٢. راجع: *الميزان في تفسير القرآن*، العلامة الطباطبائي: ٢/ ١٨٠، تفسير الآية: ٢٢٢ من سورة البقرة.

٣. الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

٤. الأحزاب: ٣٣.

٥. *الميزان في تفسير القرآن*: ج ١٦، تفسير الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

وهناك في القرآن الكريم تعابير أُخرى لبيان نتيجة الوصول إلى الهدف أيضاً[1]، بيد أنّ هذه الموارد إنّما هي مجرد مظاهر لنيل الهدف النهائي الذي يمكن تحصيله من خلال المحافظة على مراتب كمال الإنسان في مختلف المراحل.

بحث خاص

لو آمنا بأنّ الله حقيقة واحدة وأنه المحور والهدف النهائي، وأنه يجب أن تنتهي جميع حركات الإنسان ـ من وجهة نظر الإسلام ـ إليه، يرد هذا السؤال القائل: كيف يتسنّى لنا أن ندرك حقيقةً هي خارج وجود الإنسان، والوصول إلى اكتشافها بوصفها هدفاً تربوياً؟ وبعبارة أخرى: إن الذي يؤثر فينا لا يمكن أن يكون أمراً خارجياً، وإذا أراد الأمر الخارجي أن يؤثّر فينا، فلا شك في أن تأثيره سيكون من خلالنا. من هنا فإن التأثير التربوي للهدف يقتضي أن يكون له أثر نفساني في أرواحنا وكياننا. ولذلك فمن الأفضل اعتبار ذلك الأمر الذي يؤثر في أرواحنا بوصفه هو الهدف النهائي. فمثلاً: إنّ القرب من الله مفهوم ينتزع من كيفية ارتباطنا بالحقيقة الخارجية (الله)، وإن هذا الارتباط الوثيق هو الذي يؤثر في ضميرنا. ولكن كيف يمكن لنفس وجود الله أن يكون هدفاً؟ وذلك لأن وجوده غير وجودنا، وأن الوصول إليه ليس من قبيل الوصول إلى الهدف والمقصد المكاني. ففيما يتعلّق بالوصول إلى الهدف المكاني يمكن لنا أن نقطع مسافة محددة، لنصل إلى ذلك المكان المنشود، ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك بالنسبة إلى الوصول إلى الله بوصفه حقيقة خارجية؟ كيف

---

١. وهي مفاهيم من قبيل: الجنة، وجنة عدن، والنعيم، والفردوس، والرضوان الإلهي في آيات من قبيل: الآية ٥٧ و١٢٢ من سورة النساء، والآية ٨ من سورة البينة، والآية ٩ من سورة يونس، والآية ١٠٧ من سورة الكهف، والآية ١٥ من سورة آل عمران، والآية ٢٧ ـ ٣٠ من سورة الفجر.

يمكن اعتباره هدفاً ومقصداً، يمكن بلوغه في نهاية الطريق وانتهاء الحركة؟ للإجابة عن هذا السؤال لا بد من التذكير بهذه النقطة الهامّة وهي: الوصول إلى هدف وغاية خارج وجود الإنسان، لا يعني الاتحاد مع ذلك الهدف، وإنّما يعني قيام نوع من الارتباط المنطقي والمعقول مع الهدف، والسعي إلى الوصول إليه. إن هذا النوع من الارتباط يختلف باختلاف الموارد؛ فمثلاً: عندما أقول: إن غايتي وهدفي هو الوصول إلى المدينة الكذائية، فهذا لا يعني أني أريد أن أتحد مع تلك المدينة، وإنما يعني الحلول فيها، أو مثلاً: عندما أقول: إن الهدف من الجهود التي بذلتها في الجامعة هو الحصول على شهادة جامعية، يكون المراد هو الحصول على تلك الشهادة. وهكذا عندما أقول: «هدفي هو الله»، لا يكون المراد هو الاتحاد مع الله، بل الارتباط به في إطار التقرّب منه، ومحبّته وعبادته. ومن هذه الناحية لا إشكال في أن نعتبر الله هدفاً نهائياً، ولكن يجب بيان الأثر التربوي للوصول إليه في قالب القرب الإلهي وغير ذلك من المقولات التي تفهم من طريقة ارتباطنا بذلك الوجود المتعالي. وعليه فإننا إذا كنا نأخذ القرب الإلهي بوصفه هدفاً نهائياً، فإن ذلك يعود إلى أن الأثر التربوي لهذا التعبير أكثر قابلية للفهم والاستيعاب، وإلّا فإنّ القرب الإلهي يعكس ذات ارتباطنا بالله. كما يجدر التذكير بهذه النقطة الهامّة وهي: أنه يمكن القول: إن هناك مفهومين للقرب، أحدهما عام والآخر خاص. والمراد هنا هو المفهوم العام من القرب. بمعنى القرب الشامل لكافة نشاطاتنا (فيما إذا كانت ذات توجّه إلهي)، وإلّا فإن القرب بمعناه الخاص الذي تمّ التعبير عنه في آيات القرآن الكريم تحت عنوان المقربين، فهو يختص بفئة خاصة من أصحاب التقوى، ولا يشمل من هم دونهم في المراتب التي لا ترقى إلى مراتبهم.

القسم الثاني

الأهداف العامّة (الوسيطة)

إنّ المراد من الأهداف الوسيطة هي سلسلة من الغايات العامة، التي يجب تحديدها بشكل أوضح، من أجل تبديلها إلى سلوكيات جزئية. إن هذه الأهداف ـ بالقياس إلى الهدف النهائي ـ ذات سعة أدنى، وهي تمثل الحد المتوسط بين الهدف النهائي والأهداف السلوكية والجزئية. إنّ الأهداف الوسيطة تعمل على إيضاح مسار حركة الإنسان إلى حدّ ما، وهي تشكل مجموعة يتبلور هيكل الهدف النهائي من خلال ارتباطها ببعضها. ومن ناحية أخرى، فإن كل هدف عام إنما هو ثمرة سلوكيات محددة صدرت عن الإنسان عبر الزمن طبقاً لبرنامج محدد. ولكن ما هي الفلسفة من وجود الأهداف الوسيطة؟ ألا يمكن للهدف النهائي أن يلبي حاجاتنا؟ وهل نعجز عن الوصول إلى الهدف النهائي من خلال تحقيق الأهداف الجزئية دون اللجوء إلى الأهداف الوسيطة؟ للإجابة عن هذه الأسئلة، من الضروري الالتفات إلى أهمية تحديد الأهداف الوسيطة، ولهذه الغاية سنبحث فوائد هذه الأهداف على النحو الآتي:

١. **تبويب مراحل الهدف النهائي**: إنّ الأهداف الوسيطة صورة مبوبة ومرحلية للوصول إلى الهدف النهائي، وهي في المجموع تشكّل الهدف النهائي. إن السبب الكامن وراء تقسيم الهدف النهائي إلى أهداف وسيطة هو

إيضاحها وإزاحة الغموض عنها، ليتمكن المرء من التعرّف بوضوح إلى مسؤوليته ومهمته في كل مرحلة من المراحل.

٢. تبويب الأهداف على أساس مراحل الحياة: إن لحياة الإنسان مراحل واقعية وغير اعتبارية. وإن مهمة الهدف النهائي تنحصر في تحديد الاتجاه والمسار، وأما تحديد كيفية سلوك واجتياز هذا المسار فلا تقع على عاتق الهدف النهائي. وإنما تقع أعباء هذه المهمة على كاهل الأهداف الوسيطة. ومن ناحية أخرى، هناك في طريق الحركة، الكثير من المشاكل والعقبات والموانع التي يتوقّف رفعها وتجاوزها على كيفية اجتياز الطريق، ولا يكفي مجرد معرفة المسير. وعليه فإن مهمة الهدف النهائي تنحصر في تحديد المسار، وأما مهمة الأهداف الوسيطة فهي بيان كيفية الطريق والمراحل التي تؤدي إلى الأهداف النهائية على المستوى العملي. فمثلاً: إن الهدف النهائي للتربية الإسلامية هو القرب من الله، وهذا هدف وسيط يحدد كيف يمكن للمرء أن يصبح من المقربين.

٣. الإسراع في الحصول على المكافأة: إن من بين أسس علم النفس التحفيزي هو الحصول على المكافأة عند إنجاز العمل. إن مراعاة هذه النقطة تحظى بأهمية بالغة من أجل تحفيز الإنسان واسترضائه للحصول على النتائج المطلوبة. إن الأداء التحفيزي للأهداف الوسيطة يرمي إلى الحصول على النتائج المطلوبة والملموسة في سياق الوصول إلى الهدف النهائي، وفي الحقيقة، فإن اجتياز كل مرحلة يشكّل بارقة أمل للتحرّك باتجاه المرحلة التالية، وخطوة ضرورية للوصول إليها.

بحث خاص

إنّ ما قيل من أن الأهداف الوسيطة هي ذات الهدف النهائي الذي تمّ

تقسيمه إلى مراحل مختلفة، لا يعني بالضرورة أن الزمان يلعب دوراً في ماهية هذه المراحل، فإن الارتباط بين المراحل الوسيطة والهدف النهائي هو ارتباط منطقي قبل أن يكون ارتباطاً زمنياً، بمعنى أنّ إنجاز كل مرحلة لا يكون إلّا بعد اجتياز المراحل السابقة لها. إن الارتباط بين الأهداف الوسيطة إما طوليّ أو عرضيّ. وفي الارتباط العرضيّ لا يكون هناك تقدم زمانيّ بين بعض الأهداف وبعضها الآخر، وكذلك ليس هناك بينها تقدم بحسب الرتبة. وأما فيما يتعلق بالارتباط الطوليّ فهناك تقدّم زمنيّ وتقدم بحسب الرتبة بين الأهداف. وبالطبع فإن نفس الارتباط الطوليّ لا يستوجب ضرورة منطقية، وقد حدث كثيراً أن طوى بعض الأشخاص مسيرة المئة ميل في ليلة واحدة.

بالالتفات إلى هذه المقدمة يمكن اختصار الأهداف التربوية الوسيطة من وجهة نظر الإسلام ضمن أربع مجموعات عامة، وهي كالآتي:

أ) الأهداف التربوية التي يكون الله سبحانه وتعالى هو محور الاهتمام فيها.[١]

ب) الأهداف التربوية التي يكون الفرد نفسه هو محور الاهتمام فيها.

ج) الأهداف التربوية التي يكون الآخرون هم محور الاهتمام فيها.

---

١. المراد من هذه الأهداف التربوية، ليس هو المفهوم العام للارتباط؛ وذلك لأنّ كل نوع من أنواع نشاط الإنسان إذا أخذ في سياق الارتباط بالله يكون مشتملاً على أثر تربوي، بما في ذلك الأهداف التربوية التي يكون الملحوظ فيها هو الذات والآخرون والطبيعة. بيد أنّ المنظور فيما يتعلق بالأهداف التربوية بشأن الله إلى جانب سائر الأهداف الوسيطة الأخرى هو مفهومه الخاص، بمعنى أنه كما يكون الارتباط بالله حاكماً على هذا الهدف، فكذلك محتوى الهدف بشأن الخالق أيضاً، من قبيل: معرفته والتوكل عليه وشكره وما إلى ذلك. لا شك في أن هذا النوع من الأهداف يختلف عن الأهداف الأخرى التي يدور محتواها وماهيتها حول غير الله، رغم أن الارتباط بالله ـ بالمعنى العام ـ يكون حاكماً على هذا النوع من النشاط التربوي أيضاً.

د) الأهداف التربوية التي تكون الطبيعية هي محور الاهتمام فيها.

إنّ الإنسان معرّض على الدوام لنوع من التعامل والارتباط، فهو داخل دائرة لا تسمح له بأن يتجنب التأثير والتأثر وإقامة العلاقات فيها. وإن العناصر التي يمكنها التأثير في كيان الإنسان عبارة عن: الله والآخرين والطبيعة. وإن الإنسان على الدوام في تعاطٍ وارتباط مع عنصر واحد أو أكثر من هذه العناصر. وبطبيعة الحال فإن الارتباط مع عنصر أو أكثر لا يشكل مانعاً من الارتباط بالعناصر الأخرى. فمن باب المثال: إن الارتباط مع الذات أو الطبيعة أو الآخرين يمكن أن يكون من بعض النواحي ارتباطاً مع الله أيضاً.

إن حصر الأهداف الوسيطة في هذه الأقسام الأربعة حصر عقليّ. وذلك لأننا مع قليل من التسامح لا يمكننا أن نتصوّر دائرة ارتباطية أخرى خارج هذه الدوائر الأربع. إنّ الأهداف الوسيطة تمدّ جذورها في هذه الأقسام الأربعة، ولا يمكن للطالب أن يكون له من هدف خارج هذه الأقسام الأربعة.

إنّ كل واحد من الأهداف الوسيطة الكلية يتحوّل إلى أهداف وسيطة أخرى تحكي عن أنواع أكثر جزئية من الارتباط تحت ذلك العنوان الكلي. وإن هذه الأهداف الأكثر جزئية تتمتع أيضاً بالكلية والشمولية، ولذلك هناك نوع من الارتباط الطوليّ بين هذه الأهداف الجزئية وبين الأهداف الوسيطة الكلية.

الفصل الأول

الأهداف التربوية للإسلام فيما يتعلّق بارتباط الإنسان بخالقه

إنّ هذه الأهداف تحكي عن نوع من الارتباط النظريّ والعمليّ بين الإنسان وخالقه. إن ارتباط الإنسان بالله يبدأ من معرفته به، ويتسع من خلال الانتماءات العملية في إطار التوكّل والشكر. ويمكن تلخيص المحاور العامة للأهداف التربوية في الارتباط مع الله بمعرفته، والإيمان به، وبالتقوى الإلهية، والعبودية، والشعور بالتكليف، والشكر.

معرفة الله

إنّ هذا الهدف يمثل مفتاح الوصول إلى الهدف النهائي. فإن لمعرفة الله دوراً هاماً في القرب منه. بل لا يمكن التقرّب من الله دون معرفته. وإن التخلّق بأخلاق الله، والحصول على الإيمان والتقوى، والتوكّل عليه وما إلى ذلك، كله رهن بمعرفته. إنّ المعرفة السطحية تقتضي تمسّكاً وارتباطاً ضعيفاً. وبعكس ذلك كلّما كانت المعرفة أوسع وأكثر عمقاً، كان الارتباط أكثر قوّة واستحكاماً. وقد جاء في الروايات، الكثير من الأمور المتعلّقة بمعرفة الله، الأمر الذي يدلّ على أهمية هذه المسألة. يقول الإمام علي عليه السلام: «أوّلُ الدين

مَعرفَتُه»[١]. كما جاء في الكافي: «أوّلُ الدِيانَةِ بِهِ، مَعرِفَتُه»[٢]. إن هذه الكلمة تحكي عن محورية معرفة الله، وإنه لا وجود للتدين لولاها. وإن المعرفة في هذا المقام إما حصولية أو حضورية.

المعرفة الحصولية: إن هذه المعرفة عقلية وتجريبية (حسية)، وعلى الرغم من احتمال وجود الخطأ، إلا أنه بإمكان المرء صيانة نفسه عن الوقوع في الخطأ إذا راعى بعض الشروط.[٣] إن العلم بصفات الله ودوره في الحياة بشكل عام وحياة الإنسان بشكل خاص، وحلّ المشاكل النظرية والاعتقادية التي تعرض في حياة الإنسان، تعمل بأجمعها على تمهيد الأرضية التي تمكّن الإنسان من القيام بوظائفه ومسؤولياته الدينية عن طيب نفس. ومن هنا فإن معرفة الله لا تنحصر بمعرفة الذات وصفات الأفعال الإلهية، وفي ضوء هذه المعرفة الرئيسة ترد المعارف العقائدية الأخرى أيضاً. إن التعاليم العقائدية تشتمل على طول الزمن ـ وبما يتناسب والثقافة السائدة والحاجة الفكرية ـ على سلسلة من الأسئلة التي تتوقّف الإجابة عنها على المعرفة التوحيدية. ومن هنا فحتى المسائل التي يتمّ طرحها حالياً في البحوث الكلامية والعقائدية المعاصرة يمكن اعتبارها داخلة ضمن سلسلة البحوث المتفرعة عن أصل المعرفة الإلهية، والعمل على حلها في ضوء هذه المعرفة التوحيدية. وليس هناك من شك في أن حلّ المشاكل العقائدية، والاستجابة للمطالب الفكرية، والاحتراز من كل شك أو شبهة، يترك أثراً ملحوظاً على مسيرة الحركة

---

١. *نهج البلاغة*: الخطبة الأولى.

٢. *أصول الكافي*: ١/ ١٤٠.

٣. المراد من ذلك رعاية الجوانب العملية المقترحة من قبل الدين. فالإنسان الذي يلتزم الزهد والتقوى والإيمان بالله ويجعل هذه الأمور محوراً، فإنه لا يتعرّض إلى الانحراف من خلال الإنجرار وراء الإلحاد والتشكيك مما ينشأ في الغالب عن الأهواء بعلم أو غفلة.

التربوية للإنسان، وإن الخوض في التعاليم العقائدية وحل معضلاتها يحضى بأهمية بالغة.

المعرفة الحضورية: إن هذا النوع من معرفة الله راسخ في فطرة الإنسان، فإن هذه المعرفة ممتزجة بجميع أبعاده العاطفية والنفسية. إن المعرفة الحضورية بالله هي التي تصوغ شخصية الإنسان، وتحدد نظامه السلوكي والعملي. وأنّ هذا النوع من المعرفة هو علم لا يتطرّق إليه السهو أو الخطأ، وهي المرحلة الوحيدة التي توصل الإنسان إلى الهدف النهائي مباشرة. وأنّ جميع الأهداف الوسيطة تقوم على خدمة هذا الهدف السامي، لكي نعرض عن غير الله من خلال معرفته وإدراكه الحضوري.

الإيمان

إنّ الإيمان مفهوم يحكي عن الاعتقاد الداخلي، وهو بمعنى التصديق لغة[١]. وقد استعمل في الشرع ـ بالإضافة إلى معناه اللغوي ـ بمعنى الإيمان القلبي والالتزام في مقام العمل أيضاً. وعليه يكون للإيمان ركنان أساسيان، وهما: الالتزام القلبي، والظهور العملي. روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من عمل بما أمر الله (عز وجل) به فهو مؤمن»[٢]، وعن الباقر عليه السلام: «الإيمان إقرار وعمل»[٣]. فلو أن عملاً صدر عن امرئ دون أن يعتقده قلبه فإنه لا يحكي عن إيمانه، وكذلك لو لم يكتب الظهور للالتزام القلبي، ولم يتجلَّ على المستوى العملي، كان دليلاً على نقصان الإيمان وضعفه. إنّ جميع مراتب الإيمان تشترك في أمر واحد، ألا وهو مدخل الإيمان المتمثل بالعمل بالمقتضى المشترك بين مختلف مراتب الإيمان.

---

١. *لسان العرب*: ١/ ٢٢٤.

٢. *أصول الكافي*: ٢/ ٣٢.

٣. *تحف العقول عن آل الرسول*، الحراني: ٢١٧.

وعلى الرغم من توقف الإيمان على العلم والوعي (الحصولي) بيد أنّه ما من شك في أنّ هذين المسارين يختلفان عن بعضهما. فالعلم يسعى إلى مجرّد الكشف عن الحقائق، أما الإيمان فهو أمر اعتقادي وأخلاقي، يخلق الحافز لدى الإنسان من أجل القيام بالعمل الصالح. فالعلم لا يمكن أن تكون له جهة أخلاقية خاصة، ومن هنا فإنه لا يعمل على بناء شخصية الإنسان وتهذيب سلوكه بالضرورة، وليست لديه أي ضمانة تنفيذية.

إنّ الهدف ـ من وجهة نظر الإسلام ـ هو الحصول على الإيمان وليس العلم البحت، لأن العلم من لوازم الإيمان الكامل، في حين أنّ الإيمان والالتزام العملي ليسا من اللوازم المنطقية للعلم، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

وقد عبر القرآن الكريم عن الإيمان بالله والنبي الأكرمﷺ بوصفه من أهداف البعثة النبوية، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]. ويقول أيضاً: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[3].

إنّ الذي يدل ـ في هذه الآيات وغيرها ـ على التوسط من دون الإيمان، هو تعلق الإيمان بالهدف النهائي الذي هو الله، وما ذكره النبي للتقرّب منه. وفي الحقيقة أنّ الإيمان وسيلة، وأنّ متعلّقه هو الهدف. وأنّ كلّ شيء يتعلّق به الإيمان يكون هو الأصل والأساس، وفيما يتعلّق بالإيمان بالله يكون الله هو الأصل والغاية النهائية.

إنّ الإيمان هدف وسيط، ويقوم من خلال مراتبه التكاملية على هداية

---

١. النمل: ١٤.

٢. الحديد: ٨.

٣. النساء: ١٦٢.

الإنسان نحو هدفه النهائي. وفي الروايات عندما يكون الحديث عن الإيمان، فإن المراد غالباً هو الإيمان بالله، والتأكيد على محوريته. وفي ذلك روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

أفضل الإيمان أن تعلم أنّ الله معك حيث ما كنت»،

وعنه أيضاً: «أفضل الأعمال أن تحبّ لله، وتبغض لله»[١].

الآثار التربوية للإيمان

إنّ المراد من الآثار التربوية للإيمان هو دور الإيمان في الوصول إلى الهدف النهائي المتمثل بالله سبحانه وتعالى. وإن الوظيفة الملقاة على عاتق هذا الهدف الوسيط تكمن في إيجاد الأرضية المناسبة لتنمية الصفات الإيجابية الفردية والاجتماعية لدى الطالب. وإن من بين أهم الآثار المترتبة على الإيمان هي:

الطمأنينة وانشراح الصدر: يواجه الإنسان طوال حياته أموراً تضعه أمام موقف في غاية الخطورة، وإذا واصلها ستقضي عليه لا محالة. لقد كان تاريخ البشرية في كل مرحلة من المراحل مفعماً بالمشاكل الروحية والنفسية للناس الذين عاشوا في تلك المراحل الخاصة. ففي مرحلة من مراحل التاريخ كانت الكوارث الطبيعية والحروب المدمّرة تعرّض حياته للخطر، واليوم يشعر بالوحدة واليأس وانعدام الأمل بسبب هيمنة الحضارة الغربية. فهل هناك من حلول لمواجهة الوضع المأساوي الراهن؟ وهل كتب على الإنسان أن يعيش في قلق دائم؟ ينظر الإسلام إلى الإنسان بوصفه كائناً قوياً جداً، ولذلك فإنه يستطيع التغلّب على جميع المشاكل، وإن الإيمان من العوامل التي تزوّده بهذه القوّة. وبعبارة أخرى: إن الإيمان بالإضافة إلى أنه يجعل الإنسان عضواً

---

١. *ميزان الحكمة*، ري شهري: ١/ ٣١٧.

فاعلاً في المجتمع، فإنه يحصّنه من خطورة المشاكل الروحية والنفسية، ويحلّ له مشاكله الاجتماعية والفردية.

إن الإنسان المعاصر وبسبب افتقاره إلى الإيمان الديني، أخذ يلجأ ـ من أجل التغلب على مشاكله الروحية والنفسية ـ إلى بناء وتوسيع الآراء الفلسفية والنفسية. وعلى الرغم من أن هذه الخطوات تبعث الأمل لدى الإنسان وتعطيه جرعة من التفاؤل النسبي، إلا أنها لا تستطيع الهيمنة على شخصيته، أو أن تسيطر على سلوكه. فالإنسان بحاجة إلى عنصر يكون على الدوام في متناول يده، وأن يكون جزءاً من شخصيته. وليس هذا العنصر إلا الإيمان الديني. إن الهدوء النفسي والطمأنينة القلبية ـ من وجهة النظر الدينية ـ ليست مسألة يمكن للإنسان أن يوجدها ويخطط لها، وإن الإنسان لا يمكنه الحصول على الطمأنينة إلّا من خلال التمسك والتشبّث بقدرة أسمى منه. إن انخفاض نسبة الامتعاض، ومقاومة الصعاب والآلام والمصائب والإخفاق والفقدان ومرارة الهزائم، بحاجة إلى قوّة تمكّن الإنسان من مواجهة هذا النوع من المشاكل. وهذه القوة لا يمكن للإنسان أن يحصل عليها إلا في ضوء الإيمان الديني، قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[1].

إنّ النشاط والانبساط والتفاؤل والأمل واللذة المعنوية وكل ما هو ضروري للحصول على الطمأنينة الروحية، لا يمكن للمرء أن يحرزه إلّا من خلال الإيمان الديني. وأنّ ما يؤدي إلى الحياة الضيقة والكبت من وجهة نظر القرآن الكريم هو عدم الإيمان بالله، والغفلة عن هذا الإيمان ونسيانه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[2].

---

١. الفتح: ٤.

٢. طه: ١٢٤.

وعليه فإنّ الحياة في ظلّ الإيمان الديني، تعتبر طوق نجاة يخلّص الإنسان من جميع المآزق، ويمنحه الهدوء والطمأنينة.

تجنّب المعصية: إن من بين الآثار الإيجابية الأخرى المترتبة على الإيمان، تجنّب الأعمال القبيحة. إن المؤمن لا يلوّث حياته الطاهرة بشوائب الحياة وأدرانها. وهو ما دام متحلياً بزينة الإيمان فهو في مأمن من الانحراف، ولكنه ما أن يتلوث بالمعصية حتى ينحرف عن هذا المسار وينحدر في وادي السقوط، وعندها يفقد حصنه المنيع المتمثّل بالإيمان. وأساساً فإن ميزة الإيمان الديني هو أنه يصون الفرد المؤمن ويحفظه من اقتراف الذنوب. وعليه فإن العاصي لا يمكن أن يكون مؤمناً. وهناك روايات تشير إلى هذا الأمر بشكل مباشر، حيث تقول: إنّ الشخص الذي يرتكب المعصية، لا يكون مؤمناً عند ارتكابها. فقد سُئل الإمام علي عليه السلام عن الكبائر التي تُخرج من الإيمان؟ فقال:

«نعم، وما دون الكبائر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن».[1]

وهناك من الروايات ما اعتبرت الإيمان مشروطاً بأداء الطاعات وتجنب المعصيات، وأشارت إلى أن الفرد عندما يرتكب المعصية فإنّ روح الإيمان ستفارقه. وسئل الإمام محمد الباقر عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا زنى الرجل فارقه روح الإيمان؛ قال: «هو قوله عزّ وجل: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[2]، ذلك الذي يفارقه».[3]

وفي الحقيقة فإن أحد أركان الإيمان هو العمل بالمعتقدات القلبية. فالإنسان إذا لم يعمل بما يعلم، لا يكون في الحقيقة مدركاً لماهية ما علم،

---

١. *بحار الأنوار*: ٦٩/ ٦٣.

٢. المجادلة: ٢٢.

٣. *بحار الأنوار*: ٦٩/ ١٩٠.

ولا يكون مؤمناً بما علم. وإن روح وجوهر الإيمان بالله هو الاحتراز من المعاصي؛ وذلك لأن المرء إذا أراد الوصول إلى الهدف النهائي وجب عليه اجتياز مراحل تجعله مستعداً للقرب من الله، وإن الإيمان هو أحد الأهداف الوسيطة التي تقوم بهذه المهمة.

دور الإيمان في الحياة الاجتماعية: إنّ سلامة المجتمع رهن بسلامة جميع أفراده. فلو أن جميع أفراد المجتمع كانوا يتمتعون بالإيمان الإلهي، فإنهم سوف يحضون بمجتمع طاهر وبعيد عن جميع أنواع التشتت والانحراف. إنّ المجتمعات الإنسانية التي تتمتع بخصائص الإيمان الديني - من الهدوء والسكينة والبعد عن المعاصي - سوف يتمكّن أفرادها لا محالة من إقامة المجتمع السليم الذي يحترم أبناؤه القوانين والحقوق ويحافظون على حدودهم ولا يعتدون على حدود الآخرين، ويعتبرون العدالة أمراً مقدّساً، ويثقون ويعتمدون على بعضهم. وإن الضمانة التطبيقية والتنفيذية في هذا المجتمع ليس هو الخوف من القوى العسكرية والعناصر التأديبية، بل هي الكيفيات الروحية والإيمان الذي يتحلى به أفراد ذلك المجتمع، خلافاً للأفراد في الكثير من المجتمعات الأخرى التي تكون فيها الضمانة الإجرائية والتنفيذية - لإطاعة القوانين ورعاية النظم والآداب الاجتماعية - ذات مناشئ بعيدة عن الإيمان والعواطف القلبية، حيث تقتصر على التوقعات المتبادلة والخوف من العناصر التأديبية الوضعية. إن الناس في مثل هذه المجتمعات محرومون من إقامة العلاقات العاطفية والأخلاقية، وهم يرزحون تحت وطأة سلطة الحكومة أو النظام الاجتماعي السائد، وما أن تغيب هذه العناصر المذكورة حتى يكشفون النقاب عن شخصياتهم الحقيقية، ويرتكبون جميع أنواع الجرائم والموبقات من أجل تحقيق أهوائهم ورغباتهم، معرضين بذلك سلمهم والسلم الاجتماعي للخطر.

إن هداية المجتمع تكون في ظل الهداية الفردية، وإن الإيمان الديني هو وحده الذي يستطيع تنظيم العلاقات بين الأفراد من خلال المحافظة على بعض النواحي والأبعاد المحددة، من أجل البلوغ بهذه العلاقات إلى أعلى مراتبها. إن المنطق الاجتماعي للإسلام يرى سلامة المجتمع متفرعة عن السلوك الإيماني لدى الأفراد، معتبراً هؤلاء الأفراد بمنزلة الجسد الواحد، بحيث لو أصاب الألم عضواً من أعضائه شعر الجسد بأكمله بذلك الألم، روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«المؤمنون في تبارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى [منه عضو] تداعى له سائره بالسّهر والحمّى».[1]

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم[2].

التقوى

إنّ التقوى كلمة شائعة في النصوص الدينية (الكتاب، والسُّنّة). وهي مأخوذة من «وقى» التي تعني: الحفظ والصون والوقاية. فالتقوى تعني: المحافظة على النفس، فالمتقون هم: الذين يحفظون أنفسهم. وأنّ استعمال كلمة التقوى بمعنى الخوف، والكفّ، والاحتراز لا يعكس المعنى الحقيقي للتقوى، فإنّ هذه الأمور إنّما هي من لوازم حفظ النفس وصيانتها من شيء ما، فالخوف من ذلك الشيء من الأمور المترتبة عليه. فمثلاً: إذا قيل: «اتقوا النار» كان المعنى قوا أنفسكم من عذاب النار والعذاب الإلهي، وبالمعنى المجازي أي خَفُوا من النار، وعندما يقال: «اتقوا الله» كان معنى ذلك ادخلوا في دائرة الحفظ الإلهي، وإذا استعمل مجازاً في

---

١. المصدر: ٧٤/ ٢٧٤.

٢. *كنز الكراجكي*: ١/ ٩٢.

الخوف من الله، لم يكن المعنى التخافوا من الله، بل المراد لتخافوا من العقوبة المترتبة على الخروج عن الحدود الإلهية. وبهذا المعنى فإنّ على المؤمن أن يخشى على الدوام من مغبّة طغيان نفسه الأمّارة وأهوائه المتمرّدة، كي لا يفقد السيطرة على زمام عقله، وأن يثق على الدوام بعون الله له.

وعلى هذا الأساس يكون معنى التقوى هو الصيانة، والصيانة على نوعين، وهما:

١. **الصيانة السلبية**: بمعنى أن يبادر المرء إلى الابتعاد عن المقدّمات التي من شأنها أن تؤدي به إلى الوقوع في المعاصي. وفي الحقيقة فإنّ تجنب الدخول في دائرة المنكرات، يحفظ الإنسان ويقيه من السقوط في مستنقع الرذيلة. وقد أشارت بعض الروايات إلى هذا المعنى من التقوى، إذ روي عن الإمام علي ﷺ أنه قال: «التقوى اجتناب»[1].

٢. **الصيانة الروحية**: بمعنى أن الإنسان حتى إذا وجد نفسه في مناخ الرذيلة، إلّا أنّه ـ حيث يتمتع بروح طاهرة ومحصنة تجاه ارتكاب المعاصي ـ يستطيع صيانة نفسه عما يدنّسها. وفي هذه الحالة يكون المرء على درجة أكبر من التقوى بالقياس إلى الحالة السابقة. وإن حصر حقيقة التقوى بتجنب الدخول في الأماكن الموبوءة بالمنكر ليس صحيحاً؛ وذلك لأن هذا التفسير يؤدي بالتدريج إلى شيوع ثقافة العزلة والابتعاد عن المجتمع. ومن هنا فإنه وإن كان من الواجب في بعض الأحيان سلوك الحالة الأولى لتجنب الوقوع في المنكر، إلا أنه من الأفضل للإنسان أن يعزز في نفسه الحالة الثانية بأن يوجد في نفسه العصمة من اقتراف الذنوب، لكي يتمكن من اجتناب المعاصي حتى إذا دخل في مناخها، مارس دوره ومسؤوليته الاجتماعية بشكل طبيعي.

وقد تمت الإشارة في الآيات الكريمة والروايات الشريفة إلى هذا النوع

---

١. *غرر الحكم ودرر الكلم*، الآمدي.

من التقوى. من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[1]. وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «من ملك شهوته كان تقياً»[2]، وروي عنه أيضاً أنه قال: «عند حضور الشهوات يتبيّن ورع الأتقياء»[3]. وهناك في الروايات أيضاً تعبيرات، من قبيل: «إنّ التقوى حصن حصين وإنها خير ساتر» الأمر الذي يحكي عن أن التقوى تحفظ الإنسان عند هجوم المعاصي والذنوب عليه، ومن ذلك قول الإمام علي عليه السلام: «أمنع حصون الدين، التقوى»، وقوله: «ثوب التقى أشرف الملابس»[4].

وبالطبع فإن توظيف كلتا الحالتين من الناحية التربوية يكون هو الأنجع والأولى.

١. التقوى هدف وسيط

بمعنى أن التقوى مرحلة من الازدهار الديني والإلهي، وأنّ الوصول إليها وتحقيقها يعتبر أمراً ضرورياً ومطلوباً في الكثير من الموضوعات الدينية. وقد تمّ تعريف التقوى بوصفها هدفاً وغاية للسلوك والنشاط الديني في الكثير من الآيات والروايات، ومن ذلك اعتبار التقوى غاية لبيان الآيات الربانية، من قبيل: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[5]. واعتبار عبادة الله مقدّمة للحصول على التقوى، من قبيل: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[6]. واعتبار تشريع

---

١. الأعراف: ٢٠١.

٢. *غرر الحكم ودرر الكلم*، الآمدي.

٣. المصدر.

٤. المصدر.

٥. البقرة: ١٨٧.

٦. البقرة: ٢١.

الأحكام مقدّمة للحصول على التقوى، من قبيل: قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]، وما روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

التقوى غاية لا يهلك من اتبعها، ولا يندم من عمل بها؛ لأن بالتقوى فاز الفائزون، وبالمعصية خسر الخاسرون.[3]

وعنه عليه السلام قال:

وأوصاكم بالتقوى، وجعلها منتهى رضاه.[4]

٢. اختلاف التقوى عن الإيمان

إن التقوى من الأهداف الوسيطة وهي على مستوىً مختلف عن الإيمان. وعلى الرغم من أنّ التقارب بين هذين المفهومين أمرٌ لا يمكن إنكاره؛ فالتقوى هي المنشأ والمصدر بالنسبة إلى الإيمان الحي والفاعل، حتى تمّ اعتبار الإيمان في بعض الآيات ظرفاً للتقوى، وكأنّ مرحلة من الإيمان تكون ممتزجة بمرحلة من التقوى، كما في قول الله تعالى حكاية عن النبي عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[5]، وقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾[7].

بيد أننا في مقام الانتزاع يمكننا أن نعتبر التقوى مرحلة أعلى من الإيمان في

---

١. البقرة: ١٧٩.

٢. البقرة: ١٨٣.

٣. *كنز العمال*: الخطبة: ٤٤٢١٦.

٤. *نهج البلاغة*: الخطبة رقم ٥٧.

٥. المائدة: ١١٢.

٦. المائدة: ٥٧.

٧. الحديد: ٢٨.

سلسلة مراحل القرب من الله. فإن مجرّد الإيمان لا يكون كافياً في حصول الرحمة ونزول البركات الإلهية. بل إن الذي يجعل المجتمع مستعداً للحصول على النعم والبركات الإلهية هو الوصول إلى المراحل الأعلى والأسمى المتمثلة بالتقوى الإلهية. وفي ذلك قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[١]. وهناك آيات ذُكرت فيها التقوى بعد الإيمان للصعود إلى المراحل الأعلى من أجل الحصول على النعم والبركات الإلهية، من قبيل: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٣]. وعليه فإن التقوى حالة روحية تهيمن على نوايا وأفعال وسلوكيات الإنسان، وتستوعب شخصيته بشكل عام.

وعلى الرغم من أن التقوى ذات مراتب ومراحل متنوّعة، إلّا أن الخصوصية المشتركة بين جميع مراحل التقوى هي أن زمام شخصية الإنسان وسلوكه تحت سيطرة الملكات والصفات التي تحفظه على الدوام من الزلل وتصونه من الوقوع في الخطأ. وقد أشار القرآن في الكثير من مواطنه إلى شرف المتقين وكرامتهم وقيَمهم الوجودية، دون أن يذكر ولو مرّة واحدة

---

١. الأعراف: ٩٦.

٢. المائدة: ٦٥.

٣. البقرة: ١٠٣. وما إلى ذلك من الآيات من قبيل: الآية ٦ من سورة التحريم، والآية ١٧٩ من سورة آل عمران، والآية ٢٩ من سورة الأنفال، والآية ٣٦ من سورة محمد، والآية ٦٣ من سورة يونس، والآية ٥٧ من سورة يوسف، والاية ٥٣ من سورة النمل، والآية ١٨ من سورة فصلت. قال العلامة الطباطبائي في تفسير الآية الأولى من سورة البقرة: (المتقون هم المؤمنون، وليست التقوى من الأوصاف الخاصة لطبقة من طبقاتهم، أعني: لمرتبة من مراتب الإيمان حتى تكون مقاماً من مقاماته، نظير الإحسان والإخبات والخلوص، بل هي صفة مجامعة لجميع مراتب الإيمان إذا تلبّس الإيمان بلباس التحقق). *الميزان*: ٤١/١.

إمكان فقدانهم للتقوى الإلهية، والسقوط في مستنقع المعاصي، كما هو الحال بالنسبة إلى سائر المؤمنين.[١] بل اعتبروا على الدوام بأنّهم من ذوي الدرجات الإنسانية العليا، وكانوا لذلك أهلاً للثناء والتبجيل. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[٢]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣]، وقال أيضاً: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٤]، وقال أيضاً: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥].

كما ذهبت الروايات ـ تبعاً للقرآن الكريم ـ إلى اعتبار التقوى بوصفها أفضل الثياب، وحصن المؤمن، والحبل المتين، ومفتاح الصلاح والفلاح، وبناء الدين، وعماد التديّن. وإن الخصائص التي ذكرت للكيفية الروحية للإنسان في النصوص الدينية تحكي عن قيمتها وأهميتها البالغة والكبيرة. وعليه فإننا إذا أردنا الوصول إلى أعلى مراتب ومدارج القرب من الله، تعين علينا بعد الإيمان بالله، وما جاء به النبي، أن نراقب أنفسنا على الدوام عند امتثال جميع الأوامر الإلهية، والإعراض عن جميع المعاصي وحتى الشبهات، في إطار خاص، ألا وهو الإطار المتمثل بالتقوى الإلهية.

٣. التقوى وسيلة للوصول إلى المراحل العليا

في سلسلة المراحل التصاعدية إلى الله سبحانه وتعالى، تعتبر التقوى من

---

١. جدير بالذكر أن استحكام شخصية الإنسان مأخوذة من قوة التقوى، بيد أن هذا لا يعني ان التقوى عصية على الزلل، فإن التقوى وإن كانت ضمانة جيدة من الوقوع في شَرك الكثير من الذنوب، ولكننا نجد في التعاليم الدينية تأكيداً على الحذر من بعض الذنوب ذات التأثير القوي حتى على المتقين، من هنا يجب الحذر منها، بمعنى التقوى من النوع الأول.

٢ الطلاق: ٥.

٣. الحجرات: ١٣.

٤. طه: ١٣٢.

٥. القصص: ٨٣؛ الأعراف: ١٢٨.

المراتب العليا، ولكنها مع ذلك تعد مقدمة وواسطة بالنسبة إلى المراحل الأخرى. فهناك الكثير من الآيات في القرآن الكريم تعرّف التقوى بوصفها وسيلة للوصول إلى المراحل والمراتب الأخرى. ومن بينها:

١. الوصول إلى مرتبة الشكر، من قبيل: قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١].

٢. والتعرّض إلى الرحمة الإلهية من قبيل: قول الله تعالى: ﴿وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢].

٣. والحصول على بركات السماء والأرض من قبيل: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[٣].

٤. والحصول على الأجر العظيم من قبيل: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[٤].

٥. وصحبة الله من قبيل: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٥].

٦. والإحاطة بالعلوم والمسائل بوضوح من قبيل: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٦].

٧. وتحقيق النجاح في مختلف المواقف من قبيل: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾[٧].

وعلى الرغم من أن الكثير من هذه الموارد تعد من الآثار المترتبة على

---

١. آل عمران: ١٢٣.
٢. الأعراف: ٦٣.
٣. الأعراف: ٩٦.
٤. الطلاق: ٥.
٥. البقرة: ١٩٤.
٦. الأنفال: ٢٩.
٧. الطلاق: ٢ـ٣.

التقوى، بيد أنه يمكن اعتبارها بأجمعها من أهداف الحصول على التقوى أيضاً. ومن ناحية أخرى، فإن التأكيد الكثير في الآيات والروايات على التقوى «الإلهية» يحكي عن أن التقوى ليست هي الغاية النهائية، بل إنها على غرار الإيمان ذات متعلق، وأن ذلك المتعلق هو الأصل ومنتهى الغاية. ففي تعبيرات من قبيل: «اتقوا الله»، و«تقوى الله» الواردة في الكثير من الآيات والروايات، نجد (الله) هو الأصل والمحور، بمعنى أن تقوى الله هي التي تقع موضع الاهتمام، وليس أي تقوى أخرى يضعها الإنسان بديلاً عن تقوى الله عز وجل.

٤. الآثار التربوية للتقوى

إن للتقوى تأثيراً كبيراً على حياة الإنسان سواء من الناحية المادية أو الناحية المعنوية، فبالإضافة إلى الثمرات التي تقدم ذكرها في بحث الإيمان، هناك فوائد وآثار أخرى أيضاً. وبعبارة أخرى: من وجهة نظر القرآن الكريم هناك نتائج تترتب على التقوى، لا يمكن لغير المتقي أن يحصل عليها. وإن تلك النتائج عبارة عن:

١. **الوضوح في الرؤية**: إن من بين الآثار التربوية الهامة المترتبة على التقوى هي وضوح الرؤية. والمراد من الوضوح في الرؤية، هو نوع من الإحاطة بمسار حركة الحياة في ضوء النور الإلهي. فالإنسان المؤمن هو الذي لا تقهره حوادث الحياة ووقائعها، ويعمد في مسرح الحياة إلى انتقاء الخيارات الصائبة والصحيحة في دائرة نشاطه الدؤوب. إن التقوى هي صفة يستطيع الإنسان المؤمن من خلالها أن يتلمس الصراط المستقيم ويميّزه من السبل الأخرى التي تؤدي إلى الانحراف، ويتمكن في ضوء الوضوح في الرؤية الناتجة عن التقوى من الوصول إلى الغاية النهائية وهي القرب من الله عز وجل. إنّ حياة الإنسان مفعمة بالخيارات. وهو في كل لحظة ـ سواء على المستوى الفكري والنظري أو

على المستوى الفعلي والعملي ـ يعمد إلى اختيار موقف من المواقف. من هنا فإن اختيار الموقف سواء على المستوى الاعتقادي أم على المستوى العملي أمر لا مناص منه، ولا شكّ في ضرورة أن يكون هناك معيار وميزان يصوّب عملية الاختيار. فإنّ الكثير من الناس ـ وبسبب عدم إحاطتهم بعاقبة الأمور ـ يكونون عرضة للانحراف، وحيث إنّهم يميلون إلى الخيارات الخاطئة، فإنهم يبتلون بنتائج غير ممدوحة العواقب. وإن هذا النوع من التجارب المريرة يدخل الناس في اضطراب مريج بشأن اختيار الطريق الصحيح من الطريق الخاطئ. ولا يمكن اختيار الطريق الصحيح إلّا من قبل أولئك الذين يدركون عاقبة الأمور، ويتمكنون من اختيار الطريق الصحيح مستعينين بوضوح الرؤية قبل المبادرة إلى خوض التجربة. إن هذا الوضوح في الرؤية ـ طبقاً لمنطق القرآن ـ لا يكون إلّا من نصيب الذين تحلّوا بصفة التقوى، وعملوا على توظيفها في حياتهم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1]. إن التقوى في الرؤية الإسلامية تمنح المرء قوة الفرقان، بمعنى القدرة على التمييز والتفريق بين الحق والباطل. ويتجلى هذا التفريق بين الحق والباطل في مختلف المجالات. إن ثمار شجرة التقوى تطلع من خلال التمييز بين الحق والباطل الذي يتجلّى على هيئة الإيمان والكفر، والهداية والضلال. إن التقوى تجعل الإنسان قادراً في مقام العمل على التفريق بين الطاعة والمعصية، وكل ما من شأنه أن يرضي الله أو يسخطه، كما تجعله قادراً ـ في مقام اختيار الرأي والنظر ـ على التمييز بين الرأي الخاطئ والرأي الصائب. أنّ المتقي ـ ومن خلال التمسّك بالتقوى الإلهية ـ يتسلّح بسلاح الوضوح في الرؤية، ويغدو بإمكان عقله ـ في ضوء الهدوء والطمأنينة الحاصلة

---

١. الأنفال: ٢٩.

من السلامة الروحية والنفسية ـ أن يعمد إلى اختيار الموقف المناسب في كل واحد من هذه المجالات الفكرية والعملية بما يتناغم مع ضمان سعادته، وأن يحدد مساره دون خوف أو شك أو تردد. ومن ناحية أخرى فإن الذين يضعون أنفسهم في الأجواء المشحونة بالذنوب والآثام، سيحرمون في حياتهم من دعامة العقل الذي هو من أعظم نعم الله على العباد. روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»[١]. وعنه عليه السلام أيضاً: «الهوى عدوّ العقل»[٢]. وإنّ السر في تنوير العقل والوضوح في الرؤية الحاصل من التقوى، هو أن التقوى تمهّد الأرضية لإعمال الفكر بروية، والعمل على اختيار الطريق الصحيح وتمييزه من الطريق الخاطئ بهدوء وتمعّن.

والذي نحن بصدد توظيفه من التقوى في هذا الكتاب التربوي هو مجرّد إعداد الأرضية المناسبة من أجل تنمية الاستعداد العقلي، وإيجاد الرؤية والتفكير الصحيح في هذا السياق. وهناك مواضع من القرآن الكريم تثبت أن اعتبار كون المخلوقات في الكون آية على وجود الله وحكمته وعظمته وتدبيره، لا يتضح إلّا في ضوء التقوى، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[٣]. وهذا يعني أن دور التقوى في الحياة الفكرية للناس يتضمن إدراك عظمة لله والوصول إلى كنه أسرار الخلق. إن المتقين هم الذين يحضون على الدوام بالهداية والعناية الإلهية، إذ يقول تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤]. كما أنّهم يحضون بالتعاليم الإلهية في إطار معرفة المسائل الشرعية والعمل بمضامينها.

---

١. *نهج البلاغة*: الحكمة: ٢١٩.

٢. *مصباح الشريعة*: الباب: ٣٨، ص ٢٢٣.

٣. يونس: ٦.

٤. البقرة: ٢.

وباختصار يمكن اعتبار التميز بين الحق والباطل بوصفه الأثر التربوي الأول المترتب على التقوى، والفصل بين هذين العنصرين في المجالات الثلاثة الآتية:

أ) **العقائد**: فالتقوى هي ميزان التفريق بين الإيمان والكفر، أو الهدى والضلالة.

ب) **العمل**: حيث إن التقوى تفرّق بين الطاعة والمعصية.

ج) **الرأي والتفكير**: إذ إن التقوى تميز الرأي الصائب من الرأي الخاطئ.

٢. **التغلب على المشاكل والمعضلات**: إن من بين الآثار التربوية الأخرى المترتبة على التقوى، هي التخلص من المشاكل والصعاب. فمن وجهة نظر القرآن، إن الله يهب المتقي قوّة دفاعية خاصة ـ سواء على المستوى النفسي والداخلي أو على المستوى الخارجي ـ بحيث يستطيع من خلالها التغلب على جميع المشاكل المحيطة به. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]. وكما تقدمت الإشارة في معرض الحديث عن الآثار التربوية للإيمان، فإنّ الطمأنينة الحاصلة من الإيمان الإلهي تحصّن الفرد من الحوادث التي يكون لإرادة الإنسان دخل فيها، أو تلك التي لا يكون لإرادة الإنسان تأثير فيها. كذلك الأمر بالنسبة إلى التقوى أيضاً، فإنها تمنح الإنسان مثل هذه القدرة على نحو أشد وأقوى، حيث تفرض سيطرتها على شخصية الإنسان، وتربطه بالقدرة الأزلية والأبدية

---

١. الطلاق: ٢.

٢. الطلاق: ٤.

٣. الليل: ٥ ـ ٧.

٤. الأعراف: ٣٥.

لله عزّ وجل، وبذلك فإنها تضمن له ما يساعده على رفع مشاكله والعقبات المائلة في طريقه. وأساساً فإن من جملة الآثار الوضعية المترتبة على التقوى، هي تسهيل الأمور والتمكن من التغلب على المشاكل والصعاب. إن المتقي يتمسّك عند احتدام أمواج الحوادث والفتن بحبل الله المتين، فيخلّص نفسه من اليأس والقنوط. قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[١]، وقال أيضاً: ﴿لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[٢]. وحيث إنه يتسلح بشعاع الأنوار الإلهية، ويتمتّع بالفيض الرباني، حيث قال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾[٣] وقال أيضاً: ﴿وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤]؛ فإنّه يتجاوز العقبات الماثلة في طريقه، ويعتلي صهوة التقوى بصبر واستقامة ويمضي قدماً نحو الغاية النهائية والهدف السامي، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥]. إنّ الصبر والحلم من بين أهم النتائج المترتبة على الإيمان. فإنّ الإنسان المتقي عند احتدام المشاكل حيث يتحلى بالأمل فيما يتعلق بقدرة الله، فإنه سوف يتمتع بصبر خاص لا يمكن أن يتحلى به غيره.

كما أنّ من بين أهمّ الثمار المترتبة على هذا الأثر التربوي، هو تنمية روح المقاومة في الإنسان، والتي تخلق لديه نوعاً من الصبر والقوّة على التحمّل. فعلى الرغم من أنّ أصل النجاح في مواجهة المشاكل ناشئ عن وجود قوّة المقاومة، إلا أنّ تجربة تكرار المقاومة الناجحة يكون سبباً في تنمية قوّة المقاومة. إنّ إعداد وتربية الصغار على تحمّل الصعاب، ومواجهة

---

١. النمل: ٥٣.

٢. طه: ١٣٢.

٣. ص: ٤٩.

٤. الزخرف: ٣٥.

٥. هود: ٤٩.

المشاكل، يؤدّي بهم إلى مواجهة العقبات ومشاكل الحياة منذ مستهل التنمية، وأنّ يذوقوا حلاوة التغلّب عليها من خلال توجيه وهداية المربين ومساعدتهم، والوصول إلى الغايات والأهداف في ظل مساعيهم وجهودهم الشخصية. ولا شك في أن التأني إنما يكون نافذاً في روح الإنسان، إذا تمسَّك بالصبر والمقاومة والثبات بوجه المشكلات مما يجعله أقرب إلى أهدافه منه إلى التسرّع وعدم الاستقرار. وبشكل عام فإن كل إنسان إنما يتحلى بالصبر فيما إذا كان أولاً: على استعداد نفسي من أجل الصمود والمقاومة. وثانياً: أن يعلم بأنه سيحصل على النتيجة التي يرومها من خلال السعي وبذل الجهد والصبر والاستقامة. فإن الكثير من الأفراد مع أنهم يدركون ضرورة الصبر أمام المشاكل والصعاب من أجل الوصول إلى الهدف، بيد أنهم حيث لا يملكون هذا الاستعداد من الناحية الداخلية، وحيث لم يوجدوا في أنفسهم أرضية الصبر والثبات، فإنهم لا يستطيعون الصمود والمقاومة بوجه المشاكل والصعاب. وإن روح الصبر والاستقامة إنما تحرز في ضوء بعد النظر (وضوح الرؤية الناتجة عن التقوى) والاتجاهات الإنسانية السامية. إن الإنسان المتقي هو الذي يستطيع تحليل عواقب الأمور برؤية إلهية، وأن يميّز طريق الحق من طريق الباطل، كما أنه هو الذي يستطيع أن يصارع جميع المشقات والمنغّصات الداخلية والخارجية على المستوى العملي، وأن ينجح في الوصول إلى أهدافه. وعلى هذا الأساس فإن الصبر والتأني الديني إنما يتحقق في ظل التقوى الألهية، وليس هناك أي عامل يستطيع أن يخلق هذه الروحية في الإنسان.

٣. حفظ وصيانة النفس من التمرّد: إنّ من بين الآثار البارزة المترتبة على التقوى، صيانة النفس عن المعاصي. وعلى الرغم من أنّ الوضوح في الرؤية الحاصل من هذه الصفة الإلهية يجعل المرء على معرفة بالضلالة والضياع، بيد

أنّ دور التقوى ليست مجرّد بثّ للوعي، بل إن دورها يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يأخذ الاتجاه العملي بنظر الاعتبار أيضاً. إن المنظور الرئيس والأول من هذا الأثر التربوي هو الدور الفاعل للتقوى في الحياة الإنسانية. تذهب الرؤية الإسلامية إلى القول: إنّ الإنسان المتقي يميل ميلاً باطنياً وفطرياً إلى الله، وإن هناك قوّة تلقائية تنظم حركة الإنسان للوصول إلى الله، وضمان عدم انحرافه في مسيرة الحياة، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[1]، ومن وجهة نظر القرآن الكريم ليس هناك من زاد لقطع هذا الطريق المليء بالعقبات والمنعطفات غير التقوى الإلهية، وفي ذلك قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[2].

العبادة

إنّ من بين الأهداف الوسيطة الأخرى التي يتمّ طرحها فيما يتعلّق بالارتباط بالله هي العبادة التي تشتمل على مرحلة من المراحل الخاصة بالعروج إلى الله سبحانه وتعالى. وبطبيعة الحال فإن العبادة بمعناها العام تشمل كل ما يرتبط بالله عزّ وجل؛ وذلك لأن روح العبادة تعني الشكر والتبجيل والخضوع أمام الله (تعالى) في جميع مراحل القرب والتقرّب إليه؛ فإننا عندما نتمسك بمعرفة الله في إطار التقرّب منه، نكون في الحقيقة قد مارسنا نوعاً من العبادة والتقرب منه سبحانه وتعالى. كما أن الإيمان والتقوى والشكر والتوكل تشتمل على هذا المظهر من التقرّب المتمثّل في العبادة. وإن المنظور في إطار هذا الهدف الوسيط، ليس هو المعنى العام للعبادة، وإنما هو مفهومها الخاص.

---

١. الأعراف: ٢٠١.

٢. البقرة: ١٩٧.

والمراد من العبادة بهذا المعنى هو إقامة نوع من الارتباط المباشر مع الله، حيث يكون نفس الارتباط من أهم خصائصه. وإن العنوان الذي يعبّر عن هذا الارتباط ليس شيئاً آخر غير العبادة، خلافاً لما عليه الأمر فيما إذا كان المنظور في ذلك هو العبادة بالمعنى العام، حيث تصدق بشأنها عناوين أخرى من قبيل: المعرفة والتوكّل والشكر وما إلى ذلك أيضاً. بالالتفات إلى هذه المقدمة فإن العبادة عبارة عن نوع من الارتباط الخاشع والمسبح والمفعم بالإطراء والثناء والتبجيل الذي يقوم به الإنسان تجاه بارئه وخالقه سبحانه وتعالى. وإن هذا الارتباط يتحقق على نحوين:

١. **العبادة اللفظية**: وهي بيان سلسلة ومجموعة من العبارات والأذكار، من قبيل: قراءة سورة الحمد والسورة في الصلاة، أو قراءة الدعاء.

٢. **العبادة العملية**: يقوم الإنسان بأعماله العبادية للتعبير عن خضوعه لخالقه، ويعمل على إظهار مشاعره عن طريق القيام بأعمال عبادية خاصة.

ومن الضروري الالتفات إلى هذه النقطة وهي أنه على الرغم من أن روح العبادة تتبلور لدى الإنسان من خلال تكرار الألفاظ والقيام بالأعمال الخاصة، إلّا أن مجرّد هذه الأعمال لا تكون كافية من أجل تحصيل حقيقة العبادة ألا وهي تنمية روح العبودية، وإذا كانت العبادة ـ اللفظية والعملية ـ خالية من التدبّر والإخلاص، فإنها لن تحتوي على تأثير ملحوظ في تنمية روح العبودية. وإن هذه الروحية إنما يمكن الحصول عليها إذا كانت الأعمال الظاهرية مقرونة بحضور القلب والإخلاص الداخلي. روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «لا خير في عبادة ليس فيها تفقّه»[1]، كما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «لا عبادة إلّا بالتفقّه»[2].

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٥/٧٨.

٢. المصدر: ١٣٨.

١. العبادة هدف وسيط

إنّ مرادنا من اعتبار العبادة هدفاً هو الحصول على روح العبودية وتنميتها بحيث تكون لدى الإنسان على الدوام حالة من الخضوع والخشوع تجاه الله سبحانه وتعالى، وأن يؤمن العبد من صميم قلبه بإحاطة الله بأعماله وسلوكه ونواياه. وهناك من الآيات القرآنية ما يصرّح بأن أساس خلق الإنسان يقوم على عبادة الله، من قبيل: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، وهذا يعني أنّ الإنسان إذا لم يجعل عبادة الله محوراً له، فإنّه لن يبلغ كنه السر الكامن من وراء خلقه. وهناك من الآيات ما يؤكد على أن الهدف من بعث الأنبياء وإرسال الرسل عليهم السلام هو التوصل إلى عبادة الله، وذلك من قبيل: قول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[٥]. والذي يُستنبط من هذه الآيات هو العبادة بالمعنى الخاص، وهو المتمثل في وصول الإنسان إلى مقام العبودية لله والخضوع والخشوع في حضرته.

٢. ارتباط العبادة بالهدف النهائي

إنّ العبادة بالمعنى الخاص تعني القيام بسلسلة من الأعمال العبادية من

---

١. الذاريات: ٥٦.

٢. النحل: ٣٦.

٣. الأنبياء: ٢٥.

٤. المؤمنون: ٣٢.

٥. المؤمنون: ٢٣.

أجل الحصول على روح العبودية، إلّا أن نفس القيام بالأعمال وبيان الأذكار التي يتمّ طرحها في هذا المقام ـ بوصفها هدفاً وسيطاً ـ لا تعني روح العبودية، بل هي مقدمة للحصول على تلك الروح. وبعبارة أخرى: إن العبادة وسيلة للتقرّب من الحق تعالى والتكامل الواقعي للإنسان، وهي إحدى الوسائل التي أقرّها الإسلام واختارها وشرّعها لهداية الإنسان وتكامله وتربيته على المستوى الروحي والأخلاقي. وإن ما يتمّ رسمه من الزاوية الإسلامية بشكل محدد في بيان حقيقة العبادة ـ بوصفها هدفاً وسيطاً ـ يتمثل في أنه يجب على الناس من أجل التقرّب من الله أن يقوموا بسلسلة من الأعمال العبادية بحضور قلب وتدبّر. إن هذا الهدف العام، يجب توفير أرضية تحققه في النظام التربوي للإسلام في مستهل البدء بالوسائل التربويه للطفل، ليتمكن فيما بعد ـ عندما يبلغ مرحلة التكليف بالعبادات ـ أن يمارسه في رهاب الصلاة والصيام والحجّ وما إلى ذلك من الأحكام الشرعية، ويجب أن يقترن أمثالها بحضور قلب وتدبّر تام، ودون أن تشتمل على أيّ مشقة أو صعوبة وعنت.

إنّ العبادة بوصفها سلسلة من الأعمال والأذكار المقترنة بحضور القلب، ـ بالإضافة إلى ارتباطها بالهدف النهائي المتمثل بالقرب من الله ـ، فإنها ترتبط على نحو متبادل بسائر الأهداف الوسيطة الأخرى أيضاً. وفي الحقيقة كلما مارس الإنسان العبادة بشكل عميق، فإن روح الإيمان والتقوى والشكر والتوكل ستنمو في وجوده على نحو أشد، ويغدو أكثر استعداداً لتقبل المعارف الأسمى. ومن ناحية أخرى كلما اكتملت معرفته، وارتقى في مدارج الإيمان والتقوى، فإن عبادته سوف تتجلى على نحو أكبر.

٣. الآثار التربوية للعبادة

قبل التعرّض إلى التذكير بالآثار التربوية للعبادة، علينا أن نطرح هذا

السؤال: هل يمكن للعبادة أن تكون ذات أثر تربوي؟ وبعبارة أخرى: ما هو دور العبادة على مسار حياتنا؟ وما هو التأثير الذي يمكن لبعض الأعمال الرمزية وبيان بعض الأذكار الخاصة أن تتركه على حياتنا؟ ولو أننا عمدنا إلى تقسيم الحياة إلى قسمين: دنيوية وأخروية، ألا تنحصر نتيجة ومعطيات العبادة بالحياة الأخروية فقط؟ والذي يتعيّن علينا بيانه في معرض الإجابة عن هذه الأسئلة هو أن تقسيم حياة الإنسان ـ من وجهة نظر الإسلام ـ إلى دنيوية وأُخروية، وتفسير هذا التقسيم على اعتبار عدم تأثير أحد هذين القسمين في الآخر غير صحيح. إن لحياة الإنسان في الدنيا مسار متواصل، تكون كل لحظة فيه متأثرة باللحظة السابقة لها. وإن هذا التأثير والتأثر هو الذي يبني شخصية الإنسان، ويفرض سيطرته وهيمنته على سلوكه وأفعاله الظاهرية. فإن الوجود الحقيقي والواقعي للإنسان ـ أو بعبارة أخرى: شخصيته ـ ليست شيئاً آخر غير السلوكيات والأفكار والنوايا والمشاعر المتبلورة لديه على طول الزمان. وهذا هو مكمن الفرق بين الناس وتمايزهم من بعضهم البعض. وفي الحقيقة فإن منشأ الاختلاف في المنظومة الشخصية لكل فرد عن الفرد الآخر يكمن في نوع السلوك والأداء الفردي والتأثير والتأثر المتبادل بين أفراد المجتمع الإنساني. فعلى الرغم من أن الإنسان محكوم ـ من بعض الجهات ـ لسيطرة منظومته الشخصية الخاصة به، إلا أنه في الوقت نفسه يستطيع تغيير هذه المنظومة، وبناء منظومة أخرى بدلاً منها. وهذا هو مكمن السر في حرية الإنسان واختياره وقدرته، حيث يستطيع ـ من خلال إرادته ـ تغيير مسيرة حياته، والتحرّك باتجاه الغاية التي أرادها. إن المراد مما قيل: إن الفرد يخضع لسيطرة بعض الملكات ومنظومته الشخصية، يعني أن هناك مجموعة من الصفات الرئيسة هي التي تشكل صرح سلوكياته وأفعاله وحتى أفكاره ونواياه، ولكن في الوقت نفسه يجب الالتفات إلى هذه النقطة أيضاً، وهي أن

هذا الفرد ـ على كل حال ـ يمتلك كامل الحرية والاختيار في انتخاب قواعده الشخصية وأسسه الفكرية.

إن هذه المنظومة الشخصية التي هي حصيلة سنوات من حياة الإنسان، والتي تظهر في هذه الدنيا على شكل سلوكيات وأفعال ظاهرية ونوايا وأفكار باطنية، سوف يكون لها ظهور في الحياة الأخروية على نحو أجلى وأكثر وضوحاً. إن حسن وقبح أفعال الإنسان، وجمال وقبح روحه، وخبث أو طهارة طينته التي تظهر في هذه الحياة الدنيا على نحو باهت، سيكون لها في عالم الآخرة ظهور أقوى وأجلى. وبالالتفات إلى هذا التفسير فإن سلوكياتنا وأفعالنا في هذه الحياة الدنيا، هي التي ستحدد مسار حياتنا الأبدية والخالدة في الآخرة. وإن العبادة بوصفها واحدة من الأعمال الأخرى في هذا المسار، تلعب دوراً خاصاً في هذا الشأن. وبعبارة أخرى: إن لسلوك الإنسان في إطار العبادة ـ بوصفها فعلاً من الأفعال ـ تحتوي على تأثير في قولبة شخصيته بالتوازي مع الأفعال والأعمال الأخرى، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قال الله تعالى: يا عباديَ الصِدّيقينَ، تَنعَّموا بعِبادَتي في الدُنيا، فإنَّكُم تَتنعَّمونَ بها في الآخِرَةِ»[1].

إنّ المراد من الاثار التربوية للعبادة، هو تماماً ذات المفهوم الذي كنا نريده من خلال البحوث السابقة من الآثار التربوية. فإن للعبادة أيضاً ـ إلى جانب سائر المظاهر الأخرى من مظاهر الارتباط بالله ـ آثاراً تربوية محددة، وإن من بين أهم تلك الآثار التربوية هي:

١. **تجنب التكبّر وحبّ الأنا**: إنّ من بين الأسس الأخلاقية المنشودة للإسلام في جميع المسائل التربوية، هو البعد عن الأنا (الذات)، وإعراض الفرد

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٠/٢٥٣.

عن اللذات والمصالح الخاصة به من أجل الحصول على القيم والمراتب الأسمى والأعلى. إن التحرر من الأنا يشكل محور جميع المسائل الأخلاقية، ومفتاحاً للوصول إلى القيَم الإلهية والإنسانية السامية. فما دام الإنسان يعتبر نفسه هو المحور، ويصبّ كل اهتمامه على اللذات والمصالح الزائلة، ويركز النظر على بهارج الدنيا وجمالها الزائف، فإنه لن يتمكن أبداً من الحصول على البصيرة اللازمة من أجل بلوغ السعادة الأبدية. وعلى الرغم من أن تجنب الأنا والتكبر موجود ـ بنحو من الأنحاء ـ في جميع المفردات والأمثلة التربوية المقترحة من قبل الدين، إلّا أنها تبرز في إطار العبادة والخضوع لله على نحو أجلى وأقوى. وبشكل محدد يمكن تلخيص الأثر التربوي المترتب على العبادة في الحصول على التواضع أمام القيم الإلهية، وبالتالي على التواضع والخضوع أمام الله سبحانه وتعالى. إن الفرد الذي يتوجّه بقلبه إلى الله من خلال سلسلة من الأذكار والأعمال العبادية، إنما يمدّ يد الافتقار والحاجة إلى معبود قادر، ويرى نفسه في دائرة الارتباط بالقدرة والعلم المطلق. وعلى هذا الأساس فإنه وإن كان يشعر بضعفه أمام الله سبحانه وتعالى، إلا أن هذا الشعور بالضعف إنما يمثل أحد وجهي العملة في الارتباط الخاشع به، وأما الوجه الآخر لذلك فيحكي عن العزّة والقدرة والافتخار والكرامة. إن الخلاص من المتاهات، ومقاومة الرغبات والأهواء الشخصية، وصيانة النفس في مواجهة الظلم والتمرّد الذي يمارسه الآخرون، من الأوجه البارزة للعبادة في الحياة الفردية والاجتماعية للإنسان. وقد اعتبر التخلف عن عبادة الله في منطق القرآن نوعاً من التكبر، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]. وإن الأثر الأخروي المترتب على هذا الاستكبار والتكبر هو البعد عن الله، والسقوط في جحيم صنعها الإنسان بسوء أعماله.

---

١. غافر: ٦٠.

٢. مراعاة العدالة وحقوق الآخرين: إن الأثر التربوي الهام الآخر الذي يترتب على عبادة الله، يتجلى في العدالة ورعاية حقوق الآخرين. إن العدالة الدينية هي نقطة الالتقاء بين الدنيا والآخرة، وثمرة شجرة العبادة المباركة التي تمهّد الطريق ـ من خلال رفع المنّ والأنا ـ أمام تقدم المجتمع. فلا يمكن القضاء على الأنا والتكبّر وتحقيق العدالة الاجتماعية إلّا في ضوء العبودية لله. فعلى الرغم من تأثير توظيف العقل والعلم وغيرهما من الوسائل والأدوات في ضمان العدالة، إلّا أن الذي يعتبر البوصلة الموجهة والأرضية المعدّة لذلك هو روحية الإنسان واستيعابه وفهمه للعدالة في تكوين وبناء أساس العدالة الاجتماعية وتطبيقها. فقد تمكن الإنسان من الوصول بعقله إلى أعلى قمم العلم والتكنولوجيا، ولكنه لم يتمكن أبداً من تطبيق العدالة الاجتماعية بين مختلف أفراد الإنسانية. إن المنّ والتكبر لدى الإنسان المعاصر قد هيمن على العلاقات الإنسانية، وإن التكبر قد تجلى أحياناً في ثوب العصبية الفردية وعلى شكل الدكتاتورية والاستبداد، كما أن النزعة القومية قد تجلت أحياناً على شكل الاستعمار، وتلاعبت بحياة الناس وحقوقهم على طول التاريخ. وفي الرؤية الدينية فإن العنصر والعامل المؤثر الوحيد في تطبيق العدالة، وتجنّب هذه النزعة الروحية السلبية، إنّما يكمن في الاعتصام بحبل الله وعبادته؛ لأن التعلق بالله يساوق التنصّل عن الأنا وتجنّب الأهواء النفسية. وباختصار يمكن تقييم معطيات العبادة وآثارها في التقدم الاجتماعي للإنسان ضمن المحورين الآتيين:

١. إن عبادة الله تعدّ الإنسان لتقبل الأوامر والأحكام الألهية، وتطبيقها على مستوى المجتمع، وهذا يؤدي بدوره إلى تحقيق العدالة الاجتماعية.

٢. إن العبادة تخلق لدى الإنسان روح البعد عن التكبّر والأنا، وإن تبلور هذه الروحية في كيان الإنسان رهن بالعبادة. وإن التواضع والبعد عن التكبر ـ

وبشكل عام الارتباط بالله الذي هو ثمرة العبادة ـ يمهد الأرضية لزرع بذور العدالة وقطف ثمارها. وعلى هذا الأساس فإن إقامة العدالة رهن بتنمية روح العبادة لدى جميع الأفراد، وإن نار التكبر والعصبية في وجود الإنسان لا يمكن إخمادها إلّا من خلال عنصر العبادة والتواضع لله.

نحن نقوم ببعض العبادات بشكل فردي، ولكننا نقوم بالكثير من العبادات الأخرى على شكل جماعي، وإن السر في تأثيرها يكمن في القيام بها بشكل جماعي، من قبيل: صلاة الجماعة والحج. إن هذا النوع من العبادة كما يعزز روحية الخضوع والخشوع لدى الإنسان ـ كما هو الحال بالنسبة إلى العبادات الفردية ـ يؤدي كذلك إلى ترسيخ الروابط العاطفية بين الناس، ويعمل على تحسين وتطوير العلاقات الاجتماعية أيضاً.

٣. الابتعاد عن المعاصي: إنّ من بين الثمار التربوية المترتبة على العبادة، عدم المعصية، والابتعاد عن الذنوب والآثام. وإن استمرار التواصل والارتباط بالله في إطار العبادة، يدعو الإنسان على الدوام إلى امتثال الأوامر الإلهية وأن يجدّ في الابتعاد عن المعاصي. إنّ الآلية النفسية للتلقين ـ الحاصل بفعل تكرار الارتباط العبادي ـ تؤدي إلى القضاء على عنصر الغفلة وعامل النسيان، وتجعل الإنسان ذاكراً لله عزّ وجل. وأساساً فإن المعصية والتمرّد على الله لا يدور مدار العلم والإدراك. فما أكثر الذين يدركون الآثار الفردية والاجتماعية المدمّرة المترتبة على المعاصي، ولكنهم لا يبادرون أبداً إلى إصلاح أنفسهم. إن الذي يؤثر في الابتعاد عن المحظورات أو الاقتراب منها هو مقدار الغفلة أو التذكّر. فالغافل هو الذي لا يميل إلى امتثال الأحكام والأوامر الإلهية، ولا يبتعد عن المحرمات الإلهية. وإن تكرار الأعمال العبادية بمنزلة الماء في ضرورته لنمو شجرة الإيمان وإيناعها. فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

فإن قائل: لمَ تعبدهم؟ قيل: لئلا يكونوا ناسين لذكره، ولا تاركين لأدبه، ولا لاهين عن أمره ونهيه.[١]

وباختصار يمكن تلخيص الأثر التربوي الثالث للعبادة على الشكل الآتي: إنّ للعبادة أثراً تلقينياً يجعل المرء ذاكراً لله على الدوام. فقد قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾[٢]. إن أهم ذكر لله في منطق القرآن الكريم، هو ذلك الذي يتمثل بالارتباط القلبي تجاه الله الذي يمكن تحصيله على الدوام بدرجات مختلفة. ومن وجهة نظر القرآن ليس هناك من حد للعبادة، فجميع الناس ـ بما فيهم النبيّ ـ مكلفون بعبادة الله إلى آخر لحظة من حياتهم. قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٣]. وعلى هذا الأساس لو أراد الإنسان أن يقيم حياته ضمن إطار التوجّه إلى الله، لن يكون بإمكانه تحقيق ذلك إلّا من خلال اجتياز مراحل المسير إلى الباري تعالى، ولا يمكن تحقيق هذا الأمر وإحرازه إلّا من خلال أسلوب التلقين العبادي. وأنّ الأسلوب التربوي المتبع في العبادة هو التلقين والتوجه المستمر، الذي يمهّد الأرضية لامتثال الأوامر الإلهية والابتعاد عن المعاصي.

الشكر

إنّ من بين الأهداف الوسيطة الأخرى في سلسلة الأهداف التربوية من وجهة نظر الإسلام، هو الشكر. إن للشكر ـ بمعنى معرفة حقّ المنعم طيفاً واسعاً يبدأ من أدنى مراتبه الذي يتمثل بالشكر باللسان، ويستمرّ إلى أعلى

---

١. *علل الشرائع*: ٢٥٦.

٢. طه: ١٤.

٣. الحجر: ٩٩.

مستوياته، وهو المتمثّل بالشكر العملي. وأساساً فإن ماهية الشكر هي أن يقوم المرء بردة فعل إيجابية تجاه النعم، وكل ما يستوجب صلاحه وسعادته؛ لأنّ كلّ إنسان من الناحية النفسية يشعر بالدَين تجاه كل من يوفر له أسباب السعادة والطمأنينة، أو كل من يمهد له سبل الراحة والرخاء، وينتهز الفرصة ليردّ الجميل في اللحظة المناسبة، ليكون قد أدّى دَينه تجاه ذلك المنعم. ومن وجهة نظر العقلاء فإن عدم رعاية الحقوق تترتّب عليه تبعات سلبية، تبدأ من تأنيب الضمير، وتستمر لتصل حتى إلى حرمان النفس من استمرار الآخرين في مدّ يد العون له وتقديم المساعدة في وقت الأزمات. وإن بروز مثل هذا النوع من المشاكل في المجتمع أمر لا يمكن اجتنابه؛ وذلك لأن كل فرد من الناحية الاجتماعية يُعتبر مسؤولاً تجاه الآخرين، وإن الإنسان كما ينتفع بالآخرين من خلال القيام بالواجبات التي تفرضها عليه تلك المسؤولية، فإنه يحرم نفسه منها بنفس نسبة عدم وفائه بتلك الواجبات.

١. مفهوم وماهية أداء حقّ الله

ما الذي يعنيه قولنا: «يجب أداء حقوق الله»؟ فنحن نعلم بأنّ الله غني عنا، وهو غير محتاج لشكرنا حتى نكون من خلال ذلك قد قمنا بوفاء دَيننا له، وعليه فما هو معنى وجوب أداء شكره؟ للإجابة عن هذا السؤال لا بد من التذكير بأن دائرة أداء الحقوق وشكرها لا تقتصر حدودها على رفع الحاجات المتبادلة. فمن باب المثال: إن المعلم الذي يجدّ في تعليم الطلاب بإخلاص، لا يتوقع من الطلاب أن يقوموا بخدمته وفاءً لجهوده، وإنما يرى أداء حقه في أن يقوم الطلاب بالإصغاء إلى دروسه جيداً، وأن يحصلوا على درجات عالية في الامتحانات. وعليه فإن أداء حق المعلم يكون من خلال ارتقاء الطالب للمدارج العلمية ونجاحه في دراسته. وإن هذا النوع من رعاية الحقوق ـ

بالإضافة إلى الآثار الاجتماعية الإيجابية ـ يحمل في طياته آثاراً فردية أيضاً. بمعنى: أنّ الطالب الشاكر والمؤدي لحقوق أستاذه يحصل على إمكانية التقدم والرقي في المجتمع، وإن فائدة ذلك تعود بالنفع له مباشرة. وفي الحقيقة فإن نتيجة مثل هذا النوع من أداء الحقوق تتلخص في الرقي والتقدم الذي يأتي من خلال رعاية حقوق الآخرين.

إنّ هذا النوع من أداء الحقوق يتجلّى فيما يتعلّق بالله بشكل أوضح وأبرز. فإنّ النعم التي منّ الله بها علينا تفرض علينا أن نكون شاكرين له على هذه النعم. ولكن كما تقدّم فإنّ هذا الشكر لا يعني رفع الحاجة، وأنّ الله فقير من هذه الناحية ـ والعياذ بالله ـ فإنه هو الغني المطلق. وعليه فإن ماهية شكر الله كما تقدم أن ذكرنا، شبيهة بشكر المعلم وأداء حقه، مع فارق أن جميع المصالح والمنافع الناشئة من شكره تعود إلينا، وأن الله غني عن كل هذا الشكر؛ إذ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2]. خلافاً لأداء حق المعلّم الذي يشتمل على نوع من رفع الحاجة المعنوية والعاطفية؛ وذلك لأن المعلّم يرى في تقدم الطالب تكليلاً لجهوده بالنجاح. وفي منطق الإسلام فإن شكر المنعم بمعنى الانتفاع بالنعمة في محلها حيث يكمن هناك رضى المنعم وهو الله سبحانه وتعالى، وأنّ هذا الشكر قبل أن يكون باللسان، يجب أن يكون نابعاً من القلب، وظاهراً من خلال السلوك والعمل. من هنا فإن أداء الفرد المسلم لحق الله وشكره يكمن في امتثال أوامره، وتجنّب معاصيه، وإن محور أنواع أداء الحق يدور حول الارتباط بالله، والقرب منه، والنجاح في العمل على طبق الأحكام الشرعية والعبادية.

---

١. النمل: ٤٠.

٢. لقمان: ١٢.

٢. بحث خاص

لقد اعتبر القرآن الكريم إعطاء النعم تفضلاً من قبل الله على الناس؛ يقول تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾[١].

و يقول أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾[٢].

إن مفهوم التفضل يشتمل على نوع من الارتباط الذي يكون فيه الطرف المستقبل محتاجاً إلى هذا التفضل من قبل المتفضّل. وإن هذا النوع من الارتباط لا يحمل أيّ منفعة للمعطي؛ وذلك لكونه غنياً عن منافع ذلك التفضّل. وإن هذا التفضل عندما يكون أحد طرفيه هو الله، والطرف الآخر هو العبد والمخلوق، يكون مشتملاً على مفهوم أكثر بروزاً وتجلياً، بمعنى أنّ الله يكون هو صاحب الفضل والتكرّم على عبده ومخلوقه. فهو لا يكون بحاجة إلى ما يعطيه، بحيث ينقص منه شيء إذا أعطاه، ولا هو ينشد الاستغناء وعدم الحاجة من خلال نفس العطاء والكرم، كما هو الحال بالنسبة إلى بعض الناس، حيث ينشدون النجاح والاستغناء، وتلبية نوع من الحاجة المعنوية من خلال عطائهم. وعليه فإن التفضّل الإلهي يعتبر أعلى وأسمى أنواع التفضّل والعطاء، حيث يخلو من كل أنواع السعي إلى الحصول على المصالح والمنافع من قبل المعطي والواهب للنعم. وفي هذا النوع من التفضل إذا قام الإنسان بواجب الشكر فإن فائدة هذا الشكر تعود إليه، وإن لم يشكر وكفر بالنعمة، عاد الضرر في ذلك عليه أيضاً، حيث سيغدو هو المحروم من النعم، ويسقط في مستنقع الضلالة، ولن يصيب الله بأيّ سوء من جراء كفران العبد لنعمته أبداً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٣].

---

١. يونس: ٦٠.

٢ غافر: ٦١.

٣. آل عمران: ١٤٤.

٣. الأسس الحاكمة على الشكر في القرآن الكريم

عودة النفع في أداء واجب الشكر إلى الشاكر: كما تقدّم أنّ ذكرنا فإن الشكر لله وأداء حقه يعتبر أسمى أنواع الشكر وأداء الحقوق في دائرة العلاقات الإنسانية، بمعنى أنها أسمى حتى من النعمة والفضل الذي يقوم به المعلّم المخلص تجاه تلميذه، أو الأم العطوفة تجاه ولدها، وإن كل فائدة ومصلحة تكون في هذه النعمة، وشكرها وأداء حقها يعود إلى الإنسان نفسه. وفي الحقيقة، فإن أداء الحق هنا، هو في حدّ ذاته تفضّل من الله، حيث يُمنح الإنسان من خلاله فرصة للتعالي والسمو والوصول إلى القرب من الله سبحانه وتعالى.

زيادة النعم بسبب الشكر: إنّ من الأسس الحاكمة الأخرى على مفهوم الشكر، هو زيادة النعم بسبب الشكر. إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١]. وعليه فإنّ هذا الأصل الذي يقوم على أساس تحفيزي، إنّما هو مكافأة من الله يقدّمها للإنسان الذي يقوم بواجب الشكر، إن الفرد الذي يجدّ في امتثال الأوامر الإلهية، ويحرص على تجنب المعاصي، ويستفيد من النعم الإلهية على نحو ما يريده الله ويرضاه، يتوقع على الدوام أن يكافِؤه الله على ذلك. وإن هذه المكافأة يمكن أن تكون كيفية أو كمية، ومادية أو معنوية. إنّ الإنسان المؤمن يؤدي شكر استفادته وانتفاعه من النعم الجديدة، وهذا بدوره يؤدي إلى قربه من الله (سبحانه وتعالى).

التعرّض لحالة الاختبار: إنّ من الأسس الحاكمة الأخرى على مفهوم الشكر، هو التعرض لحالة الاختبار، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿هَـٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[٢]. وبالالتفات إلى أن ماهية الشكر تكمن في توظيف النعم في الموارد التي تعكس رضا الله سبحانه وتعالى، فإن الأعمال التي تؤدي إلى أداء

---

١. إبراهيم: ٧.

٢. النمل: ٤٠.

الحق، تطرح بوصفها أدوات لتقييم حجم التقوى والإيمان الذين يتحلى بهما الفرد. إنّ من بين أحد أفضل السبل وأوسعها نطاقاً في الوقت نفسه، والتي تتخذ أساساً لإجراء الاختبار، هو هذا الشكر وأداء حق المنعم. وإن هذه الآلية في الوقت الذي تقع تحت عنوان أداء الحق، تشمل جميع مسؤوليات الإنسان، وحتى ما كان من قبيل الجهاد ـ الذي هو من أبرز الوسائل لتحديد المؤمن وتمييزه من غير المؤمن ـ يندرج بوصفه واحداً من الأوامر الإلهية تحت عنوان أداء الحقوق. وعلى هذا الأساس فمن زاوية الآيات القرآنية الكريمة والروايات الشريفة فإن جميع أعمالنا ونوايانا في الدنيا هي نوع من الاستجابة الإيجابية أو السلبية إزاء النعم الإلهية، وإن هذه الاستجابات هي التي تستطيع أن تحدد حجم أدائنا لحقوق الله علينا. إذن يمكن للشكر أن يُتخذ وسيلة لاختبار وقياس مقدار إقبالنا الباطنيّ والظاهريّ نحو القرب من الله سبحانه وتعالى.

٤. الشكر واختلافه عن سائر الأهداف الوسيطة الأخرى

إنّ أداء الحق مقولة مغايرة للإيمان والتقوى والعبادة الإلهية، وبطبيعة الحال ـ كما تقدّم أن ذكرنا ـ فإنه لا يمكن تحديد الخط الفاصل بين كل واحد من هذه المفاهيم. بيد أنّ الذي يمكن طرحه بشكل خاص تحت عنوان الشكر وأداء الحق، إنّما يكون من خلال الالتفات إلى الرؤية التي تكون مشمولة بهذا العنوان. فإنه على الرغم من أن كل عمل يؤدي إلى الشكر، يعد من وجهة نظر أخرى ركناً من أركان الإيمان أو التقوى، إلّا أن الالتفات إلى مقام الشكر وأداء الحق هو أمر آخر مغاير لمقام الحصول على التقوى والإيمان أو العبودية لله. وإن الذي يترك في الإنسان أثراً تربوياً هو الالتفات إلى كل واحد من هذه المراتب المختلفة. ولو أن الفرد عمد إلى بلورة حياته من خلال الالتفات إلى الفلسفة الحاكمة على الشكر والأسس المرتبطة بهذا المفهوم، فإن الآثار التربوية الناشئة عنها، ستمنح المرء باقة من العناصر الإنسانية والأخلاقية. وفي الحقيقة ربما يكون

أحد أسرار التنوع في البيان القرآني الهادف إلى هداية الإنسان إلى الله، بمختلف العناوين، من قبيل: المعرفة الإلهية، والإيمان والتقوى والشكر وما إلى ذلك، هو تمكين الإنسان من توظيف اللوازم الأخلاقية والروحية المختلفة لهذه الأمور، وإلّا فإن الذي يواكبنا في مسيرة الحياة هو الهدف النهائي نفسه المتمثل بالقرب من الله سبحانه وتعالى. وعلى الرغم من أن القرآن قد أكد بشكل خاص على الهدف النهائي، ولكنه لا يصرّ أبداً على حصريّة هذا الهدف، بل إنه يؤسس لأهداف مرحلية أخرى تقع في طول الهدف النهائي، ليمهّد الأرضية بذلك للمعالي والسمو عبر هذه الأهداف الوسيطة في مختلف المراتب. من هنا فإن الهدف من الشكر - كسائر الأهداف الأخرى - يحتوي على سلسلة من اللوازم الأخلاقية والتربوية التي لا يمكن أن تنبثق إلّا عن الفرد الشاكر والمؤدّي للحقوق. ومن وجهة نظر القرآن فإن ذات أداء الحق يعدّ هدفاً وغاية مطلوبة، وإن الله يرعى الآثار الروحية والمعنوية لهذا العمل. فمن باب المثال: إن القتال والجهاد وتحقيق النصر مقدمة ووسيلة للوصول إلى مقام الشكر وأداء الحق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]. ومن ناحية أخرى فإن الآيات الإلهية تبيّن أن الهدف والغاية هي الوصول إلى هذا المقام وهذه المرتبة، وذلك إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]، ويقول أيضاً: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3]. كما توجد هناك آيات في القرآن الكريم ترى أن إعطاء نعمة العلم والوعي ووسائل الكسب إنما هو من أجل الوصول إلى أداء الحقوق وواجب الشكر، وذلك إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ

---

١. آل عمران: ١٢٣.

٢. المائدة: ٨٩.

٣. الحج: ٣٦.

وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]. وأنّ الهدف والغاية من الانتفاع بنعم الله ورزقه، هو أنّ يبلغ الإنسان من خلال شكر هذه النعم، الدرجات العالية والمراتب السامية، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٢]، ويقول أيضاً: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٣]، ويقول أيضاً: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٤]. كما تمّ بيان البركات الإلهية في القرآن الكريم في إطار الرزق واستثمار الطبيعة من أجل الوصول إلى هذه المنزلة والمرتبة، حيث قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥]، وقال أيضاً: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٦]. وعليه فإن لكشف النقاب عن الآثار التربوية والأخلاقية المترتبة على الشكر أهمية خاصّة في بيان شأنه ومنزلته. وأنّ من بين الصفات التي يذكرها القرآن الكريم هي صفة الشاكر والشكور، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[٧]، ويقول أيضاً: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[٨]، ويقول أيضاً: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٩]. إن هذه الصفة من الصفات التي يهدف أثرها التربوي إلى الحصول على مقام الشكر وأداء الحق،

---

١. النحل: ٧٨.
٢. البقرة: ١٧٢.
٣. النحل: ١١٤.
٤. العنكبوت: ١٧.
٥. القصص:
٦. الروم: ٤٦.
٧. البقرة: ١٥٨.
٨. النساء: ١٤٧.
٩. فاطر: ٣٠. وانظر أيضاً: فاطر: ٣٤؛ الشورى: ٢٣؛ التغابن: ١٧.

وفي الحقيقة فإنه من أهم الطرق المؤدية إلى التخلّق بالأخلاق الإلهية والربانية. وتبرز أهمية هذه الصفة بحيث أنها بالرغم من وجود حق لله على الإنسان، إلّا أن الله مع ذلك يبادر إلى شكر الإنسان إذا كان متقياً ورعاً، ويمهد له الأرضية للرقي والتكامل من خلال زيادة النعم عليه واستثماره وتوظيفه لفضله ومنّه.

٥. الآثار التربوية المترتبة على الشكر

قبل بيان الآثار التربوية المترتبة على الشكر، لا بد من التذكير أولاً بأن الشكر وأداء الحق هما أمران تربويان أيضاً. وأنّ الفارق الرئيس الذي يميّز الشكر من غيره من الأهداف الوسيطة الأخرى، يكمن في أنّ الشكر ـ بالإضافة إلى اشتماله على الآثار التربوية ـ يعتبر في حدّ ذاته أمراً تربوياً أيضاً. وبعبارة أخرى: إن ذات ارتباط الإنسان مع الله في إطار أداء الحق يعدّ أمراً تربوياً لا غبار عليه، وإن هذا الشكر هو أحد الأمثلة والنماذج التربوية في الإسلام، خلافاً للأهداف الوسيطة الأخرى ـ من قبيل: المعرفة والتقوى والإيمان والعبادة ـ التي تندرج تحت عنوان الارتباط التربوي مباشرة. إن الأهداف التربوية وإن كانت تحتوي على آثار تربوية هامّة، بيد أن التقوى والإيمان والعبودية والمعرفة الإلهية، لا تطرح بوصفها نموذجاً تربوياً أبداً. فإن جميع هذه النماذج تنظر إلى نوع خاص من سلوكنا النظري والعملي في مسير القرب من الله الذي يشتمل على آثار تربوية خاصّة. غير أن الشكر ـ بالإضافة إلى كونه مثل سائر الموارد الأخرى نوعاً من السلوك تجاه الخالق تعالى ـ فإنه يشتمل أيضاً على توجّه قلبي يهدف إلى تنظيم مجموعة من النوايا والسلوكيات من أجل البلوغ بالإنسان إلى أعلى مراتب الكمال.

إن الذي يُنظر إليه على الدوام من خلال الشكر، هو نوع من الرؤية في إطار التكامل والارتقاء نحو الله، والحصول على المنافع والثمار التي يحصل عليها الفرد المؤدي للحق في هذا المسار دائماً وأبداً. وفي مفهوم الشكر تتمّ ـ من وجهة نظر

علم النفس ـ مراعاة أحد الأصول التحفيزية الهامة والمتمثلة بالمكافأة والعقوبة. وبعبارة أخرى: إننا عندما نقوم بواجب الشكر، نكون في الحقيقة قد قمنا بتوظيف نعم الله في المسير المؤدي إليه، وعملاً وامتثالاً لأوامره وأحكامه. ويتمّ ذلك في إطار الحصول على المنفعة ومزيد من النعم. وقد جرت سنة الله على حصول الإنسان بالشكر على مزيد من النعم، وإذا قام الإنسان بأداء الحقوق بأزاء ما يحصل عليه من النعم، فليس هناك من شك في أنه سيكون مستعداً للحصول على مزيد من الأفضال الإلهية والربانية. فإن زيادة النعم ـ سواء على الصعيد الكمي أو الكيفي ـ رهن بقيام الفرد بواجب الشكر. ومن ناحية أخرى فإن السقوط والانزلاق في مستنقع المعاصي والذنوب، يكون ناشئاً عن كفران النعم، وعدم توظيفها في المسار الصحيح. وعلى هذا الأساس فإن توظيف آلية المكافأة والعقاب في هذه المساحة الواسعة، يؤدي إلى نتائج تحفيزية ويخلق عناصر مشجّعة في وجود الإنسان. ويمكن القول بضرس قاطع: إن الشكر ـ بوصفه عملاً تربوياً ـ يقع في صلب مسار العملية التربوية في التشريع الإسلامي.

١. **تحقيق العدالة الاجتماعية:** لو أنّ المناخ المهيمن على علاقاتنا مع الله هو مناخ أداء الحقوق والقيام بواجب الشكر، فإنّ ذلك ـ لا محالة ـ سيؤدي إلى تنظيم سلوكنا وتعاطينا مع الآخرين على المستوى الاجتماعي، وإذا قامت العلاقات والسلوكيات الاجتماعية على أساس من أداء الحقوق، فإن تحقيق العدالة الاجتماعية سيكون أمراً قريب التحقق والمنال. فإن رفع الظلم، وتوسيع رقعة العدالة بين مختلف المؤسسات الاجتماعية، رهن بسيادة العدالة الفردية في إطار علاقة الأفراد ببعضهم البعض، وإن مراعاة الحقوق الفردية والاجتماعية رهن بوجود ثقافة أداء الحقوق بين الناس. وإذا لم تكن هذه النزعة الداخلية ظاهرة على السلوك الفردي، فليس هناك من شك في أن المؤسسات الاجتماعية سوف تعجز وتقصر عن إقامة العلاقات الإيجابية والسليمة فيما بينها. وعلى هذا الأساس

فإن إقامة العدالة الاجتماعية تتوقف على إقامة العدالة الفردية، ولن يكون ذلك إلّا من خلال شيوع ثقافة أداء الحقوق والقيام بواجب شكر المنعم. ومن ناحية أخرى فإنه من وجهة نظر الإسلام إذا لم تكن أفعالنا ذات صبغة إلهية، فإنها مهما بدت عقلانية وحكيمة في ظاهرها، إلّا أنها ـ حيث تفتقر إلى الحافز والدافع الكافي في جميع مراحل حياة الإنسان ـ لن تكون كافية لتحقيق الكمال وبلوغه. وبعبارة أخرى: لو أننا تمكنا من تطبيق نظام أداء الحقوق ورعايتها على أساسٍ من العقل والمنطق في مجتمع صغير ـ كالأسرة مثلاً ـ فإن هذا لا يعني بالضرورة إمكان تطبيق هذا النظام في المحيط الخارج عن كيان البيت والأسرة.

وعلى هذا الأساس فإن وجود ثقافة أداء الحق ضمن مدينة أو حتى بلد كبير، لا يشكل دليلاً على أنّ أبناء تلك المدينة أو ذلك البلد، يعيشون ذات هذه الثقافة تجاه جميع الناس في كافة المجتمعات، بل وحتى بالنسبة إلى الأجيال السابقة والأجيال القادمة. إن النقص الموجود في النظام الراهن لحقوق الإنسان في العالم يعتبر نموذجاً ودليلاً بارزاً على عدم تمكّن الإنسان من تقديم نظام تربوي شامل وجامع يأخذ بنظر الاعتبار جميع الناس، ولا يقتصر على فئة خاصة منهم. وإن الثابت بفعل التجربة وشهادة التاريخ هو أن العقل والمعطيات العلمية للإنسان لم تحرز أيّ نجاح في تنمية هذا الشعور وهذه الثقافة الناجعة لدى الإنسان، وأن الدين وجعل الله نصب العين، هو وحده الكفيل بإيصالنا إلى هذه الغاية. وعلى هذا الأساس فإننا إذا استطعنا أن نؤدي حق الله، فإننا سوف نتمكن ـ بالمعنى الواقعي للكلمة ـ من أداء حقوق سائر الناس، وباختصار فإن أول أثر تربوي يترتب على شكر الله وأداء حقّه، يكمن في رعاية حقوق الآخرين في ضوء القرب من الله سبحانه وتعالى.

٢. بلوغ مقام الرضا والقناعة والتوكل: إن من بين الآثار التربوية الأخرى المترتبة على الشكر، الصبر والقناعة. إنّ الإنسان الشاكر يسعى من خلال تطويع

نفسه إلى الحصول على مرضاة الله. وبعبارة أخرى: إنّ الذي يكون شاكراً لله في حياته، لا شكّ في أنّه يتجنب الانهماك في الإكثار، ويقنع بما قسمه الله له. إنّ تنمية الفرد لروح القناعة في نفسه، يقترن على الدوام بكبح جماح الإكثار وطلب المزيد والحرص والطمع، وفي الأساس فإن مقولة الجشع والطمع لا تجتمع مع الشكر وأداء الحقوق أبداً. وذلك لأن الإنسان الجشع لا يمكن أن يقنع بما أعطاه الله وقسمه له، ويسعى على الدوام إلى الحصول على المزيد من الأموال والأرباح والمنافع. الأمر الآخر أن الجشع والطمع يدفع الفرد إلى العدوان والتجاوز على حقوق الآخرين، وإذا تعارضت حقوق الآخرين مع مصالحه الشخصية، فإنه سيتجاوزها وينتهكها بكل بساطة، دون إحساس بالمسؤولية أو شعور بوخز الضمير. وعليه كلما كان الإنسان أكثر قناعة، كان أكثر رعاية لحقوق الآخرين.

إنّ من بين أسباب عدم التوكل على الله، هو عدم الثقة به. وإن عدم الثقة لا يجتمع مع أداء الحق. فإن الفرد العارف بحق الله، لا يمكن إلّا أن يكون على ثقة تامّة به تعالى، ويعلم جيداً أنّه إذا شكر نعمة الله فإنه سيكون في معرض الرحمة والبركة الإلهية. وإنّ مثل هذا الفرد يتمسك بالقدرة الإلهية لضمان قضاء حاجاته ورفع مشاكله، ومن هنا فإنّه يلجأ إلى توظيف عنصر التوكل الذي يلعب دوراً هاماً في تنظيم وتوجيه الرغبات الإنسانية، وحيث إنه يدرك ضعفه وعدم قدرته على تلبية حاجاته المعيشية، فإنه يلجأ إلى القوة التي تمتلك كل المقدرة على حل مشاكله وتلبية احتياجاته، ولا يكون في اللجوء إليها أي خدش أو جرح لمشاعر الإنسان وكبريائه.

الفصل الثاني

الأهداف التربوية للإسلام

فيما يتعلّق بارتباط الإنسان بنفسه

إنّ الهدف الثاني من الأهداف التربوية الوسيطة في الإسلام يتمّ طرحه في دائرة ارتباط الإنسان بنفسه. فكما يقيم الإنسان ارتباطاً بينه وبين خالقه، ويفهم من المراحل التربوية المهيمنة على هذا الارتباط أهدافاً خاصّة، كذلك هناك للإنسان أفعال وردود أفعال فيما بينه وبين نفسه، وتهيمن على المراحل التربوية لذلك الفعل والانفعال أهداف خاصة أيضاً. والمراد من الأفعال، الاحتياجات والميول، والمراد من الانفعال في دائرة وجود الإنسان تلبية تلك الاحتياجات والميول والرغبات والقوى الجسدية والروحية. وبعبارة أخرى: إنّ التركيبة الوجودية للإنسان تحتوي على آلية تستوجب ظهور ميول وقوى وقابليات واحتياجات خاصة في البعدين الروحي والجسدي للإنسان. ولكي نوصل كل واحدة من العناصر الوجودية إلى مرحلة الفعلية، نحتاج إلى القيام بحركة فاعلة في سياق رفع الاحتياجات والاستجابة للميول والرغبات. فمن باب المثال: يمتلك الإنسان الكثير من القوى، من قبيل: قوّة المعرفة، والميول العاطفية، وقدرة الإرادة، وكذلك القوى الجسدية. وهو طوال حياته يسعى -

بما يتناسب وكل واحدة من هذه الموارد ـ إلى توظيف الإمكانات المتاحة والموجودة في تركيبته الوجودية. وإنّ الأداة الوحيدة المحرّكة له هي هذه القوى والقابليات الوجودية، وأنّ الإنسان من خلال توظيف هذه العناصر يحدد مسار حياته، بيد أن توظيف كل واحد من هذه العناصر المذكورة واستثمارها من أجل رفع الاحتياجات والحصول على السعادة والطمأنينة، لا يعني بالضرورة أن مجموعة العناصر الوجودية قد سارت على أرضيتها المناسبة في سياق تكامل شخصية الإنسان. وكما توجد هناك إمكانية لتوظيف هذه القوى والطاقات في الطريق الصحيح وصولاً إلى الكمال الإنساني، هناك إمكانية لتوظيفها في المسار الخاطئ أيضاً. وإن الذي يعمل على توجيه رغبات وطاقات الإنسان، ويهديه إلى طريق السمو والوصول إلى الهدف النهائي من الهداية، هو البرنامج الحركي في إطار الحصول على الأهداف الخاصة. وإن هذا البرنامج ـ بالإضافة إلى حاجته إلى تعيين الهدف النهائي من أجل تحديد اتجاه الحركة ـ بحاجة إلى تعيين المراحل المختلفة من أجل الحصول على ذلك الهدف أيضاً. وإن دور الأهداف الوسيطة يكمن في القيام بهذه الوظيفة الأخيرة. وإن الأهداف الوسيطة التي نتناولها في هذا الفصل، ناظرة إلى برنامج مرحلي يتضمن تبويب حركة الإنسان في مسيرته إلى الله على أساس من أبعاده وقواه الوجودية.

إن الإنسان يحتوي بشكل عام على بعدين، بعد روحاني، وبعد جسماني. وإن كل واحد من هذين البعدين يشتمل على طاقات وقابليات مختلفة. وإن معيارنا وملاكنا في فهم النصوص الدينية (الآيات والروايات)ـ من أجل تقسيم وتبويب المراحل المختلفة للأهداف التربوية للإسلام في مجال ارتباط الإنسان بنفسه ـ هو بنيته الوجودية. وإن بعده الروحي يشتمل على ثلاثة أنحاء متمايزة من بعضها، وهي: الناحية المعرفية، والناحية الانتمائية، والناحية

العاطفية. وإن كل واحدة من هذه الأنحاء ـ مضافة إلى البعد الجسدي ـ لها تأثير لا يمكن إنكاره على أوضاع حياة الإنسان وظروف نشاطه. وليس هناك من شيء خارج هذه الأبعاد الوجودية؛ ليكون هو المؤثر، ومن هنا فإن برنامج حركة الإنسان يمكن تقسيمه إلى مشاريع أكثر تحديداً بالنسبة إلى كل واحد من أبعاده الوجودية. وفي هذا الفصل نسعى ـ بما يتناسب وكل واحد من هذه الأبعاد المذكورة ـ إلى بيان البرنامج التربوي للإسلام، والذي يحتوي على الأهداف الوسيطة في هذا المجال.

الأبعاد المختصّة بالإنسان

أ) الأهداف المعرفية

إن من بين الخصائص البارزة والممتازة في وجود الإنسان التي تمتعه بالقدرة على التفكير والاستدلال، وبكلمة واحدة: العقل. فإن تنمية هذه الطاقة والقوة وتوظيفها بشكل صحيح من وجهة نظر الإسلام، يعتبر من أهم مراحل الصعود إلى المراحل الإنسانية العالية، وبلوغ الأهداف النهائية. وقد تمّ بيان الاهتمام الإلهي الخاص بهداية الإنسان عن طريق العقل وإعمال الفكر والنظر في الكثير من الآيات والروايات، حيث تؤكد هذه النصوص على استحالة اجتناب العقل والتفكير من أجل الوصول إلى القرب من الله. وعلى هذا الأساس فإن تنمية الطاقات الذهنية والمعرفية والعقلية، واستيعاب العلوم والمعارف من أجل إثراء هذه الطاقات يعتبر من الأهداف الوسيطة. جدير ذكره أنّ الإنسان من خلال استيعابه لمزيد من العلوم والمعارف يغدو أكثر إحاطة بما حوله، ومن خلال إدراكه ومعرفته لنفسه يمكنه المضي في طريق معرفة الله بشكل أفضل وأيسر. وعلى هذا الأساس يمكن تلخيص سلسلة الأهداف المعرفية في المقولات الأربع الآتية:

١. تنمية قوة العقل.
٢. استيعاب العلوم والمعارف.
٣. النمو الفكري.
٤. معرفة الذات.

١. تنمية قوة العقل

إنّ الهدف الأول في سلسلة الأهداف التربوية للإسلام ـ فيما يتعلق بارتباط الفرد بنفسه ـ هو تنمية وتقوية العقل والتفكير. فإن الإنسان من خلال قدرته الناشئة من عقله وتفكيره يستطيع التوصّل إلى كنه الدين وأعماقه. وإن تشجيع القرآن الكريم والروايات الشريفة على تنمية هذه الطاقة وتوظيفها في فهم الدين يثبت أهمية دور العقل في فهم وإدراك الحقائق والتشريعات الدينية. إن عقل الإنسان يمكنه ـ في رقعة ثقافة العصر والاحتياجات الناشئة عنه ـ أن يساعد على اكتشاف الطبقات المجهولة من الدين وحقائقه الكامنة منه والخفية، وأن يقدم مناهج جديدة لتوظيف واستثمار الكنوز الدينية. والذي يتوقع من الإنسان هو أن يستفيد من هذه الموهبة الإلهية في تحليله للمسائل والظواهر بدقة وذكاء. وفي الحقيقة فإن العقل بوصفه حجّة باطنية، يعتبر بوتقة لصهر الأدلة على إثبات الأمور الفطرية المودعة في جبلة الإنسان. وبعبارة أخرى: إن العقل يعتبر أرضية خصبة ومناسبة لمختلف الميول والاتجاهات، فإذا تمكنت الفطرة الإنسانية من فرض سيطرتها وهيمنتها على هذا المسار، فسوف يمكن الحصول على العقل الفطري والإلهي. وهو العقل الذي تم الثناء عليه وتبجيله في الآيات الكريمة والروايات الشريفة. إلّا أن هذه القابلية والكفاءة ذاتها إذا تمّ توظيفها في إرضاء الأهواء النفسية والنزوات المنحرفة، ستكون سبباً في السقوط والانحطاط والبعد عن الله.

ويعتبر الذين يعملون على توظيف هذه النعمة الإلهية في طريق السقوط والانحراف في المنطق القرآني بعيدين كلّ البعد عن التعقل والبصيرة. وبطبيعة الحال فإن العقل لن يكون مجدياً أو نافعاً إلّا في ضوء توظيفه في تلبية الميول الفطرية، قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]. كما تمّ التعريف بالعقل والتفكر في القرآن الكريم بوصفهما هدفاً وغاية لبيان الآيات، وفي ذلك قال الله تبارك وتعالى:

﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3].

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4].

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[5].

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[6].

يعتبر التعقل والتفكر الصحيحان في الرؤية الإسلامية هدفاً وغاية في حدّ ذاتهما، ولكن على كل حال فإن التفكر والتعقل يتعلّقان بأمر يكون فهمه ومعرفته أمراً مطلوباً، وإن المطلوب والمراد من وجهة نظر القرآن الكريم يحتوي على جهة خاصة تمت الإشارة إليها في القرآن الكريم، وذلك إذ يقول الله تعالى:

- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[7].

---

١. البقرة: ٧٥.

٢. البقرة: ٧٣.

٣. النور: ٦١.

٤. الحديد: ١٧.

٥. البقرة: ٢١٩ و ٢٦٦.

٦. البقرة: ٢٤٢.

٧. الأنعام: ٣٢.

- ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[١].

- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[٢].

- ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[٣].

إن ما يمكن استنباطه من القرآن الكريم بشأن آلية العقل ودوره في حياة الإنسان، أمرين، وهما:

أ) توظيف القوّة الفكرية والعقلية في كل زمان، بحيث لا يقوم الإنسان بأي عمل دون تعقل أو تفكير. وفي الحقيقة فإن هذه صفة تترسخ في نفس الإنسان من خلال الممارسة والمتابعة الجادة.

ب) إن دور العقل والتفكير الفريد يصبّ في معرفة الله والمعارف والحقائق الدينية والعلوم، وكذلك معرفة نفس الإنسان، من أجل الوصول إلى الله سبحانه وتعالى والقرب منه.

وأنّ الآيات والروايات التي تدل على أهمية هذا الهدف الوسيط عبارة عن:

الدعوة إلى التفكّر والتعقل: هناك الكثير من الآيات في القرآن الكريم تدعونا إلى التعقل والتفكر[٤]. إن هذه الآيات بمختلف مضامينها تسعى إلى إبراز هذه المسألة وهي أن الإنسان لا مندوحة له ـ لاختزان التجربة والاعتبار

---

١. الأعراف: ١٦٩.

٢. يوسف: ١٠٩.

٣. القصص: ٦٠.

٤. هناك في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تدل ـ من خلال مختلف العناوين من قبيل: التفكر والتفقه والتدبر والتذكر والاعتبار والنظر والعلم والبصر واللب ـ على أهمية الفكر والتعقل وتوظيف هذه النعمة الإلهية في إطار التكامل والسمو والقرب من الله سبحانه وتعالى.

والتعلم من مختلف الأمور والوصول إلى القرب من الله ـ من التفكر والتعقل والتدبّر. وإن اكتشاف الآيات الإلهية، والاعتبار بعاقبة المجرمين على طول التاريخ، والاستفادة من القصص والأمثال القرآنية، واستيعاب المبدأ والغاية (التوحيد والمعاد)، وكذلك التوصّل إلى كنه أسرار خلق السماوات والأرض، إنما يغدو ممكناً في ضوء التفكر والتعقل. وإن الآيات المتعلقة بالتفكر والتعقل تدعونا ـ بشكل صريح وضمني ـ إلى التفكر، والابتعاد عن السفاهة وعدم تعطيل دور العقل والتفكير. ويمكن لنا بشكل محدد أن نستعرض الكثير من الآيات التي تعقّب بعد بيان أمر خاص بأنه آية وعلامة من الله، وتسند التوصل إلى هذه الحقيقة إلى التعقل والتفكر. وكأنه لا يمكن لشخص أن يدرك أن هذه المسائل من آيات الله إلّا إذا تسلح بسلاح العقل والتفكير. ومن هنا يجهد القرآن الكريم في هداية الإنسان ـ لاكتشاف هذه العلقة ـ ويدعو إلى دائرة توظيف العقل والتفكير والتدبّر، ويرى أن هذه الأمر هو وحده الكفيل بذلك. وفيما يلي نستعرض نماذج من هذا الآيات القرآنية حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ـ ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

---

١. الرعد: ٣.

٢. النحل: ١١.

٣. الروم: ٢١.

- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

إن النتيجة المترتبة على مثل هذا التعقل والتفكير هو التوصّل إلى معرفة كنه أسرار الخلق، وذلك إذ يقول الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[٢]، ويقول أيضاً: ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٣]، وإذ يقول أيضاً: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]، والحصول على التجربة، ذلك إذ يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[٥]، وإذ يقول تعالى كذلك: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٦]، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾[٧]، ويقول تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٨]. وتجنب السفاهة والجهالة التي أدّت إلى ضلال الماضين، وبعدهم عن منزلة القرب من الله سبحانه وتعالى. ومن ناحية أخرى فإن

---

١. الزمر: ٤٢، وهناك آيات أخرى بهذا المضمون، من قبيل: البقرة: ٧٣ و١٤٦ و٢٤٢؛ الحديد: ١٧؛ الرعد: ٤؛ النحل: ١٣ و٦٧؛ العنكبوت: ٣٥؛ الروم: ٢٤ و٢٨؛ الجاثية: ٥ و١٣؛ النور: ٦١؛ الأنعام: ٦٥ و٩٨.

٢. ق: ٦.

٣. الغاشية: ١٧.

٤. الروم: ٥٠.

٥. الروم: ٩.

٦. غافر: ٨٢

٧. محمد: ١٠.

٨. الزخرف: ٢٥.

القرآن الكريم ـ لكي يحثنا على التفكر والتعقل ـ يذكر لنا أمثالاً وقصصاً كثيرة من تاريخ المتقدمين والأمم السابقة، وقد تمّ ذكر كلّ واحدة من هذه الأمثال والقصص في مناسبة خاصة. وأنّ الهدف من وراء ذكر هذه الأمثال والقصص هو مجرد إحداث جذوة وبارقة تدعو الإنسان إلى التفكير والتعقل واكتساب مزيد من التجربة في الحياة، قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]. ولا شك في أن الشخص لا يمكنه الاعتبار بتجارب الآخرين، إلّا إذا كان ينظر إلى واقع الحياة بعقل ووعي ونظرة عميقة.

إزدهار العقل في ضوء البعثة: إنّ من بين الموارد الدالة على أهمية العقل في النظام التشريعي وهداية الإنسان، هو الاهتمام الخاص الذي يوليه الأنبياء عليهم السلام للعقل. فإن جميع الأنبياء قد عملوا على استثارة هذه الأداة المفكرة في إطار إصلاح الإنسان وتربيته وبلوغه أعلى مراتب الكمال. وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن أحد الأهداف المترتبة على بعث الأنبياء هو رفع مستوى المقدرة العقلية والفكرية للإنسان وإيصالها إلى الكمال المنشود، وفي ذلك روي عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، أنه قال:

«ومَا بعَثَ اللهُ نَبيّاً ولَا رَسولاً حتّى يَستَكمِلَ العَقلَ».[٣]

وروي عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال:

---

١. الأعراف: ١٧٦.

٢. الحشر: ٢١.

٣. *أصول الكافي*: ج ١، الحديث ١١.

فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ»[1]. وروي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: «ما بعثَ اللهُ أنبياءَهُ ورُسُلَه إلّا لِيَعقِلوا عَنِ الله، فأحسَنُهُم استِجابَةً أحسَنُهُم مَعرِفَةً»[2].

وقد جاء اهتمام الأنبياء وتوظيفهم للعقل، من أجل غايتين، وهما:

١. التأثير في الإنسان، وبيان الآيات الإلهية. وبعبارة أخرى: إن الذي يقع مورداً لخطاب الأنبياء عليهم السلام أولاً وبالذات هو القوة التي يستطيع الإنسان من خلالها تحديد الأمور وتمييزها من بعضها؛ لأن هذه القوة هي وحدها الكفيلة بالتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، والقبح والجمال، والصلاح والفساد، ولكي يتمكن الأنبياء من إيصال رسالة الله إلى الناس، ليس أمامهم من طريق سوى الانفتاح على العقل ومخاطبته للوصول إلى روحه وبصيرته.

٢. إن الأنبياء عليهم السلام وبعد تمكنهم من استقطاب الإنسان، يجب عليهم الإبقاء على تواصلهم مع العقل من أجل عدم خروج الإنسان عن مسار الهدي حتى بلوغ الكمال، ولذلك يجب عليهم الاستمرار في مخاطبة العقل والتفكير، ومن هنا يتمتع العقل بمكانة عالية في طريق الهداية وتحليل المعلومات، وتوظيفها في جميع جوانب الحياة. وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن العقل ـ سواء في مرحلة إيجاد الارتباط وفي مرحلة الحصول على الرسالة الإلهية ـ يلعب دوراً فريداً وحيوياً، ولذلك فإن ازدهاره وتنميته تعتبر من أهم أهداف الأنبياء.

التأثيرات السلبية لعدم التفكير: كما تمّ التأكيد على أهمية التدبّر والتفكير في إطار تنمية العقل وتوظيفه بشكل صحيح، وكما استحق العلماء منزلة القرب من

---

١. *نهج البلاغة*: الخطبة الأولى.

٢. المصدر: ١٦.

الله والثناء والتكريم بسبب توظيفهم لمقدرتهم العقلية، فقد تمّ في المقابل مؤاخذة الذين لم يستفيدوا من هذه النعمة الإلهية، ولذلك نجد الله يكيل لهم التوبيخ قائلاً عن لسان النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[1]. ومن وجهة نظر القرآن الكريم فإن الشخص الذي لا يمارس التفكير والتعقل، هو مجرد من الحقيقة والماهية الإنسانية، وذلك لأنه قد تخلى عن أهم الخصائص الإنسانية، وأطفأ سراج العقل في وجوده وكيانه، ومن هنا يكون قد أغلق طريق التواصل بينه وبين الأشخاص الآخرين الذين آثروا العيش في إطار المساحة العقلية. إن مثل هذا الفرد محروم من أكثر القوى تجذّراً في حياته. فهو لا يرى ولا يسمع وليس لديه شيء ليقوله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[2]. وحيث إنه بالإضافة إلى ذلك قد تجاهل أداة الارتباط المتمثلة بالعقل وسيكون على مستوى البهائم والعجماوات التي تعجز عن إقامة جسور التواصل مع العقلاء من البشر، وفي ذلك يقول الله تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[3]. إن الهبوط إلى هذا المستوى المتدني من الانحطاط والتنكر لحقائق الوجود هو نتيجة طبيعية لعدم توظيف العقل والتفكير. إن الذين يعملون على توظيف هذه المقدرة العقلية لا يبتلون بالانحراف العملي، ولا يبتلون بالكفر والشرك في البعد النظري. وعلاوة على ذلك فإن الذين يستخدمون عقولهم في الحياة من أجل التقرّب من الله، يقيمون علاقات اجتماعية نافعة ومطلوبة مع الآخرين، وهذا بنفسه يمهّد الأرضية المناسبة من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية. وبعكسهم أولئك الذين يجتنبون استخدام العقل والتفكير في طريق الوصول إلى

---

١. الأنبياء: ٦٧.

٢. البقرة: ١٧١.

٣. الأنفال: ٢٢.

الله، ويتجاهلون دوره الذي لا ينكر، فإنهم حتى إذا تمتعوا بالسعادة والرفاه الظاهري، إلّا أنهم من وجهة نظر القرآن الكريم بحكم الأنعام، فلا يمكنهم التواصل مع الآخرين بشكل طبيعي، ولا يمكنهم المشاركة في إقامة المجتمع السليم ونشر الثقافة الصحيحة. وإن الذي يمكنه أن يساعد في إقامة الأرضية المناسبة لإيجاد الثقافة الصحيحة من وجهة نظر القرآن الكريم، هو العمل على توظيف العقل في إطار القرب من الله سبحانه وتعالى. وإن عدم الاستفادة من هذا العنصر، يعد بمثابة العجز عن إيجاد الارتباط والتواصل المعقول. وفي مثل هذه الحالة حتى إذا بدا أن هناك تواصل ظاهري فيما بين الناس، ولكن حيث إن هذا الارتباط السطحي لا يقوم على أساس من العقل والتفكير الإلهي، فإنهم في الحقيقة لا يشكلون إلّا مجتمعاً متفككاً ومشتتاً وغير متلاحم، يقوم بناؤه على أساس المصالح المادية والمنافع الدنيوية. قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[1].

عدم التفكير والنزوع إلى الخبث: إن الإنسان الجاهل ـ حيث لا يمتلك المعيار والملاك الصحيح الذي يمكنه من التمييز بين الخير والشر ـ في المنطق القرآني لا يستطيع تجنب الزيغ والانحراف، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[2]. إن الذي لا يفكر في نظام الخلق، ولا ينظر إلى حقائق العالم والتاريخ باعتبارٍ ما، لن يكون لديه متاع وتجربة كافية للمسير إلى الله، وأنه كلما أمعن في التقدم زاد بعداً وضلالاً عن الطريق، وأن مصيره لا محالة سيكون هو السقوط في قعر جهنم، قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[3].

---

١. الحشر: ١٤.

٢. يونس: ١٠٠.

٣. الملك: ١٠.

مواجهة عناصر الركود والجمود الفكري: إن من بين المؤشرات والأدلة الأخرى على اهتمام الإسلام بتنمية العقل والفكر وتوظيف التعقل والتفكر، هي مواجهة العناصر التي تستوجب ـ بنحو من الأنحاء ـ الركود والجمود الفكري. وبعبارة أخرى: إن النظام المنطقي للإسلام يمكّننا من تحديد عناصر الركود والجمود الفكري، والتعرف على مواطن الزلل الذهني والعمل على مواجهته ومكافحته. وإن تلك العناصر من وجهة نظر القرآن عبارة عن:

ـ التقليد السلبي للأسلاف. إن الإيمان بمعتقدات وآراء الأجيال الماضية، وتقليد الآباء والأجداد والأسلاف دون تحقيق أو تمحيص يعدّ من العناصر الهامة في الجمود الفكري والعقلي. وعليه فإن ما آمن به الأقدمون والتزموا به على المستوى العملي، لا ينبغي أن يكون مناط اعتقادنا لمجرّد أنهم آباؤنا وأسلافنا. فمن وجهة نظر القرآن إن الانحياز إلى عقيدة ومذهب أو طريقة يجب أن يقوم على أساس من التعقل البحت، دون الانتماء العاطفي لما كان عليه جيل من الأجيال السابقة؛ إذ لو كان مناط الإيمان وملاك الالتزام الديني وتحديد الصحيح من السقيم هو العقل والتفكير ـ والمفروض أن هذا الملاك والمناط سارياً على أسلافنا أيضاً ـ فما هو الداعي إلى التقليد والمحاكاة. وقد ذمّ الله سبحانه وتعالى التبعية إلى الأسلاف والأمم الماضية في الكثير من آياته القرآنية، وإليك نماذج منها:

ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[1].

ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[2].

---

١. البقرة: ١٧٠.

٢. المائدة: ١٠٤.

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[1].

في الرؤية القرآنية لا يعتبر الذين يوجدون سُنّة من السنن، ملاكاً ومعياراً صحيحاً لقبول أو رفض تلك السُنّة، وإنما الملاك والمعيار الصحيح للإيمان بسُنّة أو عدم الإيمان بها هو ما تتمتع به من العقلانية والهداية وإمكانية التكامل من خلالها. وعلى هذا الأساس فإن اتباع السُنّة والتقليد المطلوب هو الاحتكام إلى العقل وجعله هو المحك في القبول بما كان عليه الأسلاف والأجيال الماضية، دون التبعية والتقليد الأعمى.

٢. بحث خاصّ

إن الكثير من العقائد والسنن التي كانت سائدة بين أسلافنا لا تقوم على أسس منطقية أو معقولة. وهذا الأمر يعود بجذوره إلى تطور الثقافات عبر العصور، وكذلك إلى الميول والنزعات النفسية. وإن ما نقوله من أنه لا ينبغي اتباع سنن الأقدمين دون إقامة الدليل العقلي على تلك السنن، يعني أن العقل الإنساني يحصل على مزيد من الازدهار بمرور الزمن واكتساب المعلومات الجديدة واتساع رقعة الثقافات، فإن الذين كانوا يعيشون في الأزمنة الماضية لم يستطيعوا فهم ما توصلنا إليه في عصرنا الراهن، وقد كانت عقائدهم تتناسب ومذاخاتهم الفكرية التي كانت سائدة في عصورهم. وبعد الالتفات إلى هذه الحقيقة فإن عدم القبول بسنن الأسلاف لا يعني أنهم لم يكونوا يستفيدون من طاقاتهم العقلية والفكرية، بل بمعنى قصور أذهانهم عن إدراك أوضاعنا الراهنة. وعلى هذا الأساس فإن اعتقادهم بأمر ليس مذموماً أو أنه غير صحيح، بل إن اتباع سُنّتهم بالنسبة لنا دون تدبر أو تعقل هو المذموم. وفيما

---

١. لقمان: ٢١؛ وكذلك راجع: الزخرف: ٢٢ و٢٣؛ الأعراف: ٢٨؛ التوبة: ٢٣.

يتعلق بهذا النوع الأخير بالإضافة إلى كون التبعية والتقليد الأعمى مذموماً وسلبياً، فإن ذات هذه السُنّة سلبية ومذمومة أيضاً. والذي يتوقع من الإنسان ـ في معرفة هذه السنن الباطلة وتمييزها من السنن الصحيحة ـ هو الحد الأدنى من التفكير والتعقل. إن التكامل والتنمية والازدهار العقلي ليس له تأثير في قبول أو رفض السنن الباطلة والمذمومة. وإن النزعة الفطرية إلى الإيمان بالله والمعاد والتوحيد الربوبي أمر خضع للنقاش والجدل عبر الأجيال المتمادية. وإن الإيمان بالله قابل للشرح والبيان والاستدلال حتى من خلال العقل الفطري، فلو أن بعض الأسلاف لم يستجيبوا لنداء فطرتهم، وبعكسهم قامت الأجيال اللاحقة بالإستجابة إلى نداء هذه الفطرة وآمنوا بالتوحيد، فإن هذا لا يعني وجود قصور أو نقصان في عقول الإسلاف، وكمال في عقول الأجيال اللاحقة، وإنما يعود السبب في ذلك إلى عدم توظيف الأسلاف للعقل والتفكير، وحجبه تحت ستار الأهواء النفسية.

ـ **اتباع أصحاب النفوذ والسلطة**: إنّ التعويل على بعض الشخصيات البارزة والكبيرة وتقليدها في الكثير من الحالات، يعتبر سبباً في تزلزل المعتقدات وزوال الاستقلال الفكري، ويفضي بالتالي إلى الجمود العقلي. إن اتباع أصحاب المناصب والسلطة والشخصيات العلمية ـ في الموارد التي يمكن للفرد فيها توظيف عقله وإعمال فكره في تحليل الأمور ـ لا يترتب عليه سوى التبعات التي تؤدي إلى زعزعة أركانه الإيمانية والعقائدية. إن الأثر السلبي الذي يترتب على اتباع الشخصيات العلمية وأصحاب النفوذ والسلطة يكمن في أنه لا ينطوي على أيّ دعامة تضمن لنا الهداية إلى الصراط المستقيم من خلال التقليد وأداء فروض الطاعة لهم. بل قد يؤدي اتباعهم في الكثير من الموارد إلى الانحراف والابتعاد عن الأهداف الواقعية والحقيقية. ويتجلى هذا الأمر في الموارد التي يتم فيها اتباع أصحاب السلطة والنفوذ

الاجتماعي بالالتفات إلى الجوانب الظاهرية على نحو أكبر. فكثيراً ما يحدث أن تؤثر الكاريزما الشخصية لبعض الأفراد المقتدرين والهيبة والجلال الذي يتمتعون به، على شخصيات الآخرين بحيث يعدون قراراتهم وكلماتهم بمنزلة الوحي المنزل، ويتمسكون بها ويعملون في ضوئها دون تحقيق أو تمحيص. وهذه ظاهرة كثر حدوثها على طول تاريخ حياة الإنسان الاجتماعية، وهي ظاهرة قد رصدها القرآن الكريم في الكثير من آياته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[1]. ولا زلنا نشهد الكثير من هذه المظاهر التي تطالعنا كل يوم في عصرنا الراهن. إن القبول والالتزام بأمر ـ يتعين علينا أن نقوم بأنفسنا بالاستدلال عليه ـ إذا صدر عن شخصية علمية أو صاحب سلطة، حيث لا يمتلك الدليل العقلي عليها وإنما تفرض علينا بفعل الضغوط الخارجية، لن تكون دعائمها إلا هاوية ومتزعزعة وآيلة إلى السقوط. ولذلك نجد القرآن الكريم يقول حكاية عن لسان أمثال هؤلاء الذين يعطون قيادهم إلى الشخصيات البارزة من أصحاب النفوذ والسلطة: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾[2]. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

> من دخل في هذا الدين بالرجال، أخرجه منه الرجال كما أدخلوه فيه. ومن دخل فيه بالكتاب والسُّنّة، زالت الجبال قبل أن يزول.

ليس هناك ما يدعو إلى الوثوق والاطمئنان في أنه إذا برزت شخصية مؤثرة أخرى وجاءت بعقيدة ورأي مختلف، أن لا نؤمن بها أيضاً؛ وذلك لأن جوهر هذا النوع من العقائد لا يقوم على أساسٍ من الاستدلال والتحليل العقلي، حتى يبقى ثابتاً بعد تغيّر العوامل والأسباب الخارجية، فيمكن تغييره

---

١. هود: ٩٦ ـ ٩٧.

٢. الأحزاب: ٦٧.

عند انفصاله عن منشئه الخارجي. وعليه فإن تقليد الآخرين والتعويل عليهم ـ في الموارد التي يمكن للفرد فيها أن يقوم بنفسه بعملية التحقيق والتحليل والبحث العقلي ـ لن يؤدي سوى إلى الانحراف والانزلاق العقائدي. ومن هنا فإن استحكام العقيدة وثباتها يتوقف على ترسيخ جذورها في جوهر ذات الإنسان وعمق كيانه، وذلك من خلال الجهود العقلية والفكرية التي يباشرها الإنسان بنفسه، ولا يمكن للإنسان أن يواصل مسيرته التقدمية نحو الكمال إلّا من خلال سلوك هذا الطريق.

ـ اتباع الظن: إن من بين الموارد التي تؤدي إلى الجمود الفكري والعقي هو اتباع الظنون والأوهام، وهو ما تحدث عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[1]. إن الاكتفاء والاقتناع بالمراتب المتدنية من الإدراكات العقلية والفكرية، وعدم التحقق والتدقيق والتمحيص من أجل الوصول إلى مرتبة اليقين، يؤدي بالإنسان إلى القيام بأعمال واهية وضعيفة في اختيار العقائد، ولذلك فإنه سيتخلى عنها لأدنى شك أو شبهة. وإن هذا الأمر سيفضي إلى الانحراف عن الواقع فيما يتعلق بالبعد العقائدي، وإلى سوء الظن بالآخرين فيما يتعلق بالبعد الاجتماعي. قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ...﴾[2].

إن أساس وجذور التبعية للظنون ـ من وجهة نظر القرآن الكريم ـ تعود إلى عبادة الأهواء النفسية. قال الله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ

---

١. النجم: ٢٨.

٢. الحجرات: ١٢.

جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[1]. إن الذي ينحاز إلى الأهواء النفسية، يرزح في ظلمات الظن والشكوك، ويحرم من نور العقل والتفكير.

الانحياز إلى الأكثرية: إن الإنسان في اختياره للمعتقد ولمنهجه في الحياة بحاجة إلى محمل يستطيع من خلاله تبرير اعتناقه لتلك العقيدة واختياره لذلك المنهج. فإن معرفة دليل كل أمر بالإضافة إلى أنها تعمل على إقناع المرء من الناحية العقلية، فإنها تخلق لديه حالة من الطمأنينة والاستقرار من الناحية النفسية. وإذا كان لعدم الحاجة إلى الدليل والاطمئنان بدرجة من الهدوء والاستقرار، دعامة عقلية، فإن ذلك سيمنحها ثباتاً واستحكاماً، بيد أنه في بعض الأحيان يؤدي بنا الحصول على الاطمئنان والقناعة الباطنية ـ في عملية البحث عن الدليل ـ إلى أن نغض الطرف عن اللجوء إلى العقل، والاستناد إلى عناصر أخرى من قبيل: أقوال الآخرين ومواقفهم.

إن التمسك بآراء الآخرين والقبول بعقيدتهم ونهجهم، وإن كان يؤدي إلى حدّ ما إلى الطمأنينة من الناحية النفسية، إلّا أنّ الميل إلى الأكثرية والاستناد إلى آراء الجماعة، لا يجعلنا في غنى عن التمسك بالعقل. وعلى هذا الأساس فإن الإيمان بكل نوع من أنواع العقيدة أو أي منهج من مناهج الحياة ـ إذا لم يقم على أساس من التفكير والتعقل ـ فإنه سيؤدي إلى تزلزل العقيدة، بل وفي كثير من الأحيان إلى الانحراف والابتعاد عن الحقيقة والواقع. أنّ أكثر الناس، بدلاً من أن يقوموا بتوظيفت العقل والفكر فإنهم يتبعون الظن، وإن اتباع الجماعات اتباعاً أعمى يؤدي بدوره إلى التبعية للظنون والشكوك، ولن ينتج عن ذلك سوى الضياع والضلال. ومن هنا عمد القرآن الكريم إلى شجب ومنع اتباع الأكثرية دون تفكير أو تعقل، وذلك حيث يقول الله تبارك

---

١. النجم: ٢٣.

وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾[1].

العصبية العمياء: إن العصبية بمعنى الإصرار على معتقد أو طريقة أو مذهب، إنما تكون مذمومة ومرفوضة إذا كانت قائمة على الجهل والسفاهة. وإن هذا النوع من العصبية هو عدول عن المسار الصحيح، وانحراف عن حدود العلم واليقين. إن الشخص المتعصِّب يضع عقله تحت قدميه، فهو على الرغم من وعيه وإدراكه لبطلان عصبيته، ويقينه بأحقية العقيدة الأخرى، إلّا أنه ينكر كل ذلك انصياعاً لأهوائه الشخصية. وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]. وإن الذي يؤخذ بنظر الاعتبار فيما يتعلق بالعصبية السلبية إلى حد أكبر هو عدم توظيف ثمار العقل المتمثلة بالوعي واليقين.

إن بعض عناصر الجمود والركود الفكري من قبيل: التبعية للأسلاف، واتباع الشخصيات ذات السلطة والنفوذ، واتباع الأكثرية، إنما تكون مذمومة لأنها تحول دون توظيف الإنسان لعقله وتفكيره، وأما فيما يتعلق بموارد من: **العصبية العمياء:** فإن جذور الجمود الفكري والركود العقلي تعود إلى الأهواء النفسية، والتي تؤدي بالإنسان إلى التنكر لعقله مدركاً عالماً وعامداً، حتى تنطفئ جذوة العقل بالتدريج. وفي ذلك روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأْيَ»[3].

ـ التسرّع بالحكم: إن القبول والتصديق بأمر أو رفضه وإنكاره يجب أن يقوم على أسس عقلية، وأن يكون عن دراية وبصيرة وصبر وتروّي وإحاطة

---

١. الأنعام: ١١٦.

٢. النمل: ٨٤.

٣. الشريف الرضي، *نهج البلاغة*، قصار الحكم، الحكمة رقم: ١٧٩.

علمية. إن إبداء المواقف العجولة والمتسرّعة والسطحية يُعدّ واحداً من علامات الجمود الفكري وعدم توظيف العقل في مقاربة أفكار الآخرين وتقييمها. ومن هنا فإن القرآن الكريم يحظر على الإنسان أن يتسرّع في قبول الأفكار أو رفضها، ويرى أن ذلك بمنزلة الشرخ الفكري والعلمي الذي من شأنه أن يؤدي بالمرء إلى قعر الجهل والظلام. قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

لَو أن العِبادَ حينَ جَهلوا وَقَفوا، لَم يَكفُروا ولَم يَضِلّوا.[3]

وإن الحلم والتصبّر نتيجة العقل والحكمة، وهو يؤدي بالإنسان إلى الوعي والكمال والسمو، وقد روي في ذلك عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«فتشعَّبَ مِنَ العَقل الحِلمُ، ومِنَ الحِلمِ العِلمُ، ومِنَ العِلمِ الرُشدُ»[4].

ـ **العلاقات غير العقلانية:** إن من بين العناصر الأخرى التي تؤدي إلى الركود الفكري والجمود العقلي هي التعلقات الاعتباطية وغير المعقولة والتي يتمّ فيها تجاهل الأفكار الصحيحة والتنكر لها. وإذا لم تقم علاقات الإنسان على أساسٍ من العقل والتفكير، فإن الحب والبغض سيحول دون التقدم والسير على إيقاع الحركة العقلانية. وإن إغلاق عين البصيرة والتفكير والعقل بغمامة الحب والبغض والتعلقات غير المعقولة، يفضي بالإنسان إلى دائرة الحرمان من نور العقل والتفكير. وإن الذين يقيمون حبهم أو بغضهم على

---

١. يونس: ٣٩.
٢. النمل: ٨٤.
٣. الآمدي، *غرر الحكم ودرر الكلم*: ٢٦١.
٤. العلامة محمد باقر المجلسي، *بحار الأنوار*: ١٦/ ١١٧.

عناصر غير عقلية يحبسون أنفسهم في شباك هذه العلاقات والأحقاد غير المنطقية. وفي ذلك روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ»[١].

وإن التعلق بأمور من قبيل: الثروة والجاه والمقام والنفوذ الاجتماعي والعُجب، والأنانية، وعبادة الهوى، والانغماس في الملذّات، تجعل الإنسان حبيساً داخل شرنقة تحيط به من جميع الجوانب حتى تمنعه من القدرة على الرؤية والتبصر. وقد روي عن الإمام علي عليه السلام في هذه الموارد أحاديث كثيرة من قبيل: قوله عليه السلام:

«ضَياعُ العقول في طَلَبِ الفُضولِ»[٢].

«عُجبُ المَرء بنَفسهِ، أحَدُ حُسّادِ عَقلهِ»[٣].

«عَدُّو العَقلِ الهَوى»[٤].

«إذا كَمُلَ العَقلُ، نَقَصَتِ الشَهَوةُ»[٥].

«مَن كَمُلَ عَقلُه، استَهانَ بالشَهَواتِ»[٦].

وعليه فإنّ اجتناب هذه الأمور، يؤدي إلى استثمار الكفاءة العقلية بالشكل الصحيح والناجع.

ـ **الغضب والحقد**: إن الغضب يؤدّي بمعطيات العقل والفكر إلى الضياع والفناء. فإن الذي يُبتَلي بالغضب والحنق لا يمكنه أن يتمتع بالصبر والحلم،

١. الشريف الرضي، *نهج البلاغة*، الخطبة رقم: ١٠٩.
٢. *غرر الحكم ودرر الكلم*.
٣. *بحار الأنوار*: ٧٢/ ٣١٧.
٤. المصدر: ٧٨ / ١٢.
٥. *غرر الحكم ودرر الكلم*.
٦. المصدر.

ولا يستطيع الاختيار الصحيح بحكمة وتعقل، ولا يمكنه القيام بنشاط علمي، وفي ذلك روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«الغَضَبُ يُفسِدُ الألبابَ، ويُبعِدُ عَنِ الصَوابِ»[١]. وفي موضع آخر روي عنه عليه السلام أيضاً: «شِدّةُ الغَضَبِ تُغيّرُ المَنطِقَ، وتَقطَعُ مادَّةَ الحُجَّةِ، وتُفَرِّقُ الفَهمَ».[٢]

كما أن الغَضوب يقيد نفسه بسلاسل وأغلال الحنق. وأما الحركة بهدي العقل والتفكير السليم، فإنها لا تكون إلّا من خلال التحرر من ربقة الغضب.

عناصر تنمية العقل والفكر: لقد ذكّر الإسلام بأسباب وعناصر الخمود والجمود الفكري، محذّراً الإنسان من الوقوع في شباكها، ويقدّم له السبل الناجعة والعوامل المفيدة التي يستطيع من خلالها الوصول إلى التعقّل والتفكير الصحيح. وإنّ من بين العوامل التي تساعد الإنسان على بلوغ الاستقلال الفكري والعقلي من وجهة نظر الإسلام أموراً نذكر منها ما يلي:

١. **اقتفاء الدليل:** إنّ من بين عناصر تنمية قوة التعقل والتفكير لدى الإنسان، هو نزوعه إلى اقتفاء الدليل واتباعه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.[٣] ويجب أخذ هذا العنصر بنظر الاعتبار سواء في ذلك عند الاستماع إلى آراء الآخرين أو عند مخاطبة الآخرين والسعي إلى نقل آرائنا إليهم. بمعنى: أنّ الملاك في رفض أو قبول الآراء يجب أن يقوم على الدليل أو الأدلة التي يجب أن يقترن بها ذلك الرأي. إنّ إقامة الدليل والبرهان يقنع الإنسان، ويشكّل في الوقت نفسه دعامة تحفظ الإنسان من الزيغ والانحراف. ومن وجهة نظر القرآن فإنّ الذي

---

١. المصدر.

٢. *بحار الأنوار*: ٧١/ ٤٢٨.

٣. المؤمنون: ١١٧.

يتفوّه بكلام دون أن يقيم الدليل عليه، لا يعبّر في الحقيقة عن مذهب أو معتقد، وإنّما يقوم بمجرّد إبراز أمنية ورغبة لم يقم الدليل على صحتها أو صدقها، ومن ذلك ما يذهب إليه اليهود والنصارى في اعتبار أنفسهم وحدهم الناجين يوم القيامة، وهو ما عبّر عنه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١]. وقال الله تعالى أيضاً: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٢].

ومن هنا فإنّ كلمات أمثال هؤلاء لا يمكن أن تكون مقبولة من قبل الآخرين. ولذلك فإن القرآن يشجّعنا على مطالبة المدّعين بالدليل والبرهان، ويعدّ الذين لا يقيمون الأدلة والبراهين على كلامهم أناساً غير صادقين. وذلك من قبيل: قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣].

إنّ الملاك في الرؤية الواقعية والكشف عن الحقائق هو تقديم الدليل. ولذلك فإن الذين يجنحون إلى الخيال ـ حيث إنهم غير واقعيين ـ يتهرّبون من إقامة الدليل، ومن هنا فإنّهم يفقدون مسكتهم العقلية بالتدريج، لأن اقتفاء الدليل يزيد من المقدرة العقلية، وكلما نضب معين هذه القوة والقابلية والكفاءة، فإنّ رصيد الجنوح نحو الخيال سيكون مرتفعاً ويكون هو المحور الذي تدور عليه الأنشطة الفردية والجماعية. وإنّ من بين النتائج الكارثية المترتبة على هذا النوع من الحياة الفكرية هو عض أصابع الندم، حيث لا ينفع الندم. وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ

---

١. البقرة: ١١١.

٢. القصص: ٧٥.

٣. النمل: ٦٤؛ وكذلك انظر: البقرة: ١١١.

فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[١].

إنّ الذي لا يبحث عن الدليل ولا يسأل عن البرهان، يُبتلى بالعديد من المشاكل في حياته، ولن تقتصر هذه المشاكل على التبعات الخارجية، بل ستؤثر عليه حتى من الناحية الداخلية والنفسية، حيث سيعيش في قلق واضطراب. إنّ الكثير من المواجهات الاجتماعية التي يعقبها الندم تعود بجذورها إلى عدم إحاطتنا بجوانب الأمور. ولو أنّ الإنسان كان يلاحظ مصالحه الحقيقية في كلّ خطوة يخطوها في حياته، فإنّه لن يتحمل الخسائر الفادحة، ولن يؤدي به ذلك إلى الندامة والحسرة على ما فاته وضيّعه. وهكذا نجد الله سبحانه وتعالى يسعى من خلال الآيات الإلهية إلى إقامة الدليل ووضع العلامات للناس من أجل الحصول على المعطيات العقلية والفكرية، ويدعو الإنسان إلى رحاب قُدسه من خلال التماس الدليل والبرهان القاطع والحاسم. قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]. وقال أيضاً: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]. وعلى هذا الأساس فإن توظيف هذه الآلية في التنمية والهداية بقيادة العقل، يعتبر الخطوة الأولى في إطار بلوغ الأهداف النهائية والقرب من الله سبحانه وتعالى.

٢. **توظيف العقل والتفكير**: إنّ ازدهار وتطوّر وتكامل أي قوّة واستعداد رهن بتوظيف ذلك الاستعداد وتلك القوّة. وهذا الأمر وإن كان ملحوظاً ومحرزاً فيما يتعلّق بالقوى الجسدية، إلّا أنه يصدق بالنسبة إلى الأبعاد الذهنية ويمكن تحصيله على المستوى العقلي أيضاً، وإن كان ذلك على درجة

---

١. الحجرات: ٦.

٢. البقرة: ٢٤٢.

٣. البقرة: ٢٦٦.

مختلفة بالمقارنة مع البعد الجسدي[١]. وفي الدائرة الذهنية والعقلية نجد التفكير يؤدي إلى إتقان المعلومات واستحكامها، ويزيد من قدرة الفرد على كشف المجهولات. وبعبارة أخرى: إنّ تقوية العقل تعني ارتفاع مستوى المعرفة وإدراك الأدلة والعلامات البارزة، وبذلك فإنها تضع تحت تصرّف العقل الكثير من الأدوات (الدلائل) من أجل كشف المجهولات وحلّ رموزها. وعليه فإن الدعوة إلى التعقل في الأمور، وتجنب السذاجة يعني توظيف هذه المقدرة في جميع الأحوال. إنّ القرآن الكريم يرشد الإنسان إلى بذل الجهد للاستفادة القصوى من هذه المقدرة؛ وذلك لأنّ الاعتياد على توظيف العقل واستخدامه في مسيرة الحياة، واستثمار التجارب والعلوم يؤدي إلى تطوير العقل وتكامله. وفي ذلك روي عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال:

«العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب».[٢] وقال أيضاً: «من أكثر الفكر فيما تعلم، أتقن علمه، وفهم ما لم يكن يفهم».[٣]

٣. **تعميق الفكر**: إنّ من بين العوامل الأخرى التي تعمل على إحياء العقل وشحذ الذهن، فهم الأمور بدقة وعمق. إنّ أخذ جميع الأبعاد بنظر الاعتبار، يسد منافذ الجهل والنظر إلى الأمور بسطحية، ويجعل الفرد لا يقنع بتجاوز المسائل ببساطة بعيدة عن التدقيق والتروّي، وفي ذلك روي عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال في وصف أهل بيت النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ»[٤]. إن التعمّق والتدبّر في الأمور يعد من المراحل الفكرية العالية في مسار البشرية العلمي، حيث يمكن من خلاله

---

١. وفي ذلك إشارة إلى نظرية الانتقال المشترك لـ "ثيرندايك"، بدلاً من نظرية الرياضة الذهنية لأرسطو التي ترمي إلى توحيد وتقوية الذهن وتنميته.

٢. *غرر الحكم ودرر الكلم*: ٦٧.

٣. *بحار الأنوار*: ٦٨، ٣١٦.

٤. *نهج البلاغة*: الخطبة: ٢٣٩.

الحصول على نتائج جديدة. وإن هذه الصفة من الأهمية بحيث إن القرآن الكريم على الرغم من أنه لم يعمد إلى الثناء على الله بالتعقل أو التفكير، إلّا أنه وصفه سبحانه بأنه صاحب تدبير وأنه مدبّر الأمور. وإن هذا النوع من التدبير يعني الإحاطة الشاملة بالأمور، وإن هذه المرحلة من المعرفة والوعي تحكي عن الإحاطة الشاملة التي تشمل حتى العلم الإلهي أيضاً، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الحقيقة في الكثير من آيات القرآن الكريم، نذكر منها على سبيل المثال: قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾.[١]

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾.[٢]

ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.[٣]

ـ ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾[٤].

وعلى هذا الأساس فإن الترغيب والتشجيع والحث على التدبّر والتعمّق في الأمور يحكي عن أهمية هذه الصفة. قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٥]، وقال أيضاً: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٦].

---

١. يونس: ٣.

٢. يونس: ٣١.

٣. الرعد: ٢.

٤. السجدة: ٥.

٥. محمد: ٢٤.

٦. ص: ٢٩.

٤. **الاستفادة من مختلف الآراء:** إنّ المنظور من توظيف العقل والتفكير بوصفه قوّة مودعة لدى الإنسان، هو بيان فكرة وعقيدة صحيحة ومستحكمة. وإنّ صلابة واستحكام العقيدة رهن بنجاحها في مواجهة العقائد المخالفة والآراء المناهضة لها، ومن هنا فإنّ الإنسان العاقل ليس لديه أيّ خشية أو تخوّف من مقارعة الأفكار والعقائد والمذاهب المخالفة ومواجهتها. ومن وجهة نظر القرآن الكريم فإنّ منهج الوصول إلى العقل السليم والفهم الصحيح يكمن في الترحيب بالأفكار المتنوّعة والعمل على دراستها وتمحيصها. وعلى كل حال يجب تدريب العقل بحيث يستطيع تقييم الآراء والعقائد المختلفة وإصدار الحكم بشأنها. وإنّ هداية الله وإرشاده إنّما يشمل الذين بلغوا هذا المستوى من المنهج الفكري، وتمكّنوا من تقييم الأفكار واختيار ما هو الأفضل من بينها، وفي ذلك قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[1].

٥. **توظيف القوالب الفكرية لدى الآخرين:** إنّ من بين سبل إحياء وتجديد قوّة التفكير لدى الأفراد، الاستفادة والتوظيف الصحيح لبعض المعتقدات الفكرية. ففي هذا الأسلوب يتمّ توظيف ما يدين به الشخص في إبطال عقيدته. وقد استخدم القرآن الكريم مختلف الأدلة والبراهين والآيات، ومع ذلك تمّ دعم الأنبياءعليهم السلام بالمعاجز تارة، وتارة من طريق بيان عظمة الخلق، وتارة من خلال توظيف ذات الأمور التي يؤمن بها المعاند بغية استثارة العملية العقلية والفكرية لديه. وهو ما نراه جلياً في قصة تحطيم النبيّ إبراهيمعليه السلام للأصنام وإلقاء اللوم على كبيرهم، وبذلك أثبت أنّ الأصنام ما هي إلّا جمادات نصنعها بأيدينا، ولن تستطيع أن تعمل شيئاً لتغيير نظام الطبيعة، بل لا تستطيع حتى الدفاع

---

١. الزمر: ١٨.

عن نفسها، ولذلك فإنّها لا تستحق العبادة أبداً. وقد صوّر القرآن هذه الحادثة على النحو الآتي: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۞ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاَءِ يَنطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلاَ يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[1].

٦. التدبّر في أحوال تاريخ الأمم السابقة: إنّ من بين الطرق الأخرى لخلق الداعي والحافز إلى التفكير في فهم وإدراك وتوظيف العقل، هو النظر في تجارب وأداء الأمم السابقة وأسلافنا الماضين. فإنّ التاريخ بمثابة المرآة الصافية التي تنعكس فيها جميع الأحداث الماضية وتجارب الأمم السابقة، وتترتب عليه من النتائج والآثار ما يؤول بنا في نهاية المطاف إلى التفكير والتدبّر والاعتبار. وقد أشار القرآن الكريم إلى الاعتبار بتاريخ الماضين واستلهام دروس العبر والاتعاظ بها. وأنّ محور جميع هذه التجارب هو توظيف العقل والتفكير من أجل الخلاص من المصائب التي حاقت بالأمم السابقة نتيجة لبعدها عن الله واقترافها المعاصي والذنوب، من قبيل: التعويل على عامل القوّة الاقتصادية والعسكرية، وكثرة العدّة والعدد، والظلم والجور والإجحاف بحق الآخرين، وتكذيب الرسل، واستعمال المكر والحيلة والخداع للتنصل من آثار أعمالهم السيئة. والقرآن الكريم يعلمنا بأننا إذا أردنا أن لا نُبتلى بنفس ما ابُتليَ به أسلافنا بسوء أعمالهم، فما علينا إلّا الاعتبار بمصيرهم، وأن نكتسب الخبرة

---

١. الأنبياء: ٥٧ ـ ٦٧.

والتجربة مما جرى عليهم. وإليك نماذج من آيات القرآن الكريم التي تناولت هذه الظاهرة:

- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾[1].

- ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾[2].

- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[3].

- ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[4].

- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾[5].

- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[6].

- ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[7].

- ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[8].

---

١. الروم: ٩.

٢. غافر: ٢١.

٣. فاطر: ٤٤.

٤. يونس: ٣٩؛ القصص: ٤٠.

٥. يونس: ٧٣.

٦. الأعراف: ١٠٣.

٧. النمل: ١٤.

٨ النمل: ٥١.

وإن من بين الفوائد والآثار الأخرى المترتبة على التفكير في تاريخ الأمم، هو أن ذلك يساعد على فهم المسائل والأمور المشتركة بين الناس في الحياة. إنّ التعرّف على المسائل والمشاكل التي ابْتليَ بها الناس عبر الوصول السابقة، يساعدنا على تحديد العناصر المؤثرة في مسار التاريخ والمجتمعات الإنسانية. فمن باب المثال: نستطيع من خلال قراءة التاريخ أن ندرك أن التعلقات الدنيوية والمرحلية، وإن كان من الممكن أن تستمر لفترة طويلة، إلّا أنها ستنتهي إلى الفناء يوماً ما ولن يبقى لها من رسم ولا أثر.

٧. **مجالسة العلماء والمفكرين:** وإن من بين العناصر التي لا يمكن إنكار تأثيرها على منظومتنا الفكرية هي مجالسة العلماء والمفكرين، إذ إنها تؤدي إلى تنمية مقدرتنا وكفاءتنا العقلية الكامنة، والتعرّف على القوالب الفكرية الجديدة، وتنمية قوّة التفكير لدينا. فقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام في ذلك أنه قال: «مُجالَسَةُ الصالِحينَ، داعِيَةٌ إلى الصَّلاح وآداب العُلماء، زيادَةٌ في العَقل». وفي المقابل فإن مجالسة الجهّال تكون سبباً في خمود بريق العقل وانطفاء جذوته، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «مَن صَحِبَ جاهِلاً، نَقَصَ مِن عَقلِهِ»[1].

ومن الضروري التذكير بهذه النقطة وهي أن عناصر التنمية العقلية والفكرية تنقسم إلى قسمين، وهما: العناصر الداخلية، من قبيل: توظيف العقل والفكر وتعميقهما، ومراعاة التقوى. والعناصر الخارجية، من قبيل: اقتفاء الدليل، والاستفادة من مختلف الآراء والنظريات، ومعرفة التاريخ، ومجالسة العلماء والمفكرين.

٨. **تهذيب النفس وطهارة القلب:** تقدّم أن ذكرنا في بحث التقوى أن من بين الآثار التربوية المترتبة على التقوى، هي البصيرة وحلّ المشاكل وكشف

---

١. *جامع أحاديث الشيعة*: ١٣/ ٢٨٣.

المجاهيل، وذلك لا يأتي إلّا في ضوء العقل والتفكير. وقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«مَن لَم يُهذِّب نَفسَهُ، لَم يَنتَفِع بالعَقل».[1]

إنّ تهذيب النفس يُعدّ أرضية مناسبة ترفع من مستوى فراسة المؤمن وقدرته على تحديد الخير وتمييزه عن الشر. وبعكس ذلك لو عاش المرء أجواءً مظلمة وملبّدةً بالذنوب، حيث لن يكون بإمكانه بلوغ الهداية والكمال، ولن يكون مصيره سوى السقوط في مستنقع الضياع والسفاهة والبعد عن مصادر الحقيقة. قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[2]. وروي عن الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام أنه قال:

«لا يَكمُلُ العَقلُ إلّا باتّباعِ الحَقّ».[3]

٣. تحصيل العلوم والمعارف

إن اكتساب العلوم والإقبال على المعارف والحصول على التجارب العلمية والمعرفية المعاصرة يؤدي إلى زيادة سعة أُفق العقل وارتفاع مستوى الإدراك، كما أنّ التعرّف على الحضارات والثقافات البشرية المعاصرة الذي هو حصيلة اكتساب الفنون والعلوم والمعارف النظرية يؤدي إلى تقوية موقف العقل في مواجهته لمختلف التيارات الفكرية، وانتهاج الأساليب النافعة في الحياة. وعلى الرغم من أنّ توظيف العقل الفطري وما أمرنا الله به في القرآن الكريم ـ باعتباره سبباً في الهداية والتكامل ـ لا يتوقف على تحصيل علوم ومعارف خاصّة ـ فإنّ بإمكان الفرد أن يحصل على الهداية

---

١. *غرر الحكم ودرر الكلم*: ٧٠٠، الحكمة رقم: ١٣١١.

٢. الأنفال: ٢٩.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٨/ ١٢٨.

والتكامل على المستوى الفطري والعادي من خلال الاستفادة من مناهج المعرفة المتمثلة بالتفكر والتدبّر في أسرار الخلق وآثار الأمم السالفة وما إلى ذلك ـ إلّا أنّ الذي يقع موضع اهتمام الدين على الدوام هو الوصول إلى الهداية الأسمى والكمال الأكبر. إنّ سعي الإنسان من أجل الوصول إلى المراحل العليا من الهداية، رهن بتنمية العقل الفطري وتطويره من خلال الاطلاع على الاكتشافات الحديثة والعلوم الجديدة التي تمّ التوصل إليها في مختلف الفروع والمجالات. وبطبيعة الحال ليس هناك في الرؤية الإسلامية ما يضمن أن يكون الإنسان العالم عاقلاً أيضاً. فعلى الرغم من وجود التأثير والتأثر بين العلم والعقل، إلّا أنّ زيادة العلوم لا تستلزم ازدهار العقل البشري بالضرورة. فما أكثر العلماء والمفكرين الذين حرموا من نعمة العقل، فقاموا بتوظيف قدراتهم العلمية في طريق الانحراف أو إبادة الشعوب والأمم. وهناك الكثير من الآيات القرآنية الدالة على أنّ مجرّد معرفة طرق الهداية والكمال لا يعني تحقق الهداية والكمال، بل لا بد ـ بالإضافة إلى معرفة الهداية والكمال ـ عن أن يتحلّى الشخص بعنصر التقوى والفطرة السليمة أيضاً. وقد أشارت بعض الآيات القرآنية إلى أنّ هناك من الناس من يكتمون الحقّ رغم معرفتهم وعلمهم به، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.[1] وقال تعالى أيضاً: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.[2] وهناك من ينسب إلى الله الكذب ـ والعياذ بالله ـ وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.[3] وبقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ

---

١. البقرة: ١٠١.

٢. البقرة: ١٤٦.

٣. آل عمران: ٧٥.

بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.[١] وهناك من يعمل على إثارة الفتن وإشعال فتيل الحروب، وبثّ الاختلاف والفرقة. وفي ذلك يقول الله (عزّ وجل): ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾[٢]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾[٣]، وقال الله تعالى أيضاً: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٤].

نستنتج من جميع هذه الموارد أنّ هؤلاء الأفراد قد تعرّضوا للضلال والانحراف على الرغم من الإرشاد والدعوا إلى الهدى. إنّ العامل والعنصر الذي يؤدي بالبشرية إلى الحرمان من الهداية الإلهية والبعد عن الله يكمن في الجهل وعدم التعقّل والمعرفة. ولو أنّ جميع المجاهيل في العالم أصبحت واضحة للإنسان، مع ذلك لا يمكن اعتبار علمه مفيداً بحاله؛ لأن العلم إنما يكون مفيداً إذا كان مسيطراً عليه من قبل العقل. وعلى حد تعبير القرآن فإنّ الذين يدركون ما يحدث في هذا العالم، دون أن يفهموا حقيقة المعاد لا يمكن اعتبارهم من العلماء. وذلك لأنّ علمهم إنّما يتعلّق بالأمور المحسوسة التي يمكن أن تخضع للتجربة، دون أن تسري إلى كنه الأمور وأعماقها. ومن هنا فإنّ هؤلاء غافلون عن الآخرة التي هي تعبير آخر عن كنه عالم الدنيا. قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[٥].

أسباب التأكيد على شمولية العلوم والمعارف: نبدأ البحث بهذا السؤال

---

١. آل عمران: ٧٨.

٢. آل عمران: ١٩.

٣. الشورى: ١٤.

٤. الجاثية: ١٧.

٥. الروم: ٧.

القائل: إذا كان بإمكان الإنسان ـ من خلال التمسك بالعقل الفطري ـ أن يدرك الأسس والأصول الدينية، وأن يتوصل إلى معرفة التوحيد والمعاد وضرورة النبوة، إذن، ما هي الضرورة إلى دراسة العلوم والمعارف من الناحية الدينية، وأساساً ما هو دور العلوم والمعارف الدينية في تكامل الإنسان في مسيرته إلى الله سبحانه وتعالى؟

للإجابة عن هذا السؤال يجب القول: إنّ المراد من العقل الفطري، وما ذكر في القرآن الكريم تحت عنوان العقل، هو نوع من الكفاءة والرؤية التي يمكن للإنسان من خلالها أن يحصل على الهداية البدائية دون تدخل من عنصر وعامل خارجي للهداية، وأنّ يؤمن بالتوحيد وأنّ الله خالق الكون، وأنّ علينا الاستعانة به والتوكّل عليه. كما يمكن للعامل والعنصر الخارجي في الهداية أن يأخذ بأيدينا إلى هذه الهداية البدائية، فنؤمن من خلاله بالتوحيد وأنّ الله خالق الكون والعالم والوجود، وأنّه يجب علينا أن لا نطلب العون إلّا منه، ولا نتوكل إلّا عليه. وأما الإجابة عن مقدار ما يمكن لهداية الفطرة أن تقودنا إليه، وهل تشمل هذه الفطرة ضرورة المعاد والبعثة والموارد الأُخرى، فهي بحاجة إلى بحث آخر أيضاً، إلّا أن الذي تمّ التصريح به في القرآن الكريم هو الإيمان بالتوحيد ومعرفته الفطرية. وفي ذلك قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.[1]
- ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.[2]
- ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.[3]

---

١. العنكبوت: ٦١.

٢. العنكبوت: ٦٣.

٣. لقمان: ٢٥. وانظر أيضاً: الزمر: ٣٨؛ الزخرف: ٨٧

وعليه يمكن لنا أن نستنتج أنّ الدور الرئيس والأوّلي للعقل الفطري في مجال هداية الإنسان، هو الإرشاد والهداية إلى التوحيد.

كما تقدّم أن ذكرنا إن العقل الفطري مقدرة خاصة أودعها الله في وجود الإنسان، لكي يهتدي من خلالها. وأنّ هذه المقدرة تلعب أدواراً متنوعة تبعاً لمختلف الحالات، ولها آلية محددة بالالتفات إلى مقدار العلم والمعرفة التي تكون مقرونة بها، فمثلاً: أنّ المعرفة بالدلائل التكوينية تؤدي إلى حصول الإنسان على مرحلة عالية من التوحيد. وهكذا الاطلاع على الآيات التشريعية يؤدي إلى التعرّف على التوحيد في الخالقية والتوحيد الربوبي أيضاً. وكذلك فإن دراسة تاريخ الأمم السابقة وأحوال الأجيال الماضية، تمكّن الدارس من الحصول على مزيد من التجربة، فلا يعيد أخطاء الأمم السالفة، والتمكّن من الحصول على التكامل والتقدّم. إن العقل في هذا المجال يكون بمنزلة القائد والمرشد والدليل الذي ينظر إلى الهدف والغاية، وأنّه من خلال توظيف العلوم والمعارف يصل إلى قصده وإلى هدفه وغايته. ومن هنا يمكن القول: إنّ العقل في مقابل الجهل بمثابة عنصر للهداية الذي يهدف إلى الصعود نحو المراتب العليا من خلال الاستعانة بالأدوات العلمية والمعرفية. إنّ اتساع الأفق العلمي وتوسيع رقعة المعلومات البشرية يعدّ أرضية مناسبة للنشاط والمناورة العقلية. وكلما زادت معرفة الإنسان، كان أعلم بالهداية إلى الله، إلّا أنّ مستوى الهداية في كلّ واحد من هذين الأمرين يكون مختلفاً. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[1]، وقال تعالى أيضاً: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾[2]، وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى

---

١. العنكبوت: ٤٣.

٢. العنكبوت: ٤٩.

اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1]، وقال سبحانه أيضاً: ﴿يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2]. إن الرغبة في الحصول على مزيد من المعارف ضارب بجذوره في العقل، وحيث إن تقدّم الإنسان ورقيه رهن بجمع المعلومات، فقد كان طلب العلم مورد تأكيد من قبل العقل. وعلى هذا الأساس فإنّ نشوء العلم ونموّه وتكامله التدريجي، وليد إرادة الإنسان من أجل توظيف العقل والتوصل إلى حياة أفضل وأكثر رخاءً ورفاهية.

وعلى الرغم من أنّ الكثير من الناس قد تناسوا الأهداف الإنسانية العالية، فلم يعودوا يستخدمون العقل في الاتجاه الصحيح، وأخذوا يُقبلون على طلب العلم من أجل الحصول على مزيد من المنافع والمصالح المادية، ولكن على كل حال فإن وظيفة العقل من وجهة نظر الإسلام تكمن في تنمية وتطوير العلم بقصد التقرّب من الله، وعليه لا بدّ من توظيفه في هذا الإطار وهذه الغاية. ومن هنا يمكن لنا أن ندرك كنه التأكيد الذي نجده في الآيات القرآنية والروايات الشريفة وتشجيعها وحثّها على طلب العلم. قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[3].
وروي عن النبيّ الأكرم ﷺ أنه قال:

«طَلَبُ العِلمِ فَريضَةٌ علىٰ كُلِّ مُسلمٍ ومُسلمةٍ»[4]. وروي عنه أيضاً أنه قال: «اُطلُبوا العِلمَ مِنَ المَهدِ إلى اللَّحدِ».[5]

إنّ التأكيد على أهمية تحصيل العلم والمعرفة في الآيات والروايات بوصفهما هدفاً وسيطاً في مسار هداية الإنسان إلى الله، يثبت القيمة الاستثنائية

---

١. فاطر: ٢٨.
٢. المجادلة: ١١.
٣. الأنبياء: ٧؛ النحل: ٤٣.
٤. *بحار الأنوار*: ١/ ١٧٧.
٥. *نهج الفصاحة*، ص ٦٤.

والفذّة لهذا العنصر الفريد في المسار الموصل إلى الهدف الغائي. إن ضرورة الاهتمام بهذه المسألة مع مرور الزمن واتساع رقعة العلم ودائرة الثقافة البشرية تتجلّى بشكل أكبر إلى الحدّ الذي يمكن القول معه: إن إحياء وتجديد الحضارة الإسلامية وتوسيع نطاقها رهن بالتعرّف على المعطيات العلمية والفنية، والتقنيات الحديثة وكذلك استيعاب الأساليب المعرفية والمعلومات النظرية أيضاً. إنّ إرادة أكثر الناس في العالم المعاصر قد آلت إلى الضعف والركود بسبب هيمنة العوامل الاجتماعية والمناخ الحاكم والمهيمن على المجتمع العالمي، وإن المساعي والجهود المنصبّة على معرفة الذات ومواجهة الشك والغموض قد استبدلت باضمحلال الإرادة والتقهقر أمام معتقدات الآخرين. إن الإنسان الراهن قد انحاز في البعد العملي إلى تحسين أوضاعه المادية والاقتصادية، كما يسعى في الأبعاد النظرية إلى تبرير ابتعاده عن مقتضيات فطرته الإنسانية. وفي هذه الأجواء يغدو تناسي منشأ الفطرة والمسير على خلاف اتجاه التركيبة والبنية الوجودية، من السهولة بحيث يبدو الزيغ والانحراف والانكباب على الدنيا، والابتعاد عن الله، والسنن الحسنة للأسلاف، وكأنه متناغم مع فطرة الإنسان وبنيته الوجودية. إنّ استعداد الإنسان الراهن للاستجابة لمقتضيات الفطرة أضحى أقل مما عليه بالمقارنة مع أجداده وأسلافه الماضين، وأضحى تأثره بالعوامل الخارجية أكثر من تلبيته لندائه الباطني. وإن الذي يمكنه أن يكون مفتاحاً لحل الكثير من المشاكل ـ في مثل هذه الأجواء ـ ويخلّص الإنسان من هذا الواقع المأساوي، هو الاستضاءة بنور العلم، وتوظيف المعارف التي تدعو الإنسان إلى مزيد من الوعي والمعرفة. ويمكن النظر إلى حضور عنصر العلم والفكر في مسار هداية الإنسان من خلال رؤيتين، وهما:

١. **الهداية الفردية**: كما تقدّم أن ذكرنا سابقاً، فإنّ استيعاب المعطيات

العلمية، يرفع من مستوى إدراك الإنسان للواقع، ويزيد من رعاية التناسب الثقافي، وفهم لغة التخاطب. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[1].

٢. اتساع رقعة الثقافة والحضارة الإسلامية: إنّ تجديد وإحياء الحضارة الإسلامية وتوسيع رقعتها الثقافية في المجتمع الراهن مرتبط ـ إلى حدّ كبير ـ بالاستفادة القصوى من الأدوات والمعطيات العلمية والتقنية. يعد التمسّك بالعلم والمعرفة في الوقت الراهن من أهم أدوات وسبل توسيع رقعة الحضارة الدينية في مختلف الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها. ومن دون توظيف هذه العناصر لا تكون هناك إمكانية لأداء أيّ دور ملحوظ على المسرح العالمي. فإن إدخال الناس في دائرة الحضارة الإسلامية وتبليغ الرسالة الإلهية لكافة أنحاء العالم رهن بتوظيف المعلومات التي ندين بها لمعطيات العلوم الحديثة.

استيعاب العلوم طريق إلى التكامل: إنّ كمال كل موجود في دائرة الحياة رهن بتوفير الإمكانات المتناسبة مع بنيته الوجودية. فإنّ من الكائنات ما يتمتع بنمو وحياة نباتية، ومنها ما يتمتع بحياة حيوانية (النمو المقترن بالشعور والحركة)، ومنها ما يتمتع ـ بالإضافة إلى ذلك ـ بحياة روحية ونفسية وفكرية. وأنّ اختلاف كلّ واحد من هذه الأنواع الثلاثة يكمن في نوع الحياة والمراتب الوجودية للكائنات في هذه السلسلة. وعلى هذا الأساس فإنّ مفهوم التكامل يكتسب معناه الخاص بما يتناسب وكل واحدة من هذه المجموعات المذكورة. فالذي يعتبر بالنسبة إلى الحياة النباتية الحد الأقصى من النمو والتكامل، يعدّ بالنسبة إلى الحياة الحيوانية والإنسانية أمراً متدنياً في التكامل. وأنّ ما يطرح في الحياة الحيوانية من هذا المفهوم، يقع في المرتبة المتوسطة

---

١. العنكبوت: ٤٣.

من الأهمية. إنّ مراحل التكامل النباتية والحيوانية تعد من المراحل التمهيدية للتكامل الإنساني. بيد أن إصرار الإنسان وتأكيده على هذه المراحل التمهيدية يؤدي إلى حرمانه من المراحل القصوى من التكامل الإنساني. وكما أن حياة النبات تقتضي مرونة الأنسجة والألياف النباتية، كذلك الأمر بالنسبة إلى الحياة الحيوانية حيث يجب أن يتمتع الحيوان بما يتناسب ونموّ أعضائه من أجل الشعور بالإحساس والحركة. وإن الافراط والتفريط في كل واحد من خلفيات تكامل الإنسان ـ أي التكامل النباتي والحيواني ـ يفضي إلى حرمانه من الحياة الإنسانية المتمثلة بالعقل والروح والإرادة والاختيار. إنّ التمتع بعناصر التكامل النباتي والحيواني يعدّ شرطاً ضرورياً للإنسان. إلّا أنّ الشرط الكافي لذلك يكمن في تجاوز دائرة التكامل الحيواني والدخول في ساحة العقل والإرادة. ومنذ تلك اللحظة يكون التقدّم في هذه الساحة أو النكوص والتقهقر هو الملاك في التكامل والتقدم أو الانحراف والتخلف.

وكما أنّ نمو النبات وتكامله، أو تقوية أعضاء الحيوان وسلامته رهن بالتغذية المناسبة، فإن علوّ مرتبة الإنسان رهن بغذائه الروحي والنفسي أيضاً. ومن هنا يتّضح دور العلم والوعي والفكر والمعرفة. إنّ اكتساب العلوم يؤدي إلى تنمية الجوانب الإنسانية والتقدم في مسار التكامل، ولا يمكن اجتياز طريق التكامل من أجل التقرّب من الله دون اكتساب العلم والمعرفة. إنّ القرآن الكريم يعتبر العلم والمعرفة طريقاً للوصول إلى الهداية والتكامل، وقد ذكر أن أحد الأدوار الفاعلة في أداء الرسالة تكمن في نشر الوعي وبيان الحِكَم الإلهية، وأحياناً يذكّر بتزويد الإنسان بالعلم والمعرفة، ومحو الجهل عنه، وأحياناً يذكر البيان والقلم بوصفهما من الأدوات الخاصة للتنمية الفكرية والتقدّم العلمي. وذلك حيث يقول تعالى:

ـ ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

---

١. العلق: ٥.

- ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾[1].
- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[2].
- ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[3].
- ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾[4].

إنّ التمتع بالنعم الإلهية يختلف باختلاف المساحات التكاملية. لقد أودع الله فينا ـ بالإضافة إلى إمكانات التكامل النباتي والحيواني ـ أرضية التكامل الإنساني والروحي والازدهار العقلي أيضاً، ودعانا إلى ارتقاء القمم للتكامل الإنساني. إنّ مفهوم العون والإمداد الإلهي ـ فيما يتعلّق بتكامل الحياة الإنسانية من خلال تزويدنا بالعلم والمعرفة ـ يعدّ مفهوماً فريداً في مسار الإنسان التكاملي. إنّ للتكامل النباتي والحيواني نظاماً تكوينياً، وعلى كل حال فإن هاتين المرحلتين من التكامل تحصلان في حياة الكائنات بشكل متناسب ومقتضيات تلك الكائنات. وأما بالنسبة إلى الإنسان ـ فبالإضافة إلى وجود النزعة إلى كسب العلم والمعرفة ومكافحة الجهل بشكل تكويني ـ فقد تمّ التأسيس للنظام التشريعي على قاعدة التحريض والتشجيع على كسب العلم والمعرفة أيضاً. إنّ القرآن الكريم، من جهة، يرى أن رفعة درجات المؤمنين وإدراك الآيات وعلامات الهداية الإلهية رهن بكسب العلم والمعرفة، حيث يقول الله تعالى:

- ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[5].

---

١. الشعراء: ١٣٢.

٢. البقرة: ٣١.

٣. الرحمن: ١ ـ ٤.

٤. العلق: ٣ ـ ٤.

٥. المجادلة: ١١.

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[١].

- ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

- ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[٣].

ومن جهة أخرى، يرى أنّ الحصول على الإيمان والوصول إلى مقام الخشوع والخضوع وامتلاك جوهر اليقين رهن بتحطيم قيود الجهل، وبلوغ مصدر العلم والمعرفة. قال الله سبحانه وتعالى:

- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٤].

- ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٥].

- ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٦].

- ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[٧].

ذمّ الجهل والجاهلين: إنّ تطور الإنسان ورقيّه في مسيرة التكامل رهين باكتساب العلم والمعرفة، وأما انحرافه وتراجعه عن هذه المسيرة فيعود بجذوره إلى الجهل والتخلف. من هنا فإن تشجيع القرآن لنا على طلب العلوم من جهة، وذمه للجاهلين، من جهة أخرى، يثبت محورية العلم والتفكير في

---

١. الروم: ٢٢.
٢. النمل: ٥٢.
٣. العنكبوت: ٤٣.
٤. فاطر: ٢٨.
٥. آل عمران: ٧.
٦. النساء: ٦٢.
٧. التكاثر: ٥ ـ ٧.

هداية الإنسان. إن نعمة العقل والعلم من النعم المعدودة التي تمّ التأكيد عليها من قبل الباري تعالى كثيراً، كما أن الجهل من الموارد التي ذمّها الله، وحذر الإنسان من الوقوع والسقوط في ظلماتها. وإن أهمية النتائج المترتبة على العلم والدور الخطير الذي يلعبه هذا العنصر في ارتقاء قمم الهداية، يعكس مدى أهميته وحساسيته. إن الله سبحانه يعتبر جوهر العلم زينة للإنسان السالك في طريق الرشد والهداية، ويمتدح العلماء لذلك فحسب، بل يدعو جميع الناس إلى اجتناب الجهل والامتناع عن التبعية للجاهلين وإطاعة أوامرهم. قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].
- ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[2].
- ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[3].
- ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[4].
- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[5].

ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى يحظر على الناس أن يمارسوا التبعية العمياء للآخرين، ويرى أن عاقبة الذين لا ينتهجون سبيل العلم والمعرفة، هي

---

١. هود: ٤٦ ـ ٤٧.

٢. الإسراء: ٣٦.

٣. آل عمران: ٦٦.

٤. يونس: ٨٩.

٥. الجاثية: ١٨.

الضلال والخسران والسقوط في مغبة أعمالهم الجاهلة. إن الميول النفسية التي تحث الفرد على عدم الاستفادة من أداة العلم والمعرفة، تؤدي به إلى الضلال والضياع. إن التضاد والاختلاف القائم بين العلم والجهل ناشئ عن النتائج المترتبة على هاتين المقولتين؛ لأنّ العلم والمعرفة يؤديان بالإنسان إلى الهداية ويدعوانه إلى طلب العلى، بينما الجهل بعكس ذلك يعدّ أرضية للميول النفسية التي تقوّي عند الإنسان التطلعات السطحية والدنيوية المنحطة. قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾[1].
- ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[2].
- ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[3].
- ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[4].

وعليه فإن أساس ذمّ الجهل وتقريع الجاهلين يكمن في تحرير النفس من قيود الشهوات النفسية، وتخليصها من العذاب الإلهي. إن الجهل والتخبط في مستنقع الجهالة يمهّد الأرضية للافتراء على الله سبحانه وتعالى ونسبة الكذب إليه (والعياذ بالله). قال تعالى:

- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[5].

---

١. الأنعام: ١١٩.
٢. الأنعام: ١٤٠.
٣. الروم: ٢٩.
٤. الروم: ٥٩.
٥. الأنعام: ١٤٤.

ـ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١].

ـ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

وبطبيعة الحال فإن العلم والوعي يُعتبران شرطين ضروريين ولازمين، ولكنهما ليسا كافيين. وأنّ العقل والرؤية الإنسانية هما اللذان يمكنهما تحديد الخيارات المناسبة من خلال توظيف الإمكانات والأدوات العلمية والحصول على مزيد من الوعي والعلم والمعرفة. وهناك دلالات كثيرة في القرآن الكريم تشير إلى التضاد القائم ـ في الكثير من الأحيان ـ بين العمل وبين العلم والنظر. وذلك إذ يقول الله سبحانه وتعالى:

ـ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

ـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

ـ ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥].

ـ ﴿ألم تر إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٦].

إن أداء الإنسان وسلوكه وعمله إنما يكون تابعاً للعلم والوعي والمعرفة

---

١. الأعراف: ٢٨.

٢. الأعراف: ٣٣. وهناك آيات أخرى في هذا المجال، يمكن لنا أن نشير ـ من بينها ـ إلى الآية ٦٨ من سورة يونس، والآية ٨٠ و١٦٩ من سورة البقرة.

٣. البقرة: ٧٥.

٤. آل عمران: ٧١.

٥. البقرة: ٤٢.

٦. المجادلة: ١٤.

والأسس النظرية التي يذهب إليها، إذا كانت واقعة تحت إشراف العقل والتفكير، وإلّا فإن العلم والوعي ليس لهما من دور غير إيجاد الأرضية المناسبة للتقدّم والرقي والتكامل.

خصائص العلوم وهداية الإنسان: بعدما ذكرنا أهمية اكتساب العلم وتحصيل المعرفة، يطرح هذا التساؤل نفسه: هل يكون طلب كل علم وأيّ نوع من أنواع المعرفة أمراً مطلوباً في الدين؟

للإجابة عن هذا التساؤل، من الأفضل أن ننظر إلى العلم بوصفه أداة وآلة. أنّ المطالب العلمية والمعارف النظرية في إطار الحركة الإنسانية بوصفها أداة ووسيلة تشتمل على وظيفة وآلية مختلفة عن آلية ذلك الشيء الذي ينظر إليه بوصفه هدفاً وغاية للحركة الإنسانية. ولا شكّ في أنّ الحصول على العلم والوعي من المعارف النظرية والتطور العلمي لا يعد هدفاً وغاية نهائية، وإنّما هو هدف وسيط، وكما تقدّم أن ذكرنا بشأن بيان خصائص الأهداف الوسيطة، فإن سمة هذا النوع من الأهداف يكمن في كونه وسيلة وآلة. وعليه يجب أن يتناسب والهدف المحدد له، شأنه في ذلك شأن جميع الوسائل والأدوات الأخرى.

إن العلم والمعرفة بوصفهما وسيلتان وأداتان إنما يمكن لهما مواكبتنا في مسار التقدّم والهداية، إذا كانتا،

أولاً: قد تمّ توظيفهما في إطار القيَم، وأن يقعان تحت سيطرة وإشراف الهدف النهائي المتمثل بالقرب من الله سبحانه وتعالى.

وثانياً: أن يعملان بوصفهما وسيلتان وأداتان على تلبية حاجة الإنسان في الوصول إلى التقرّب من الله. ولأهمية هذا الموضوع نشير فيما يلي إلى الخصائص التي إذا اشتملت عليها العلوم فإنها ستأخذ بأيدينا إلى الهدف النهائي.

ـ تحصيل العلوم من أجل مرضاة الله. إن المعرفة والعلم مثل كل الأدوات والوسائل الأخرى يمكن توظيفهما في اتجاهين. وإنّ دافعنا إلى توظيف

هاتين الوسيلتين هو الذي يحدد اتجاه هذه العملية التوظيفية. وبعبارة أخرى: كما يمكن توظيف هاتين الوسيلتين من أجل الارتقاء والصعود إلى قمم الهداية والصلاح، يمكن أيضاً توظيفهما في طريق الضلال والانحراف عن طريق التكامل الإنساني، فالعلم وسيلة يمكن لكل شخص أن يعمل على توظيفها في إطار ما يصبو له. وإن هذه الوسيلة في الحالة الاعتيادية تقف على الحياد، فلا تحتوي على أيّ قيمة أو أهمية. ولكنها إذا وقعت تحت تصرّف الإنسان الصالح، ستكون وسيلة للتقرّب من الله، وأما إذا عمد إنسان غير صالح إلى توظيفها، فإنها ستكون وسيلة لتلبية الأهواء والنزوات الحيوانية، والاستجابة للميول المتدنية التي توفر الأرضية للضياع والضلال والانحراف.

وعلى الرغم من وقوف العلم من الناحية الأخلاقية على الحياد، إلّا أنه لا مندوحة من توظيفه إما في الناحية الإيجابية أو السلبية. ومن هنا فإن العلم إنما يمكنه إيصالنا إلى القرب من الله، ويكون وسيلة لعروجنا وتكاملنا، إذا كان الدافع منه إلهياً، وأن تكون الوظيفة على الدوام واقعة في إطار القرب من الله سبحانه وتعالى. وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا الشأن أنه قال:

مَن تَعلَّمَ لله، وعَمِلَ لله، وعَلَّمَ لله، دُعيَ في ملكوتِ السماواتِ عظيماً؛ فقيل: تعلَّمَ لله وعَمِلَ لله وعَلَّمَ لله.[1]

وكما تقدم أن ذكرنا في بحث خصائص الهدف النهائي، فإنّ الوصول إلى التقرب من الله يمكن أن يتحقق حتى من خلال القيام بأبسط الأعمال أيضاً. فإن توظيف العلم واستثماره بوصفه هدفاً وسيطاً إذا وقع في دائرة التقرّب من الله، سيكون مشتملاً على آلية ذات قيمة أخلاقية، وسوف يصبّ في صالح الهداية والتكامل الإنساني، وإلّا فسوف يترتب عليه الكثير من التبعات السلبية.

---

١. *بحار الأنوار*: ٢/ ٢٧.

ـ أن يكون العلم نافعاً وتنموياً وداعياً إلى التكامل: إنّ العلم النافع والمفيد من وجهة نظر الإسلام هو الذي يشتمل على الصفات الآتية:

أ) الإخلاص والابتعاد عن الشوائب: بمعنى: أن لا يكون مشوباً بالأهواء والرغبات المادية. فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

مَن أخَذَ العِلمَ مِن أهلِهِ وعَمِلَ بِهِ نَجا، ومَن أرادَ بِهِ الدُّنيا فَهُوَ حَظُّهُ.[1]

أو أن لا تكون النزعات الدنيوية من قبيل: كسب المال والمقام هي المحور في التربية والتعليم. روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

مَن غَلَبَ عِلمُهُ هَواهُ، فذَلِكَ عِلمٌ نافِعٌ.[2]

ب) أن يؤدي إلى العمل. فإن العلم إنما يكون منتجاً وتترتب عليه الآثار الإيجابية، إذا تمّ العمل بمضمونه ومحتواه، وإلّا فإنّ العلم إذا ظلّ حبيس الذهن ولم يتجلّ على الأفعال والأعمال، لن يكون مفيداً للإنسان ولا نافعاً للمجتمع. وعليه فإن التنمية العلمية رهينة بالعمل بمضمون العلم، وإدخاله وتطبيقه على الصعيد الخارجي، وعدم حبسه ضمن المنظومة الذهنية والفكرية، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

العِلمُ رُشدٌ لِمَن عَمِلَ بهِ.[3] إن تطبيق العلوم والفنون على الواقع العملي من خلال السلوك الفردي والاجتماعي ـ وبشكل عام في جميع المجالات التي تشتمل على إمكانية تظهير العلم ـ لن تؤدي إلى ارتفاع المستوى العلمي فحسب، بل إنها تخلق إمكانية لتقييم واختبار المعطيات العلمية وتنميتها وتطويرها وانتشارها في المرحلة العملية أيضاً، وفي ذلك روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «أنفَعُ العِلمِ ما عُمِلَ بهِ»[4].

---

١. المصدر: ٣٤.

٢. *غرر الحكم ودرر الكلم*.

٣. المصدر.

٤. المصدر.

ب) **المواد التعليمية**: إنّ البحث عن العلم النافع والعلم غير النافع بالالتفات إلى أن من بين خصائص العلم النافع هو أن يقوم على تلبية حاجات الإنسان ومطالبه، يرد السؤال: ما هي العلوم التي تشتمل على هذه الخصوصية؟ وهل هناك من وجهة نظر الإسلام معيار خاص لتحصيل العلوم؟ إنّ الذي يجب أخذه بنظر الاعتبار في معرض الإجابة عن هذا السؤال، هو أنّ كلّ هدف وسيط ـ بما في ذلك تحصيل العلم والمعرفة ـ قابل للتفسير والتبرير في ضوء الهدف الغائي والنهائي. وعلى هذا الأساس فإن العلوم المطلوبة للدين هي تلك التي تدخل في إطار مساعدة الإنسان على التقرّب من الله سبحانه وتعالى. ومن ناحية أخرى، فإنّ نفس العلم أوذات المعرفة التي تقع متعلقاً لإرادتنا، يجب أيضاً أن تكون لها القابلية على اجتذاب ما يؤدي إلى هذا العامل المتمثل بالقرب من الله (عزّ وجل). وبعبارة أخرى: إنّ طلب العلم إنّما يكون من الأهداف الوسيطة إذا كان وراء تحصيله دافع إلهي. هذا أولاً. وثانياً أن يكون متعلّق طلب العلم ـ وهو العلم والمعرفة نفسها ـ من العلوم التي يمكنها أن توفر مستلزمات الوصول إلى الهدف النهائي. وهنا يأتي هذا التساؤل: هل يمكن لجميع العلوم من وجهة نظر الإسلام أن تؤدي إلى التقرّب من الله وأن تكون ذات حافز إلهي؟ وهل هناك انتقائية من وجهة نظر الإسلام بين العلوم والمعارف من هذه الناحية؟ يجب القول في الجواب: بشكل عام هناك في منطق الإسلام معيار واحد لانتقاء العلوم والمواد التعليمية، ويكمن ذلك المعيار في تلبية حاجات الإنسان وحلّ مشاكله. في هذه الرؤية تعتبر العلوم والمعارف والفنون والمهارات التي تعمل بنحو من الأنحاء على تلبية الحاجات الأساسية والجوهرية للإنسان، وتساعده على التقرّب من الله (عزّوجل)، أموراً ضرورية. وبطبيعة الحال فإن هذه الضرورة تختلف باختلاف درجة اهتمام تلك المادة التعليمية وذلك العلم الخاص بحاجة الإنسان وقدرته على رفع تلك الحاجة وتلبيتها، وفي بعض الأحيان تكون تلك الضرورة في

بعض العلوم والمواد التعليمية من القوّة بحيث إنها تدعو كافة الأفراد إلى تحصيلها، بحيث أن قيام البعض بتحصيلها لا يكون كافياً في إسقاط ضرورة التحصيل عن الآخرين. وأما الأنواع الأخرى من العلوم والمواد التعليمية فلا تحضى بمثل هذه الأهمية الخاصة، ليكون جميع الناس مضطرين إلى استيفائها والسعي إلى تحصيلها، بل يكفي تحصيل البعض في إسقاط ضرورتها عن الآخرين. وإن النوع الأول من هذه العلوم ينظر إلى الجهات الشخصية والروحية من الإنسان. في حين أن النوع الثاني ينظر إلى الأبعاد الوجودية الأخرى من الإنسان، من قبيل: الرفاه والأمن الاجتماعي. وعليه فمن وجهة نظر الإسلام يكون تحصيل العلوم المرتبطة بنحوٍ من الأنحاء بشخصية الإنسان وحالاته وصفاته وبشكل عام بخصائصه الروحية والنفسية، واجباً عينياً، فيجب على جميع الأفراد أن يستوعبوا هذا النوع من العلوم، وان لا يتهاونوا أو يتقاعسوا في تحصيله.[١] وإن تلك العلوم عبارة عن:

أ) **المعارف العقائدية.** إنّ المراد من المعارف العقائدية هو معرفة الإنسان بمبدئه ومنتهاه، وهو الذي يشتمل على معرفة الله ومعرفة النبيّ والمعاد. إنّ هذه المعارف تساعد الفرد على التدرّج عبر المراحل التالية. وكما تقدم أن ذكرنا فإنه من دون الحصول على المعلومات العقائدية لا يمكن العمل على بناء منظومة أخلاقية وتربوية. من هنا فإن معرفة الله، والتعرّف على الأصول العقائدية يُعدّان أساساً لبنيتنا وتركيبتنا الشخصية.

---

١. من المهم التنويه بهذه النقطة وهي أن من بين المصادر الهامّة لهذه العلوم هو القرآن الكريم والأحاديث والروايات الشريفة. من هنا فإن فهم القرآن والأحاديث ومعرفة أصولها وقواعدها العقائدية والأخلاقية، وكذلك الفقهية من خلال هذين المصدرين، يوجب أن نستفيد من الأساليب التخصصية الضرورية بما يتناسب وهذه العلوم. إلا أن القدر المتيقن هو أن تحصيل المعارف الأولية من النصوص الدينية لمعرفة أصل الدين واجب وضروري بالنسبة إلى كل مسلم ومسلمة.

ب) **المعارف الأخلاقية والتربوية.** إنّ التعرف على القيَم الأخلاقية والمعارف التربوية والعمل بها وتطبيقها يؤدي بالإنسان إلى تجنب الأمور التي تكون سبباً في ضياعه واضمحلاله على المستوى الشخصي والروحي، وتدفعه إلى التحلي بالسجايا والفضائل الأخلاقية. روي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنه قال:

ألزَمُ العِلمِ لكَ، ما دَلَّكَ على صَلاحِ قَلبِكَ، وأظهَر لكَ فَسادَهُ.[1]

ج) **الأحكام العملية والفقهية.** إنّ من بين المعارف الضرورية الأخرى هو ضرورة تعلم وتحصيل المعرفة بالقرارات والأحكام الإسلامية. فإن القيام بالفرائض والعبادات من قبيل: الصلاة والصوم والحجّ، لا شك أنها تترك آثاراً إيجابية لا يمكن إنكارها على تكوين شخصيتنا. إن لسلوكنا تجاه الخالق والمجتمع أسلوباً خاصاً. وإن هذا الأسلوب إنما يكون مثمراً ومنتجاً إذا كان منبثقاً عن الدين؛ لأن الله هو وحده القادر ـ بسبب معرفته الكاملة بأبعاد الإنسان ـ على وضع القرارات والقوانين التي تؤدي إلى سعادته وصلاحه. وعلى هذا الأساس يجب علينا ـ من أجل رعاية حقوق الآخرين والحفاظ على أنفسنا من السقوط والضياع ـ أن نتعرّف على المسائل الفقهية والأحكام العملية سواء في البعد العبادي أو البعد الاجتماعي، وأن نطّلع على سلسلة المسؤوليات والوظائف الدينية الأولية التي اتضحت ضرورتها من قبل الدين نفسه.

أما النوع الثاني من المعارف فذو صبغة ثقافية وصحية واقتصادية وصناعية وسياسية وما شابه ذلك، وهي تلك العلوم التي تعود إلى الحاجات المشتركة لنوع الإنسان ومطالبه اليومية، وهي غير ناظرة إلى النواحي الفردية والشخصية. وإن رفع وتلبية هذه المطالب بحاجة إلى عامل خارج عن وجود الإنسان. فهو مضطر لكي يبقى على قيد الحياة، إلى تعلم أساليب استثمار الطبيعة ومصادرها، وأن يؤمّن ما يحتاج إليه من خلال توظيف العلوم والفنون

---

١. *بحار الأنوار*: ١/ ٢٢٠.

الطبيعية. وهكذا مسائل السلامة والصحّة ومكافحة الأمراض والأوبئة، وهكذا الأمور التي تعود بنحو من الأنحاء إلى الثقافة والمجتمع (العلوم الإنسانية)، هي بأجمعها من معطيات العلوم البشرية التي تجعل الحياة أفضل وأيسر، وتعلم الإنسان أساليب الحياة والمعيشة الأفضل. وإن رفع المشاكل وتجاوز عقبات الكوارث الطبيعية والحصول على الأمن والرخاء في الحياة رهن بتقدم وتطوّر العلم والمعرفة.

ومن وجهة نظر الإسلام يعدّ تحصيل هذا النوع من العلوم ـ لما توفّره من أرضية ملائمة ومناسبة لتنمية الإنسان وتكامله ـ أمراً ضرورياً. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال مخاطباً المُفضَّل:

أذكُر يا مُفضَّل فيما أعطى الإنسانُ عِلمَهُ، فإنهُ أُعطِيَ جَميعُ ما فيهِ صَلاحُ دينهِ ودُنياهُ، كذلِكَ أُعطِيَ ما فيهِ صَلاحُ دُنياهُ، كالزراعَةِ والغَراس، واستخراجِ الأرضينَ، واقتناء الأغنامِ والأنعام، واستنباطِ المياهِ، ومعرفَةِ العَقاقير التي يُستَشفى بها مِن ضُروبِ الأسقامِ والمَعادِنِ التي يُستَخرَجُ منها أنواعُ الجَواهر، ورُكوب السُفن، والغوص في البحر وضُروبِ الخيل، وصيدِ الوَحش والطَير والحِيتانِ، والتَصرُّف في الصناعاتِ ووُجوهِ المَتاجرَ والمَكاسِب، وغير ذلِكَ لِما يَطولُ شَرحُه ويَكثُرُ تَعدادُهُ مِمّا فيهِ صَلاحَ أمرهِ في هذهِ الدارِ.[١]

إن معارف من هذا القبيل لا تتعاطى بشكل مباشر مع المنظومة الشخصية وهوية الإنسان، وإنما في الواقع هي أدوات للوصول إلى المراحل الأعلى، بمعنى أنّها تعدّ الأرضية للحصول على المراحل التي تعمل بشكل مباشر على بناء شخصيتنا. ومن هنا فإنّه من وجهة نظر الإسلام يكون تحصيل هذه العلوم واجباً كفائياً، بمعنى أنّه لا يجب على جميع الأفراد السعي إلى تحصيله، وإن تخصص البعض في هذا النوع من العلوم يسقط الوجوب عن الآخرين،

---

١. المصدر: ٣/ ٨٣ ـ ٨٤.

ويرفع حاجتهم إليها. هذا بالإضافة إلى أنّ هذه العلوم من الكثرة والاتساع بحيث لا يمكن لشخص واحد أن يجهد من أجل تحصيلها.

٤. السموّ الفكري

إن التنمية والازدهار والتكامل العقلي ضروري من أجل إقامة المنظومة الشخصية والاحتراز عن الانحرافات التي يُبتلى بها الإنسان، وكذلك توسيع نطاق المعرفة الحسيّة في إطار تحصيل العلوم والفنون. إلّا أن المسألة التي يتمّ طرحها هي: هل هناك إمكانية لأن يحصل الإنسان على معارف ومعلومات من خارج حدود العقل والحس، أم لا؟ إن طرق وأدوات حصول المعرفة - من وجهة نظر الإسلام - لا تنحصر بهاتين الأداتين المعرفيتين، وإن الكثير من المعارف والعلوم البشرية تعود بجذورها إلى عناصر وعوامل غير العقل والحس، من قبيل: المعارف التي يتم الحصول عليها من طريق الوحي والإلهام والشهود. وإن عدم الحصول على هذه المعارف يؤدي بنا إلى الحرمان من المقدمات العلمية الضرورية من أجل الوصول إلى الهدف الغائي والنهائي. فمن وجهة نظر الإسلام، إنّ المعارف العقلية والحسية رغم كونها من أجزاء المعارف الإنسانية التي لا يمكن إقصاؤها أو تجاوزها، ولكن لا يمكن الوصول إلى جوهر السعادة والقرب من الله - كما هو موجود في التعاليم السماوية - من خلال الاقتصار على هذين المصدرين. إن محدودية العقل والحس، وعدم تمكنهما من إدراك بعض الأمور تعيق رقيّ وسموّ الفكر البشري؛ وعليه فإن اللجوء إلى أداة غير العقل والحسّ من أجل الصعود والارتقاء نحو المراحل الأعلى التي لا يمكن تحقيقها من خلال هاتين الأداتين يُعدّ أمراً ضرورياً. إن للعلوم والمعارف المختلفة جهة إنتاجية. بمعنى أن كل اكتشاف ومعلومة جديدة تثير أمواجاً متلاطمة في محيط المعارف

الإنسانية، وتؤدّي إلى انتعاش وازدهار المعارف الأخرى. كما تلعب الأدوات المعرفية الأخرى من قبيل: الوحي والإلهام والشهود، أدواراً إنتاجية بالنسبة إلى سائر العناصر والعوامل الذهنية الأخرى أيضاً، وهي تؤدي في النتيجة إلى تكاملها وسموّها وتعاليها.

إنّ من بين عناصر تكامل الفكر الإنساني وتنمية مواقفه وآرائه، هي التعاليم المنبثقة عن الوحي السماوي. وإن دور الوحي في الهداية يكمن في تعريف الإنسان بالأهداف المنشودة لخالقه. إن التنمية والتكامل الإنساني يوجب عليه أن يطلع ويتعرّف على دقائق وجزئيات خلق العالم بما يتناسب مع واقعه الثقافي. وإن وظيفة الأنبياء عليهم السلام ـ بوصفهم وسطاء بين الإنسان وخالقه ـ تكمن في تعريف الفرد وتوعيته في الأمور التي تؤدي به إلى السعادة. وإن هذه المعارف يتمّ عرضها من قبل الله (تعالى) على الإنسان في إطار الوحي. وإن للوحي ـ الذي هو لغة الهداية ومن أعمق وأرقى منافذ المعارف الإنسانية ـ آليتين، وهما:

أ) **الآلية الأُولى**: تعمل على إيقاظ الإنسان والتعرّف على نفسه وإدراكها على حقيقتها، كي لا يكون متهاوناً فيما يتعلق باقتضاءاته الفطرية. وفي الحقيقة فإن الهدف الرئيس والجوهري للوحي يقوم على تذكير الإنسان بالمعارف التي تمّ إيداعها في وجوده. إن شرارة الوحي تشعل بيدر المعارف الفطرية والكامنة في وجود الإنسان، وفي ذلك فإن الاهتداء إلى الهداية يعود لصالح السالك في طريق التقرّب من الله سبحانه وتعالى. ولذلك نجد الله يقول:

ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[2].

---

١. يوسف: ١٠٤.

٢. القمر: ١٧.

ب) أما الآلية الثانية: لعمل الوحي فتكمن في أنه يقوم بتزويد الإنسان بالمعارف والتعاليم الجديدة التي لم يكن بإمكانه الحصول عليها من طريق العقل والحس، وفي ذلك قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[1].

ـ ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[2].

بحيث لو أنّ الله لم يبيّن هذه المعارف للإنسان، لم يكن هناك من طريق آخر للتعرف عليها. ومن بين تلك الموارد: خلود الإنسان، والأحكام العملية والفقهية، وتاريخ الأمم السالفة، وكذلك العوالم الأخرى مثل عالم الآخرة والملائكة، وما إلى ذلك.

ويمكن تقسيم المعارف من ناحية تفاعلها المتبادل مع الميول القلبية وتأثرها بها إلى مجموعتين:

هناك مجموعة من المعارف ليس لنتائجها أيّ ارتباط بالميول والرغبات الإنسانية، من قبيل: القوانين الرياضية والكثير من القوانين العلمية الأخرى التي لا تأثير لإثباتها ونفيها على الدوافع والميول الأخلاقية لدى الانسان، كما لا يشكل هذا الدافع الأخلاقي عقبة أمام تقدّمه العلمي أو أن يؤدي إلى التسريع من وتيرته. وبعبارة أخرى: إن هذا النوع من العلوم حيث لا يشتمل على اتجاه أخلاقي وعدم تعارضه مع القيَم التي يؤمن بها الفرد، فإنه يكون حيادياً ولا يحتوي على أي عنصر كابح أو محرّك في هذا الاتجاه.

وهناك من المعارف الأخرى مجموعة تنظر إلى الأبعاد الروحية والمعنوية لدى الأفراد. فهي معلومات يؤدي التعرف عليها إلى هداية الإنسان،

---

١. البقرة: ١٥١.

٢. البقرة: ٢٣٩.

كما في المقابل يفضي الجهل بها إلى وقوع الفرد في الضلال والضياع، ولا يمكن أن يكون لها موقف حيادي تجاه مصير الإنسان. وفيما يتعلق بالقسم الأخير حيث يتم طرح مسألة الدوافع والميول والأحاسيس وتأثيرها على المعارف العقائدية والنظرية، يمكن تلخيص التأثير المذكور ضمن ثلاث مراحل على النحو الآتي:

١. إن الميول والرغبات الفردية هي التي تشكل قاعدة وأساساً للعقائد والأفكار لدى الفرد. وفي مثل هذه الموارد إنما يتقبل الشخص آراء الآخرين وأفكارهم إذا كانت متناغمة ومنسجمة مع رغباته وتطلعاته النفسية. وعليه لا يمكن لنا أن ننكر دور الدوافع والعلاقات والحب والبغض الشخصي في قبول أو رفض المعارف النظرية.

٢. إن الكثير من الأمور التي يقبلها الإنسان بدافع من هذه الميول القلبية والنفسية الخاصّة، إما أن تطالها يد النسيان، أو أن تستقر في دائرة المعارف الإنسانية، ولربما كانت هذه المقبولات والمعلومات من بين المعارف التي تلعب دوراً حاسماً وحيوياً في مصير الإنسان.

٣. إنّ من بين موارد تأثير الميول القلبية على الأسس الفكرية، هي أنّ الإنسان أحياناً ـ ومن خلال الالتفات إلى دوافعه وميوله الوجودية الخاصة، والطهارة القلبية ـ يغدو على استعداد لتحصيل المعلومات الجديدة. وإن هذه المطالب سواء انبثقت من الداخل على شكل الشهود الباطني، أو من الخارج على شكل الإلهام، معلولة لشيء واحد وهو طهارة القلب وتهذيبه وتنظيم الدوافع والميول والرغبات الداخلية.

وفي جميع هذه المراحل المذكورة يكون لعنصر الصفاء وطهارة القلب من الذنوب والمعاصي والميول الشريرة، تأثير لا يمكن إنكاره على هدايتنا وتقدّمنا. مع فارق أننا في كل مرحلة نحصل من الهداية على ما يتناسب وتلك

المرحلة. ففي المرحلة الأولى يكون الإنسان من خلال تطهير قلبه وصفاء سريرته مستعداً لاستقبال كلام الله وتجنّب العناد والتمرّد والتكبّر. وفي المرحلة الثانية يعمل على هدم الطبقات المتراكمة بفعل الدوافع والميول المتدنية، وإزالتها عن أعماق وجوده، حتى تظهر له النقاط المشرقة والمضيئة من فطرته ، وكذلك الدوافع المدفونة تحت هذه الطبقات. وفي المرحلة الأخيرة يؤدي صفاء الروح وصقلها إلى استعدادها لتقبّل الفيض والعلم والمعرفة من طريق الشهود الباطني أو الإلهام، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[1]. وعليه فمن وجهة نظر الإسلام لو تمكن الإنسان من المحافظة على طهره، ولم يتعرّض للأزمات الأخلاقية، والتعلقات غير المعقولة، فإنّ أرضية التقدم العقلي والفكري ستكون متوفرة في وجوده وكيانه، قال الله عزّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[2].

٥. معرفة النفس

ما هو المراد من معرفة النفس؟ وما هي النتائج المترتبة عليها؟ وهل يشمل مفهوم النفس جميع الأبعاد الوجودية للإنسان أم أنه يقتصر على بعضها فقط؟ وهل تحصل معرفة النفس من خلال قراءة ودراسة وجود النفس فقط أم هناك عوامل أخرى يجب أن تضاف إلى ذلك أيضاً؟

إنّ من بين الأهداف الوسيطة في سلسلة الأهداف التربوية في الإسلام، معرفة النفس. إنّ معرفة النفس، مثل سائر الموارد الأخرى (معرفة الله،

---

١. الأنعام: ٧٥.

٢. الأنفال: ٢٩.

واكتساب العلوم والمعارف وما إلى ذلك) ليست له صبغة نظرية وذهنية فحسب، بل إنّ مساحة هذا النوع من المعارف تمتدّ لمقام العمل، بخاصةٍ العمل التربوي. إن محور البحث في هذا الكتاب هو العمل التربوي الذي يتجه نحو الأهداف التربوية، ومن هنا فحتى البحوث المعرفية تتلفع بصبغة عملية، وتنطلق من الفضاء المفهومي البحت، لتدخل في دائرة العمل. وعلى هذا الأساس فإنّ الهدف من وراء طرح بحث معرفة النفس هنا، ليس هو مجرد الحصول على نوع من المعرفة، وإنّما المراد هنا هو المعرفة المقرونة بالتطبيق. وبعد هذا الوصف فإن لحاظ الهدف العملي والاهتمام بالمقصد الغائي من بحث معرفة النفس، يترك تأثيراً لا يمكن إنكاره في بلورته وتكوينه. إن البحث عن مفهوم معرفة النفس ـ وبخاصةٍ ماهية النفس ـ يرتبط بالهدف المترتّب على معرفة النفس. وبعبارة أخرى: إن تحديد موقع ومساحة معرفة النفس من الناحية المفهومية مرتبط بالهدف الذي نحصل عليه من خلال هذا النوع من المعرفة في المسار التربوي. ولذلك سنبدأ البحث من الهدف من معرفة النفس. وبشكل عام يمكن القول: إن الهدف من معرفة النفس هو بناؤها وتنميتها في المسار التربوي. إن معرفة الأبعاد الوجودية مقدمة لبناء النفس، ومن دون معرفة ما هو الموضوع التربوي (أي الإنسان) لا توجد هناك إمكانية لإصدار الوصفة التربوية الناجعة.

إن ضرورة بناء النفس وتنميتها في حياة الإنسان تبلغ حدّاً بحيث لم يقتصر جعلها محوراً للتعمقات العقلية والنظرية على الأديان فحسب، بل ذهبت إلى ذلك أكثر المذاهب الفلسفية أيضاً. ومن ناحية أخرى فإن معرفة النفس هي بمنزلة القنطرة الموصلة إلى بناء النفس، وحيث إنها تستوجب وعي الموضوع التربوي، فإنها تُعَدُّ ضرورية لبناء النفس. وإن المراد ـ في النظام التربوي ـ من أهمية معرفة النفس، هو الحصول على هذا الهدف

التربوي ألا وهو بناء النفس وتربيتها. ولو أنّ بناء النفس لم يتمّ طرحه في دائرة وجود الإنسان، لما حصلت معرفة النفس على تلك الأهمية الكبيرة والخاصة؛ إذ ـ في هذه الصورة ـ لا تكون هناك ثمار عملية يمكن أن تترتب على معرفة الأبعاد الوجودية للإنسان في الفضاء التربوي، وعلى الرغم من ترتّب بعض النتائج في الأبعاد النظرية على كل حال ـ من قبيل أنّ معرفة قوّة النفس وضعفها وإدراك بدايتها ومنتهاها، تؤدّي إلى معرفة الله وإدراك قدرته وحكمته ـ إلا أن هذه النتيجة تبقى حبيسة الذهن والتفكير، ولا تفضي إلى العمل التربوي. وبعبارة أخرى: إنّ النتائج المترتبة على معرفة النفس يتم طرحها على المساحتين النظرية والعملية، وليس الأمر أن تنحصر معرفة النفس على بنائها وتوجيهها إلى ناحية العمل التربوي فحسب، بل إنها ـ بالإضافة إلى ذلك ـ تشتمل على البعد المعرفي المتمثل بمعرفة الله سبحانه وتعالى أيضاً. ومن هنا فقد روي عن النبي الأكرمﷺ أنه قال: «مَن عَرَفَ نَفسَهُ فقَد عَرَفَ رَبَّهُ»[1]. إلا أننا لو جرّدنا منها الخاصيّة التربوية ونتيجة العمل المترتب على المعرفة النفسية، فإن أهميتها وفائدتها سوف تكون منحصرة بالبعد المعرفي البحت، ولا شك في أن العلم والوعي الصرف ـ حتى لو كان متعلقه وموضوعه هو الله ـ إذا لم يؤد إلى العمل، فإنه لن تترتب عليه أيّ فائدة، بل سيكون وبالاً على العالِم أيضاً، لأن العالِم من دون عمل، سيكون مقصراً أكثر من الشخص الجاهل الذي لا يعمل.

ومن هنا يمكن القول: إنّ الهدف من معرفة النفس في النظام التربوي في الإسلام يكمن في شيئين، وهما: معرفة الله، وبناء النفس. والمراد من معرفة الله ليس مجرّد المعرفة النظرية الصرفة، بل هي تلك التي تكون مقدمة لبناء

---

١. العلامة محمد باقر المجلسي، *بحار الأنوار*: ٢/ ٣٢.

النفس. فإن الإنسان في إطار الدين إنما يتمكن من بناء نفسه إذا كان قد تعرّف إلى ربه. وعلى هذا الأساس إذا أردنا أن ندرس المنظومة الطولية في هذا المسار الذي يبدأ من معرفة النفس وينتهي إلى بناء النفس، سندرك أن معرفة النفس إنما هي مقدمة لمعرفة الله، وأول ما يترتب عليها من النتائج، وكذلك فإن بناء النفس لا يتأتى إلا من طريق معرفة الله؛ فإن معرفة الله بدورها تشكل مقدمة لبناء النفس. وعليه فإنّ بناء النفس رهين بمعرفة الله، وأنّ معرفة الله لا يمكن لها أن تفسّر أو تبيّن إلّا في ضوء معرفة الإنسان لنفسه.

ويمكن بيان المسار المؤدي إلى بناء النفس على النحو الآتي:

معرفة النفس .... معرفة الله .... بناء النفس.

معرفة النفس مقدمة إلى معرفة الله: إن إدراك الإنسان لأبعاده الشخصية يؤدي إلى كسب المعلومات عن أمور هي خارجة عن وجوده وفي الوقت نفسه هي مرتبطة به بنحوٍ من الأنحاء. وهناك ثلاثة مواقف يمكن تصويرها للإنسان، وهي: بدايته وأنّه من أين جاء؟ وواقعه الراهن وأنّه ما الذي يتعيّن عليه أن يفعله في اللحظة الراهنة. ومنتهاه وأنّه إلى أين سيؤدي به مصيره. وفي ذلك روي عن الإمام عليعليه السلام أنه قال:

رحم الله امرءً عَرفَ مِن أينَ وفي أينَ وإلى أينَ.[1]

والمراد من أنّ على الإنسان أن يعرف نفسه، هو أنه يجب عليه أن يدرس هذه المواقف المحيطة بجميع أنحاء وجوده وكيانه من بدايته إلى نهايته. وفي طبيعة الحال فإن المواقف المذكورة ليست خارجة عن الوجود ولا في مقابله، بل هي في الحقيقة تدخل في المسار التصاعدي لوجود الإنسان نفسه، وإذا كان يريد تحديد موقفه الوجودي في هذا العالم، فهو مضطرّ إلى التعرّف على مسار وجوده من بدايته إلى نهايته. وأنّ هذا الأمر لا يؤثر في

---

١. *غرر الحكم ودرر الكلم.*

معرفة كل الوجود فحسب، بل إن معرفة كل مرتبة ومقطع وجودي دون التعرّف على المرتبة الأخرى يبدو ناقصاً. وبعبارة أخرى: إنّ معرفة هذه المراحل الثلاث المهيمنة على المسار الوجودي للإنسان لها فائدتان، وهما: أولاً ـ معرفة جميع جوانب وجوده. وثانياً ـ تأثير كلِّ واحدة من المراحل في معرفة المراحل الأخرى. فمثلاً: إنّ معرفة المعاد دون إدراك البداية والوضع الراهن، يعتبر إدراكاً ضعيفاً وناقصاً، وهكذا معرفة الوضع الراهن، فإنه لن يكون لها تأثير تربوي ملحوظ إذا لم تكن مصحوبة بالبداية والنهاية. وعليه فإنّ معرفة كلِّ مرحلة من مراحل وجود الإنسان الثلاثة، تحظى بأهمية خاصة في معرفة كل جوانب وجوده، ومعرفة كل واحدة من المراحل الأخرى. تحظى معرفة المنشأ والمبدأ وارتباط الإنسان بهما وكيفية تكوينه، بأهمية خاصة من الناحية الدينية. إن جوهر وجود الإنسان يكمن في روحه المجرّدة وغير المادية، والتي تتمتع بخاصية الخلود وعدم الفناء. وقد خُلقت هذه الروح من قبل الله وبأمره، ولا يسع الإنسان أن يدرك ماهيتها. وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى:

ـ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1].

ـ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[2].

وعليه فإننا إنما نستطيع أن ندرك تبعيتنا لله وارتباطنا به، وأما ماهية الروح وحقيقتها فهي أمر لا يمكن للإنسان أن يدركه. إننا عندما ننظر إلى الماضي نرى أننا لم نلعب أيّ دور في تكويننا ووجودنا، وأنّ وجودنا خاضع لإرادة الله. إن إدراكنا لحقيقة أننا مخلوقين لله، وأننا بحاجة إليه، وأننا خاضعين لقدرته وعظمته، له تأثير عميق في ارتباطنا وعلاقتنا به. وقد ذهب القرآن

---

١. الإسراء: ٨٥

٢. ص: ٧٢؛ الحجر: ٢٩.

الكريم إلى اعتبار عبادة الله والوصول إلى القرب منه، وكذلك رعاية التقوى منوطاً بفهم هذه النقطة الحيوية. قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[١]

- ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ﴾.[٢]

وقد تمّ وضع خلق الإنسان من تراب في سياق كونه آية لوصوله إلى مقام القرب من الله والسلوك في هذا الطريق، ونجد هذا منعكساً بشكل صريح في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[٣]. وإنّ معرفة مراحل التكوين في البُعد المادي للإنسان، يُحدِثُ نقلةً في رؤيته ومعرفته بنفسه.

إن التعابير التي استعملها القرآن الكريم لبيان الناحية المادية من وجود الإنسان، عبارة عن: التراب، والطين، والطين اللازب، والحمأ المسنون، والنطفة، والماء الدافق، والعلقة، وهو ما جاء في الآيات الآتية التي سنذكرها فيما يلي على طريقة اللف والنشر المرتّب:

- ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾.[٤]
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنَ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾.[٥]
- ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لاَزِبٍ﴾.[٦]
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.[٧]

---

١. البقرة: ٢١.
٢. الشعراء: ١٨٤.
٣. الروم: ٢٠.
٤. الحج: ٥.
٥. الأنعام: ٢.
٦. الصافات: ١١.
٧. الحجر: ٢٦.

- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾.[١]

- ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾.[٢]

- ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾.[٣]

إنّ معرفة الإنسان لبدايته تجعل منه شخصاً واقعياً، ولذلك تكون رؤيته معقولة، وتكبح جماح زهوه وغروره وتكبّره. ويُعدّ الانحراف والجهل ببداية الخلق وعدم التعرّف على قدرة الله في خلق الكائنات، من جملة عوامل الكفر والشرك. وقد قال الله تعالى في بيان هذه الحقيقة:

- ﴿يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾.[٤]

- ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾.[٥]

- ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.[٦]

- ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾.[٧]

- ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُورًا﴾.[٨]

ومن هنا نجد القرآن الكريم يحثنا على التفكير والتدبّر في مسألة خلق الإنسان، وذلك لكي نتعرّف على أنفسنا، وأن نكون على استعداد للقيام

---

١. فاطر: ١١.
٢. الطارق: ٥ ـ ٦.
٣. العلق: ١ ـ ٢.
٤. الانفطار: ٦ ـ ٧.
٥. عبس: ١٧ ـ ١٩.
٦. الأعراف: ١٩١.
٧. الحج: ٧٣.
٨. الفرقان: ٣.

بالتكاليف المفروضة علينا في المرحلة الثانية (أي الدنيا)، وذلك إذ يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾.[١]

- ﴿أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[٢].

ومن خلال التمعّن في آيات القرآن الكريم ندرك أن الإنسان يستطيع القيام ببلورة شخصيته على نحوين.

فهناك من الآيات ما يدل على عظمة الإنسان، باعتباره خليفة الله في الأرض، وأنّه أهل لتسجد له حتى الملائكة، وأنّ الله قد خلقه على أحسن صورة، وذلك إذ يقول الله تعالى:

- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.[٣]

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾.[٤]

- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.[٥]

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾.[٦]

في حين تذهب آيات أخرى إلى وصف الإنسان بالضعف والتسرّع في الأمور والطمع وما إلى ذلك من الأوصاف، وذلك من قبيل ما جاء في الآيات القرآنية الآتية:

---

١. يس: ٧٧.

٢. مريم: ٦٧.

٣. يونس: ١٤.

٤. البقرة: ٣٠.

٥. الحجر: ٢٩ ـ ٣٠.

٦. البقرة: ٣٤.

- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[١].
- ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ﴾.[٢]
- ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾.[٣]
- ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.[٤]

إن إدراك الإنسان لكيفية خلقه وموقعه وما يتمتع به من القدرة على التقدم والرقي كجانب إيجابي وإمكانية سلوكه طريق التخلف والانحطاط، والانحراف والطغيان، حيث يقول تعالى في بيان وصف النفس الإنسانية: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[٥]. يؤدي به إلى العمل على الاختيار الصحيح. وأنّ معرفة النفس في الحقيقة هي معرفة الاستعدادات والقابليات الكامنة فيها، والتي تؤدي ـ في البعدين المتعارضين (معرفة الصفات الإيجابية والسلبية) ـ إلى وعي الإنسان بأطره الوجودية. وليس هناك مَن يمكنه أن يدّعي عدم وجود الصفات السلبية في وجود الإنسان، من قبيل: الطمع والجشع والضعف والتسرّع والتكبر والغرور. كما أن ارتكاب الأعمال السيئة، والتذرّع بوجود مثل هذه الأمور في وجود الإنسان لا يمكن أن يكون صحيحاً في تبريرها، بل في الحقيقة يمكننا ـ بحسن اختيارنا وبتوفيق من الله ـ أن نقوّي الخصال الإيجابية في وجودنا وأن نحول دون استفحال الصفات السلبية.

وبعد إدراك الإنسان للبداية والمرحلة الأولى من مسيرته الوجودية، يغدو بإمكانه التعرّف على خالقه وبارئه؛ إذ بعد أن يدرك الإنسان أنه كائن

---

١. النساء: ٢٨.
٢. الأنبياء: ٣٧.
٣. الإسراء: ١١.
٤. المعارج: ١٩ ـ ٢١.
٥. الشمس: ٨.

ضعيف، ويشعر باحتياجه إلى قوّة خالدة ومطلقة، يفتح لنفسه طريقاً يوصله إلى معرفة الله. وعليه تكون معرفة النفس ـ من هذه الناحية، أي من زاوية الارتباط بالمبدأ ومعرفته ـ مقدمة وأرضية فصبة لمعرفة الله، وإن هاتين الدعامتين المعرفيتين ـ أي: معرفة النفس، ومعرفة الله ـ ستشكلان زاد الإنسان في المرحلة الثانية (الواقع الراهن)، ويغدو على استعداد لبناء نفسه وتربيتها. وعلى هذا الأساس فإن بناء النفس يتوقف بشكل مباشر على معرفة الواقع الراهن، والتعرّف على الدوافع والحالات والسلوكيات الإنسانية في ذلك الواقع. إلا أن معرفة الواقع الراهن لا يكفي لبناء النفس. إن بناء النفس مفهوم يتوقف بالكامل على معرفة النفس. ومن هنا فإن شرح وتبيين بناء النفس في ضوء معرفة الله ومعرفة النفس تيطّلب منّا بالضرورة أن نتعرّف ـ بالإضافة إلى الواقع الراهن ـ على المرحلة الأخيرة من مساره الوجودي، أي المنتهى والمعاد أيضاً.

إن تعرّف الانسان على الواقع الذي يعيش فيه، والمسؤوليات والوظائف الملقاة على عاتقه، وكذلك الاطلاع على حالته النفسية والروحية، من الموارد الضرورية جداً بالنسبة له. إن الإنسان من حيث الخلقة يتمتع بقوى وقابليات خاصّة، وإن سلوكياته وشخصيته تخضع لتأثير العناصر والعوامل الوراثية والثقافية السائدة في محيطه. ومن هنا يكون مضطراً إلى الاستفادة من عنصر الإرادة والاختيار من أجل الوصول إلى الهدف النهائي، وأن يبذل كلّ ما بوسعه في هذا الإطار. إن التعرّف على الأوصاف والخصائص الداخلية، وكذلك تعرّف الإنسان على نقاط ضعفه وقوّته الشخصية والأخلاقية تشكل سبيلاً يتمكن من خلاله، التغلب على النواقص، والعمل على تنمية قيَمه الداخلية. على الإنسان أن يعلم الدور الملقى على عاتقه في الحياة. فمن وجهة نظر الإسلام يعتبر الإنسان خليفة الله في الأرض، وأنه يستحق أن يكون قبلة

للملائكة، وهو كائن حرّ ومختار، وأنه لم يُخلق عبثاً، بل هناك حكمة كامنة من وراء خلقه. وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في الكثير من مواضعه، ونذكر منها من باب المثال الآيات الآتية:

- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.[١]
- ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.[٢]
- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾.[٣]
- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.[٤]

إن على عاتق الإنسان ـ سواء في البعد الفردي أو البعد الاجتماعي ـ مسؤوليات توجب عليه التعرف على نفسه ومجتمعه. وإن معرفته بالوظائف والمسؤوليات التي يجب عليه أن يضطلع بها، والتعرف على الخيارات الأفضل، هي من جملة الأمور التي تجعله أكثر استعداداً إلى سلوك طريق القرب من الله في إطار معرفته لنفسه. ومن وجهة نظر الدين فإن مجرّد تحصيل العلم وطلب المعرفة وإدراك ما يؤدي إلى تكامل الشخصية وتحسين السلوك لا يشكل ضمانة لتطبيق مضامين ذلك العلم أو تلك المعرفة. وإن معرفة النفس إنما تؤدي إلى بناء النفس إذا تكلّلت بمعرفة المرحلة الثالثة من مساره الوجودي ـ أي المعاد والمصير والهدف النهائي ـ وفي هذه الصورة لن تكون هناك ـ من الناحية المعرفية ـ أي نقطة إبهام أو ضعف في إعداد الأرضية من أجل بناء النفس وبناء الشخصية المعنوية، وإذا كان هناك من ضعف فإنه لا يأتي من ناحية المعارف، بل يأتي من حيث الميول والتعلقات.

---

١. الدهر: ٢.

٢. الدهر: ٣.

٣. المؤمنون: ١١٥.

٤. الذاريات: ٥٦.

فإنه حيث يجب على الإنسان التعرّف على مآله وعودته ورجوعه إلى الله، وحيث تتعيّن عليه الإجابة عن كل ما يقوم به ويفعله وينويه ـ إذ يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١]. فعليه لذلك أن يُذعن لنتيجة أعماله ويكون لذلك تأثير كبير في انتخاب مساره وبنائه لنفسه.

بالالتفات إلى ما تقدّم يمكننا أن نتوصّل إلى النتائج الآتية:

١. إن معرفة النفس لا يتمّ طرحها في البعد الأخلاقي البحت، بل إنّها تشمل جميع الأبعاد الوجودية (المادية والمعنوية)، وعلى الرغم من أن نتائجها لا تكون إلا أخلاقية ومعنوية صرفة، إلا أنه يتعيّن على الإنسان ـ من أجل تحقيق الاختيار المناسب في الدائرة الروحية والنفسية ـ أن يتعرّف على نفسه بشكل كامل. وعليه فإن مفهوم معرفة النفس يشمل جميع الأبعاد الوجودية للإنسان.

٢. إن معرفة النفس ليست أمراً داخلياً، بل هي الحصول على مزيد من المعلومات في إطار معرفة النفس على نحو أكبر، وإنما يتم ذلك عبر المراحل الثلاث الآتية:

أ) معرفة النفس من الناحية الخلقية، بمعنى معرفة القابليات المستخدمة في خلق الإنسان وكيفية تكوينه.

ب) معرفة النفس من الناحية الدنيوية، بمعنى معرفة واقعنا وموضعنا في هذه الدنيا.

ج) معرفة النفس من الناحية الأُخروية، بمعنى معرفة المعاد والحياة بعد الموت.

٣. إن معرفة النفس الخلقية مقدمة على معرفة الله، وإن معرفة الله مقدمة على بناء النفس.

---

١. الزلزلة: ٦ ـ ٨.

٤. إن ثمرة ونتيجة معرفة النفس ومعرفة الله تظهر على بناء النفس وتربيتها. وعليه فمن دون معرفة الإنسان ـ بوصفها موضوعاً تربوياً ـ لا يمكن العبور من الوضع الراهن، والوصول إلى الوضع المنشود والمطلوب.

ب) الأهداف الإنتمائية

كما تقدم أن ذكرنا في مستهل البحث بشأن أهداف الإسلام الوسيطة في مجال الارتباط التربوي للإنسان فيما يتعلق بنفسه، فإن المعيار في انتخاب هذه الأهداف هو البنية والتركيبة الوجودية للإنسان نفسه. وإن الأبعاد الوجودية المختلفة للإنسان تمثل منطلقاً لاختيار هذه الأهداف والإصرار على بلوغها. إن الأبعاد الجسدية والروحية المختلفة التي تشمل الأبعاد المعرفية والانتمائية وبُعد الإرادة لدى الإنسان، بالإضافة إلى اشتمالها على المنشأ الداخلي والباطني، فإنها تشتمل على دعامة وسند خارجي أيضاً. إن الله سبحانه وتعالى كما أودع في الإنسان عقلاً وقدرة على التفكير والتدبّر، فإنه قد عمل أيضاً على ترتيب واقعه الخارجي بشكل يتمكن معه من التكامل والرقي بما يتناسب مع مناشئ هذه القوّة والقابلية. كما يجري هذا الأمر أيضاً على سائر الأبعاد الانتمائية والعاطفية الأخرى أيضاً، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى إذا أودع في الإنسان ميلاً أو نزعة إلى أمرٍ من الأمور، فإنه سوف يُعدّ الإمكانات الخارجية بشكل يتيح إمكانية الوصول إلى ذلك الهدف الموجود بشكل كامل. فليس الأمر أن تكون لدى الإنسان رغبة أو ميل إلى أمر وجودي، وتكون العوامل الخارجية سائرة في الاتجاه المعاكس لها، بحيث تشكل عقبة أمام وصوله إلى ذلك الهدف. وبطبيعة الحال فإن محور البحث هنا هو الدوافع والميول الخاصة بالإنسان والتي تكون تابعة لسلسلة من الأصول العامة، من قبيل: النزوع إلى معرفة الحقيقة، والميل إلى الخلود والكمال، دون

غرائز من قبيل: الشهوة إلى الطعام الموجودة في جميع الحيوانات. هذا وإن التعابير المختلفة من قبيل: النزعة والميل والدافع وإن كان لها معانٍ مختلفة في علم النفس، إلا أنها في هذا البحث لا يراد منها سوى معنى ومفهوم واحد، وهو القوّة الداخلية التي تدفع إلى التحرّك نحو هدفٍ خاص.

وعلى الرغم من أن هناك الكثير من الميول والرغبات الإنسانية، إلا أنها ليست عامة وشاملة بأجمعها. وإن الذي يميّز بين الميول العامة والخاصة هي الخصوصيات التي نشرحها على النحو الآتي:

١. هناك ميول موجودة لدى جميع الناس، بحيث أن القيام ببعض الأمور، والميل إلى بعض الأشياء يعدّ من أهم وأبرز الميول الداخلية لدى الشخص. وعلى الرغم من أن هذه الميول تختلف باختلاف الأفراد في الشدة والضعف، ولكنها موجودة لدى الجميع، وإن على أنحاء ومستويات مختلفة ومتفاوتة.

٢. إنّ الميول العامة لا تختص في وجودها لدى جميع النابالوقت الحاضر فقط، بل كان لها وجود حتى في الأزمنة السحيقة أيضاً. وإنّ أهم دليل على وجود هذه الميول هو الشواهد التاريخية، وما نجده في المعطيات الحضارية والثقافية للإنسان. وأنّ هذه الميول هي من قبيل: البحث عن الخالق، وطلب الكمال، فهي من الأمور التي كان الإنسان منذ القدم يسعى إلى إدراكها، وهو مستمر في سعيه إلى إدراكها حتى هذه اللحظة، ولم تَضعُف حدّتها وشدتها أبداً، بل إن هذا الميل وهذه النزعة قد ازدادت حدّة وإلحاحاً، وقد تجلّت على نحو أكثر تكاملاً من ذي قبل.

٣. إن بنية الإنسان وتركيبته تمكّنه من الاهتمام بالكثير من الأمور. وكما توجد لدى الإنسان بعض الغرائز والميول التي تبرر حاجته إلى الماء والطعام، دون أن تكون هناك من حاجة إلى السؤال عن أسباب وعلل وجودها، فإن فطرة الإنسان ـ في البُعد المعنوي ـ تعمل على تبرير سلسلة أخرى من الرغبات والميول التي يتمّ التعبير عنها بالميول الفطرية.

٤. قد يذهب التصوّر ببعضٍ إلى القول: إن ميول الإنسان تقوم على أساس من الفطرة، فلا تكون هناك من حاجة إلى التعلّم، ولا يمكن نقل النزعة لدى الإنسان في البحث عن الله والحقيقة والجمال من طريق المفاهيم، وإن الميول الفطرية كسائر الغرائز ليست من مقولة المفاهيم الذهنية والفكرية التي يمكن نقلها عبر الأدوات والوسائل التعليمية، بل إن هذه الأمور خارجة عن الأطر والأنظمة التعليمية، فهي نوع من الخلق الذي لا سبيل إلى تغييره. وأنّ المراد من أنّ هذه الميول قد وقعت هدفاً وغاية لا يعني أن أصل الميل هو الهدف والغاية؛ لأن الميول والدوافع قد تمّ إيداعها في وجود الإنسان من خلال الخلقة. وإنما المراد من هدفيتها، هو تنميتها والعمل على توجيهها وهدايتها إلى الاتجاه الصحيح الذي يريده الدين. وبعبارة أخرى: إن الذي يُستنبط من الوصايا الموجودة في الدين بشأن هذه الميول، إنما ينظر إلى النشاط والدور الذي يتكفل به هذا العامل في وجود الإنسان. ولا شك في أن الدور البنّاء له هو تهيئة الأرضية للإنسان لتكون له القدرة على القيام ببعض النشاطات المحددة، والاهتمام بأمور معيّنة. وإن الأهداف التي يتم استنباطها من الدين في هذا السياق ناظرة إلى أمرين، وهما:

١. تجديد وتعزيز الميول في وجود الإنسان.

٢. الهداية والتوجيه الصحيح لهذه الميول.

وفي هذا الكتاب نستفيد من كلمة التنمية لبيان مفهوم جامع لهذين المعنيين، لأنها تشمل التعزيز وتشمل الهداية أيضاً.

١. تنمية المطالبة بالحقيقة

إنّ من بين الميول المتأصلة في وجود الإنسان هو نزعته ورغبته في البحث للوصول إلى الحقيقة. والمراد من طلب الحقيقة هو شوق الإنسان إلى

معرفة الارتباط القائم بين الظواهر. إن اكتشاف الحقائق ـ سواء في البعد النظري والمعرفي أو في الأبعاد الفنية والعملية ـ ناشئ من رغبته وميله إلى إدراك هذه الأمور. فلو لم تكن لدى الإنسان مثل هذه الرغبة والشوق إلى تحصيل العلوم وتنمية أفكاره وآفاقه العلمية، لما وصل المستوى العلمي والثقافي للإنسان إلى هذه المرحلة من التكامل والازدهار. وعلى الرغم من أن الحاجة إلى رفع المشاكل تشكل أحياناً حافزاً ودافعاً إلى تحصيل العلم والمعرفة، بيد أن النزعة والميل إلى طلب المعرفة يظهر منذ فترة الطفولة حيث لا يكون الطفل بعدُ قادراً على إدراك الارتباط بين طلب العلم وإيجاد الحلول للمشاكل. وعليه فإن أساس طلب العلم والمعرفة لا يكمن في مسألة الافتقار والحاجة، وإن إدراك الارتباط بين الموجودات والتعرّف على المسار العلمي هو الذي شغل عقول الكثير من العلماء. وعلى الرغم من أن التعرّف على العلوم واتساع رقعة الفنون ساعد على رفع الكثير من حاجات الإنسان، إلا أن أساسه وقاعدته تعود إلى النزعة الباطنية والشوق إلى بلوغ الحقائق واكتساب المعارف.

وكما تقدم أن ذكرنا في بحث الأهداف المعرفية بالتفصيل، فإنّ الله سبحانه وتعالى قد عمل على توظيف ميل الإنسان ورغبته وشوقه الشديد إلى إدراك الحقائق في إطار هدايته. وإن التشجيع على استثمار العقل والتفكير، ووضع العلامات والآيات الواضحة في خلق العالم، وإرسال الرسل، تأتي بأجمعها في سياق تنمية هذه النزعة والرغبة لدى الإنسان. وفي الحقيقة فإن جميع الآيات التي عمدت بنحوٍ من الأنحاء إلى دعوتنا إلى التفكر والتعقل، والتي جعلت التدبّر في الخلق محور حركتنا العقلية، تأتي في سياق تعزيز هذه القدرة والكفاءة. إن على الإنسان ـ من وجهة نظر الإسلام ـ أن يبذل جهوداً متواصلة في البحث عن الحقيقة، إلا أن مجرّد هذه النزعة لا تشكل ضمانة

لتحقق الهداية. فما أكثر الحقائق التي بقيت خافية على ذهن الإنسان، وما أكثر الأمور الوهمية التي تجلّت للإنسان بوصفها حقائق ثابتة لا يمكن التشكيك فيها.

إن عدم تعزيز هذه النزعة الباطنية يؤدّي إلى الضعف والخور في وجود الإنسان، ويوفّر الأرضية لانحرافه وضلاله. إن مثل هذا الفرد يتعرّض للشك في معرفة الحق وتمييزه من الباطل، ويقع فريسة لآراء وأفكار وعقائد الآخرين بكل يسر وسهولة. وباختصار فإن عدم تعزيز هذه الناحية الوجودية في الإنسان، تفضي به إلى الانحراف الفكري والتبعية للآخرين، وعبادة الأشخاص، والانحياز إلى الأكثرية دون تعمّق أو تفكير. فالفرد الذي ينشد الحقيقة، يقوم في البحث عنها بنفسه، ولا يجعل من آراء الآخرين ملاكاً ومعياراً لفهم الحقيقة. وبطبيعة الحال فإن الذي ننظر إليه فيما يتعلق بطلب الحقيقة هو التنمية بمعنى تعزيزها وتقويتها، وإلا فإن الهداية والعمل على توجيه طلب الحقيقة ليس له من معنى محصّل، ولربما أدى الانسياق في هذه المقولة إلى الابتعاد عن أصل المطالبة بالحقيقة. وعليه فإن الأثر التربوي المترتب على تعزيز النزعة إلى طلب الحقيقة يكمن في اعتماد الفرد على نفسه ومقدرته العقلية والفكرية في تحديد الحق وتمييزه من الباطل.

٢. تنمية النزعة إلى البحث عن الله

إنّ الميل الفطري إلى الله بوصفه خالق الإنسان والقادر على تلبية احتياجاته وحلّ مشاكله، مودع في وجود كلّ إنسان. وعلى الرغم من أن أصل الميل الفطري إلى الله يمتدّ بجذوره في التركيبة والبنية الوجودية للإنسان وطبيعة خلقه وجبلّته بحيث لا تقبل التبديل أو التغيّر، حتى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ

الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[١]، ولكن مع ذلك يرد السؤال القائل: إذا كانت مسألة النزعة والميل إلى الله مسألة فطرية مودعة في جبلّة الإنسان، فلماذا ينحرف الكثير من الناس، وينحدرون إلى عبادة ما سوى الله؟ وعليه أليس من الأفضل أن نجيز النزعة إلى عبادة أيّ معبود وإن لم يكن هو الله حقيقة، إشباعاً لهذا الشعور والميل الفطري؟ وهل يمكن في هذه الصورة تبرير الميول المختلفة بين أفراد البشر باتجاه الكثير من الآلهة ومن بينها الله سبحانه وتعالى؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، يمكن دراسة المسألة من ناحيتين، وهما: الناحية الدينية، والناحية النفسية والروحية.

الناحية الدينية: إن الذي تمّ طرحه في القرآن الكريم بوصفه نوعاً خاصاً من الخلق، يشمل بشكل صريح وواضح الخلقة الإلهية. بمعنى أن الفطرة والبنية الوجودية للإنسان، وُجدت بحيث تعمل على هدايته إلى الله سبحانه وتعالى دون أيّ معبود آخر. وبعبارة ثانية: إن الكامن في بنية وتركيبة خلق الإنسان هو الميل إلى الله، وعلى الرغم من أن عدم الاهتمام بهذه النزعة وهذا الميل، يؤدي ببعض الناس إلى عدم العمل بما تقتضيه فطرتهم وجبلّتهم، إلا أنّ مجرّد عدم الاهتمام بنزعة أو ميل لا يصلح دليلاً على عدم وجود ذلك الميل أو النزعة. وبعبارة أخرى: إن ما قام به بعض الناس على طول التاريخ من إظهار الميل إلى معبودات غير الله، أو الذين واصلوا هذا النهج في العصر الحاضر ضمن أطر وقوالب أخرى، لا يكون دليلاً على أن ميلهم ونزعتهم إلى هذه المعبودات الخاصة، مودع في أصل خلقتهم وجبلتهم. إن التركيبة والبنية الوجودية للإنسان من وجهة نظر الدين وُجدت بحيث لا تميل ولا تنزع لغير الله، إلا أن هذا لا يعني أن تكون آلية هذه النزعة ثابتة على جميع الأحوال

---

١. الروم: ٣٠.

والظروف، بل من الممكن لبعض العوامل أن تعيق ظهور هذه النزعة الفطرية. من هنا نجد القرآن يحثنا ويشجعنا على الاهتمام الخاص بهذه الناحية من خلقته. وعليه فإن معنى تنمية الشعور والنزعة إلى البحث عن الله، هو تعزيز وتقوية وهداية هذا البعد من وجود الإنسان. ومن ناحية أخرى فإن النزعة والميل إلى عبادة معبود غير الله، إنما هو وليد جبلة الإنسان وفطرته التي تنزع إلى البحث عن المعبود. لأننا عندما نحلل فطرة الإنسان ندرك ضعفه وعجزه عن إدارة أموره. إن هذا العنصر والعامل من أهم العوامل في وصول الإنسان إلى خالقه. إن ما يقال من أن لدى الإنسان فطرة وجبلّة إلهية، وإن لنزوعه وميله إلى الله موقعاً خاصاً ومتميّزاً في نظام الوجود، من الممكن إرجاعه إلى ضعفه الوجودي وحاجته إلى موجود قادر ومتمكّن، ولو أن الإنسان أدرك هذا الضعف من صميم وجوده فإنه سيدرك وجود الله الواحد الأحد أيضاً. فإن الميل إلى الله وليد ذلك الشعور والإحساس بالفقر والحاجة والضعف الوجودي. ومن هنا فإن الله يدعونا إلى التدبّر في هذه الناحية من الفقر والضعف في وجودنا كثيراً. ولو أننا لم نلتفت إلى هذه الناحية المتمثلة بحاجتنا إلى الله وفقرنا الوجودي بشكل كامل، فإننا لن نتمكن من الإيمان بالله الواحد كما تقتضيه فطرتنا. فإذا كان شعورنا بالضعف الوجودي يتمتع بقوّة خاصة، فإنه سيجعلنا بشكل طبيعي تابعين إلى وجودٍ أقدر وأقوى من جميع القوى والموجودات الأخرى، بحيث يكون هذا الوجود هو الأقدر على رفع حاجاتنا الوجودية. وكلما كانت نسبة إحساس الإنسان وشعوره بضعفه وفقره الوجودي أقل، كان سعيه إلى رفع حاجاته من خلال اللجوء إلى القوى المادية الضعيفة أكثر. وإن السرّ في اختلاف انتماءات الأفراد ونزعتهم إلى عبادة الله الواحد، والمعبودات الأخرى من قبيل: الوثن والقمر والنجوم، بل

وحتى التشبّث المفرط بالمناصب وحبّ الجاه والثروة وما إلى ذلك من الأمور، يعود إلى اختلاف شعورهم وإدراكهم لضعفهم وفقرهم الوجودي. فالذين يرون أنفسهم في فقر واحتياج مطلق، ينظرون إلى قمّة وذروة الغنى المطلق المتمثل بالله الواحد الأحد، ويجعلونه هو المعبود الأوحد لهم ولا يشركون بعبادته أحداً:

ـ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾[1].

ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[2].

ـ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[3].

ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4].

وأما أولئك الذين تخضع مدركاتهم ومعارفهم للفقر والحاجة الوجودية لسيطرة التعلقات الدنيوية العابرة، من قبيل: الثروة والمنصب والجاه أو الميول الغريزية، فإنّ معبودهم سيتناسب وهذا الحجم من التعلقات. من هنا فإنّهم وبعد أن ترتفع هذه الحاجة المرحلية يشعرون بالاستغناء وعدم الافتقار والحاجة. وأنّ هذا الشعور بالاستغناء وعدم الافتقار والحاجة ـ من وجهة نظر القرآن ـ هو الذي يمثل أحد أسباب وعلل النزوع إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى:

ـ ﴿يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾.[5]

---

١. فاطر: ١٣.

٢. الروم: ٥٤.

٣. النساء: ٢٨.

٤. البقرة: ٢١.

٥. الانفطار: ٦ ـ ٧.

ـ ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۞ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۞ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾.[١]

الناحية الروحية والنفسية: إنّ الاطلاع على الطبقات المعقدة للروح وكيفية تأثير كل واحد من الميول على بعضها، أمر في غاية الصعوبة والتعقيد. عندما ينظر الإنسان إلى واقعه، ويقيس نسبته إلى العالم والتاريخ الذي يعيش فيه، ويقارن بين حاجته وفقره وضعفه وبين قدراته وإمكاناته، ويدرس كذلك تاريخ ومصائر الآخرين، سيدرك أنه أضعف بكثير مما يتصوّر. وعلى الرغم من ذلك نجد أغلب الناس يرون لأنفسهم قدرات خاصة في حلّ مشاكلهم والتغلب على المعضلات المحيطة بهم. وعلى كلّ حال فإنّ الانغماس في الرغبات الدنيوية الزائلة والغرائز الحيوانية تجعل المرء في غفلة عن التعرف على الطبقات الرئيسة من وجوده، بيد أنه إذا نجح في دراسة نفسه وتمحيصها، وتمكن من إزاحة الطبقات المتراكمة، وتوصل إلى أعماق وجوده، سيدرك أن وجوده أضعف وأدنى بكثير مما كان يتصوّر. وعليه فإننا إذا استثمرنا عقولنا وتفكيرنا، فسيكون بمقدورنا أن نعتبر بحياة الآخرين، وأن نجعل مصير الأمم السابقة نصب أعيننا، ونعمل على إيجاد التغيير الباطني من وجودنا وأن ندرك حقيقة وجودنا دون تعريض أنفسنا لمواقف وظروف حادة وعصيبة. فإذا غدا بمقدورنا بلوغ هذه المرتبة من الفهم، واستطعنا أن نتعرّف على حقيقة أنفسنا، فعندها سيكون بمقدورنا إدراك وجود معبودنا الحقيقي وخالق الوجود أيضاً. وقد روي في ذلك عن النبيّ الأكرم ﷺ أنه قال: «مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَقَد عَرَفَ رَبَّهُ».

٣. تنمية النزعة إلى اكتساب الفضيلة

إنّ من بين الأمور التي ينزع إليها الإنسان بفطرته هو ميله إلى اكتساب

---

١. عبس: ١٧ ـ ١٩.

الفضيلة. والمراد من الفضيلة هي القيمة الأخلاقية الراسخة في وجود الإنسان. إنّ الاختلاف الجوهري بين الفضائل الأخلاقية وبين سائر الأمور الأخرى ذات النزعة الأخلاقية، يكمن في قوّة واستحكام الفضائل الأخلاقية في دواخلنا. فإن الفضيلة الأخلاقية إذا ما قيست إلى الأمور الأخلاقية الاعتيادية سنجدها أكثر صلابة واستحكاماً في الاضطلاع بدورها. وفي الحقيقة فإن الفضائل الأخلاقية تتمتع بضمانة داخلية وباطنية تعمل على تنظيم شخصية الانسان، خلافاً لسائر الأمور الأخلاقية الأخرى التي لا تحظى بمثل هذه الدعامة الداخلية، ولم تدخل في تكوين شخصية الإنسان. والمراد من قولنا: إنّ تنمية النزعة إلى اكتساب الفضيلة يعدّ من الأهداف الوسيطة في النظام التربوي للإسلام، هو النظر إلى هذا البُعد من اكتساب الفضيلة الداخلية. وعلى الرغم من أنّ البحث عن اكتساب الفضائل والقيَم الأخلاقية يعدّ من البحوث الفلسفية التي تتمّ دراستها في فلسفة الأخلاق، ولكننا ـ لتوضيح مفهوم تنمية الفضائل الأخلاقية ـ إنما نكتفي بذكر بعض النقاط في هذا السياق.

إن نزعة الإنسان إلى الفضائل الأخلاقية، من قبيل: العدل والصدق والأمانة والوفاء بالعهد وما إلى ذلك، أمور لا يمكن أن تنكر. فإذا كان الواقع الخارجي بحيث تتساوى فيه نتيجة النزوع إلى الفضيلة الأخلاقية أو الرذيلة الأخلاقية، فإنه سيتجه نحو ما تميل إليه نزعته الباطنية. وفي مثل هذه الحالة لن يكون الانسان بصدد اقتراف الرذيلة الأخلاقية؛ لأن الرذائل الأخلاقية ليس لها مناشئ باطنية. ومن هنا عندما يكون الانسان غي مستوى بحيث لا تؤثر عليه العناصر والعوامل الخارجية، ولا تقوم المشاكل والضرورات بتقييد حرية اختياره إحدى الصفات، ويكون قادراً على قول الصدق والكذب على السواء، فإنه سيختار الصدق لكونه هو الأقرب إلى فطرته. وإن مسار حياة الإنسان على طول التاريخ يثبت ترجيحه للفضائل على الرذائل. وتظهر هذه الأرجحية إما على شكل

السلوك الأخلاقي الصائب، أو على شكل الندم واللوم (من قبل الفرد نفسه أو من قبل الآخرين). وعلى كل حال، ففي هذه اللحالة تعدّ مفاهيم من قبيل: العدل والصدق والوفاء بالعهد ورعاية الأمانة والكرم وحسن السريرة وما إلى ذلك، فضيلة أخلاقية إيجابية، وما يتعارض مع هذه الأمور، من قبيل: الظلم والجور والكذب والخيانة بالعهد، وخيانة الأمانة، والبخل وسوء السريرة فيعدّ من الرذائل الأخلاقية، ويحمل مفهوماً سلبياً. ومن الضروري هنا أن نُذَكّر بأن الذي نبحثه هنا ليس هو مصداقاً محدداً لهذه الفضائل المذكورة أو ما شاكل ذلك من المفاهيم، بل الذي نريد بحثه هو أصل المفاهيم التي تندرج تحت عنوان الفضائل أو الرذائل الأخلاقية. ولكن يرد هنا سؤال مفاده: ما هي المشكلة التي يمكن لهذه النقطة أن تحلها؟ وبعبارة أخرى: لو أننا سلمنا بوجود نزعة لدى الإنسان نحو العدل، إلا أننا سنختلف في تحديد مصداق العدالة، بحيث أن ما يعتبره شخص عين العدل، يراه آخر المصداق الأبرز للرذيلة، ولا يمكن اعتباره فضيلة أخلاقية أبداً. وعلى هذا الأساس كيف يمكن لنا تفسير ما يقال: إن أصل النزعة إلى المطالبة بالعدل، وغيره من الفضائل الأخلاقية تدخل في صميم الفطرة الإنسانية، وإن أصل الظلم والجور وما إلى ذلك من الرذائل الأخلاقية من الأمور التي يمقتها الإنسان بفطرته؟ فمثلاً: لماذا نجد الكثير من الناس ـ على الرغم من تشبّثهم بالمطالبة بالعدالة ـ يرتكبون أعمالاً مناقضة لما يطالبون به، بحيث يتهم كل واحد منهم الآخر بارتكاب الظلم والجور بحقه؟ فلماذا يرى البعض مساعدة الفقراء والمساكين والضعفاء مصداقاً للعدالة الاجتماعية، بينما يذهب آخرون إلى القول: إن العدل يكمن في إبادتهم وفسح المجال لزيادة ثراء الأثرياء والأقوياء؟ إنّ الإجابة عن هذا السؤال تشكل مقدّمة للدخول في البحث عن فلسفة سعي الأديان إلى تربية وإصلاح وهداية ميولنا المختلفة، ومن بينها نزعتنا إلى اكتساب الفضيلة.

إنّ العمل بما يتطابق والفطرة الداخلية والتركيبة الوجودية للإنسان علاوة على قابلية تبريرها في ضوء النظام الوجودي للإنسان، يمكن تفسيرها وبيانها عقلياً أيضاً. فمن باب المثال: إذا سألنا شخصاً: لماذا تسلك سلوكاً عادلاً؟ أمكننا تبرير وتفسير سلوكنا عبر مرحلتين طوليتين. في المرحلة الأولى نعمل على إرجاع سلوكنا العادل إلى البنية والمنظومة الخلقية لنا، ونسعى من خلال ذلك إلى بيانها وشرحها وتفسيرها، ونعمل على التذكير بخلفية وعلل هذا السلوك، كأن نقول مثلاً: إن مردّ ذلك إلى وجود نزعة داخلية فينا تعمل على ترجيح كفّة العدل. وفي المرحلة الثانية نستدلّ لسلوكنا المتطابق مع بنيتنا الوجودية ونزعتنا الداخلية على المستوى العقلي، وبذلك نعتبر السلوك المذكور أمراً عقلياً[1]. بالالتفات إلى هذه الموارد نجد أن الذي لا يعمل على طبق نزعته الوجودية والفطرية، فإن سلوكه سوف لن يكون متطابقاً مع بنيته الوجودية وميوله الداخلية، بل لا يملك لها تبريراً عقلياً أيضاً، وكلّ مَن كان كذلك فإنه سيشكو من هاتين النقيصتين. وعليه فإن السلوك الأخلاقي يتمتع بدعامة وجودية كما يتمتع بالدليل العقلي.

إنّ الذي يتمّ طرحه قبل كلّ شيء في أي منظومة أخلاقية ـ بما في ذلك الأخلاق الدينية ـ هو امتلاك الإدراك والمعرفة والعلم بما يتعلق بالعمل والسلوك الأخلاقي. لا شك في أنه ليس هناك نظام أخلاقي يقرّ السلوك والعمل الذي ينطلق تحققه من خلفية الجهل وانعدام المعرفة. فإن الأعمال التي تدخل في دائرة وعينا ومعرفتنا هي وحدها التي تحظى بدعامة أخلاقية وتدخل ضمن منظومة القيَم، وأما السلوك غير الواعي فحيث لا يكون إرادياً

---

١. وبطبيعة الحال فإن هذا الأمر إنما يطرح على مستوى الميول الأخلاقية دون الميول الغريزية؛ لأننا نجد في الكثير من الموارد أن عدم تلبية المطالب والميول الغريزية أكثر عقلانية من تلبيتها.

ولا يصدر عن اختيار الفرد ووعيه، فإنه لا يقبل الانتساب إلى فاعله من الناحية الأخلاقية. ولذلك فإننا لا نمدح الجاهل ولا نلومه. وعلى هذا الأساس فإن الذي يكون ملاكاً ومعياراً في إطار السلوك الأخلاقي هو العلم والإدراك، وأن العمل والسلوك إنّما يتصف بالحسن أو القبح، ويستحق فاعله المدح أو الذمّ، في إطار الالتفات إلى هذه الحقيقة. وبالالتفات إلى هذا الأمر فإن الأفعال التي تصدر عن الفرد بسبب ميوله الباطنية، إذا كانت مندرجة ضمن وعي الفرد وإدراكه، فإنها ـ حتى وإن كانت لها تبعات سلبية ـ ستدخل ضمن دائرة السلوك الأخلاقي. وبعبارة أخرى: لو أن فرداً ـ من باب المثال ـ قام بعمل يراه مصداقاً للعدل، يكون ما صدر عنه سلوكاً أخلاقياً ـ مهما كان من وجهة نظر الآخرين مصداقاً للظلم ـ وتكون له قيمة إيجابية. فإن الفرد العامل في مثل هذه الحالة يكون أولاً: قد قام بما يتطابق مع ميله ونزعته الباطنية، وكما تقدم أن ذكرنا فإن التحقق الخارجي لنزعة الفرد الداخلية، يتمتع بدعامتي العلة الوجودية والدليل العقلي. وثانياً: لقد كان الفرد من حيث تشخيص المصداق يتصوّر أن ذلك السلوك هو عين العدالة، ولذلك فإنه يكون قد قام بعمل يراه منطبقاً تمام الانطباق مع ميله ونزعته الباطنية والداخلية، وإنه من هذه الناحية يستحق التكريم والثناء؛ لأنه لو لم يقم بذلك السلوك، يكون قد تخلّى عن عمل هو ـ من وجهة نظره ـ مصداق للعدل والفضيلة الأخلاقية، وفي هذه الصورة سيكون مرتكباً لمعصية أخلاقية يستحق اللوم والذمّ عليها. وعلى هذا الأساس فإن معيار وملاك العمل والسلوك الأخلاقي لا يكمن في إنتاجيته وإثماره، وإنما تكون إنتاجيته هامّة من وجهة نظر العامل. فعندما يقوم الفرد بعمل يراه مثمراً ونافعاً يكون عمله موضع تقدير وتكريم حتى وإن لم يكن في الحقيقة والواقع مثمراً أو نافعاً. إن ماهية ما يترتب على السلوك من الآثار والتبعات الخارجية ليس لها تأثير في

أصل الفضيلة الأخلاقية. وعليه فإنما يمكن كيل المديح لشخص أو إلقاء اللوم عليه إذا قام بما يتطابق مع نزعته وميله عن وعي ومعرفة. إن الالتفات إلى هذه المسائل يساعدنا على فهم سبب هدفية تنمية الفضيلة في سلسلة الأهداف الوسيطة. وكما تقدم أن ذكرنا فإن البحث عن الفضيلة إنما هو نزعة وميل باطني، ومن هنا فإن أول مسألة يجب أخذها بنظر الاعتبار هي تنمية وتعزيز هذه النزعة الباطنية والداخلية، وتجنب كل ما من شأنه أن يؤدي إلى تقويض هذه النزعة. إن الذي لا يتمتع بأي نزعة أو ميل للقيم الأخلاقية يعتبر من وجهة نظر الدين شخصاً يعمل في الحقيقة بوحي من ميوله الدنيئة التي تؤدي إلى تحقيق مصالحه المادية وشهواته الدنيوية فحسب. وإن هذه الميول الدنيئة قد تطغى على الميول الإنسانية السامية، من قبيل: الوصول إلى معرفة الحقيقة، والوصول إلى الله والفضيلة. من هنا فقد أكد الدين على توسيع رقعة الفضائل واكتساب الأخلاق الحسنة، بيد أن مجرّد تعزيز الميول إلى الفضائل لا يُعدّ هو الهدف؛ إذ ما أكثر الأشخاص الذين يقعون في الأخطاء رغم ما يتمتعون به من الميول الشديدة إلى الفضائل الأخلاقية. ففي الحقيقة إن مجرّد وجود النزعة والميل القوي إلى اكتساب الفضيلة لا ينهض دليلاً على تحديد الفضائل الأخلاقية وتمييزها من الرذائل الأخلاقية، وإن الجزء الأعظم من المشاكل الأخلاقية على المستوى الفردي والاجتماعي يعود إلى التشخيص غير الصائب للفضائل الأخلاقية، وليس عدم الاهتمام بها. فما أكثر الأفراد الذين يرتكبون الأخطاء بسبب جهلهم، ولكنهم يعتبرونها صحيحة ومتطابقة مع القيم الأخلاقية، ويقومون بها بكل تفانٍ وإخلاص. إن الله ـ وبسبب إحاطته بجميع أنحاء وجود الإنسان ومعرفة خيره وصلاحه ـ يضع تحت تصرفه الطرق والأساليب التي تساعده في الحصول على الفضائل الأخلاقية التي تضمن سعادته، وتقدّم له العون في بلوغ الهدف النهائي المتمثل بالقرب من الله

سبحانه وتعالى. وأن مكارم الأخلاق من الأهمية بحيث اعتبرت أحد أهم أهداف البعثة النبويّة وغاياتها، وذلك إذ رُويَ عن النبيّ الأكرم ﷺ أنه قال: «إنّما بُعِثتَ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ»[١]. كما ذكر القرآن الكريم أخلاق النبيّ الحسنة بوصفها من أهم السجايا والخصال التي يتصف بها، وذلك إذ يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[٢]

٤. تنمية النزعة والميل إلى الخلود

إنّ التفكير في أنواع الميول الباطنية للإنسان، وبخاصةٍ النزعة إلى البحث عن الحقيقة، ووجود الله، والتحلّي بالفضيلة، يستدعي هذا التساؤل القائل: كيف يمكن للإنسان الفاني أن يدرك مفهوم الخلود والميل إلى الأمور الأبدية؟ وما هو العامل الكامن في وجود الإنسان، والذي يجعله على استعداد لتقبّل هذه الأمور والنزوع إليها؟

إنّ البحث بشأن النزعة والميل إلى خلود الروح متفرّع على البحث عن خلودها، بمعنى أن الروح يجب أن تكون خالدة ليحصل لدى الإنسان مثل هذه النزعة وهذا الميل. إلا أن الذي نروم بحثه هنا هو النزعة إلى خلود الروح وليس أصل خلودها.

ومع افتراض القبول بوجود نزعة لدى الإنسان وميل إلى الأمور الخالدة والحقائق الأبدية (من قبيل: الله)، يقضي على جميع احتمالات عدم خلوده. فلو كان الإنسان مخلوقاً فانياً، فلن تكون في وجوده وكيانه أيّ نزعة إلى البقاء، بل سيفتقر حتى إلى النزوع والميل إلى الأمور الخالدة من قبيل: الحقيقة والخالق والفضيلة أيضاً. وهكذا الأمر إذا كان الإنسان مخلوقاً خالداً

---

١. *سفينة البحار*، المحدث القمي: ١/ ٤١٠.

٢. القلم: ٤.

وأبدياً، ولكنه لا يمتلك نزعة أو ميلاً إلى الخلود، فإنه لن يبدي أي ميل تجاه الأمور الأبدية. لم يكن لدى الإنسان في أي من الأمور الآنفة ميلاً أو نزعة إلى الخلود ليكون بصدد الحصول على العوامل التي تلبي حاجاته. ومن هنا حيث نشاهد الكثير من الأدلة والعلامات على وجود هذه النزعة إلى الأمور الأبدية وبأنحاء مختلفة من وجود الإنسان، يثبت وجود الميل إلى الخلود والاتصال بالأبدية في وجوده. إن نزعته المطلقة إلى معرفة الحقيقة وإثبات وجود الله، والقيام بصالح الأعمال والأفعال الحسنة من أبرز الأدلة على وجود هذه النزعة لدى الإنسان.

كما أنّ من جملة الأدلة والعلامات على وجود النزعة والميل إلى الخلود لدى الإنسان، هو ذهابه إلى تصور الخلود بالنسبة إلى بعض الأمور الفانية. إذ نراه يسعى إلى الحصول على بعض الأمور وكأنها خالدة ولا تطالها يد التغيير والحدثان. وحتى تهالك الإنسان على اكتساب الثروة والقدرة والتأثير والنفوذ الاجتماعي وما إلى ذلك من الأمور التي لا تعرف الوقوف عند حد ـ فمهما بلغ الإنسان من الحصول على المكانة الاجتماعية المؤثرة والثراء الطائل نجده يطلب المزيد ـ يدل بشكل غير مباشر على وجود هذه النزعة والميل الباطني إلى الخلود والبقاء وعدم الفناء.

بالالتفات إلى ما تقدّم فإنّ مرادنا من تنمية النزعة إلى الخلود لدى الإنسان ـ بوصفه هدفاً وسيطاً ـ أحد أمرين، وهما:

١. إن النزعة إلى الأبدية لدى الإنسان ـ من وجهة نظر الدين ـ لا ينبغي أن تنحدر بسبب الميول والرغبات المرحلية والآنية إلى الضعف والخمول. إن إحياء وتجديد هذه النزعة الداخلية والباطنية تمهّد الأرضية المناسبة لطيّ المراحل الأخرى. أما الذي يعتبر نفسه كائناً فانياً، ويحصر وجوده بهذه الحياة الدنيا، فلن يبدي أي ميل أو رغبة نحو القيَم الأبدية والخالدة، وحيث إن

تصوّره عن نفسه يقترن بنوع من الفناء والخواء، فإن هدايته إلى الأمور الخالدة والقيَم الثابتة في غاية الصعوبة والتعقيد. وبطبيعة الحال فإن تزعزع ميل الإنسان ورغبته في الخلود ناشئ عن رؤيته السلبية إلى نفسه وحياته الأبدية والخالدة، وحيث إن هذه النزعة مسألة ذاتية ولا يمكن إلغاؤها، فإنها تتجلّى بشكل آخر في أطر الميول الدنيوية.

٢. إن الدور الآخر الذي يلعبه الدين في تنمية الميل والنزعة إلى الخلود عند الإنسان، يكمن في هدايته إلى هذه القوّة والقابلية. فما أكثر الذين عمدوا إلى إهدار هذه القابلية والطاقة من خلال توظيفها في الأمور المحدودة والمرحلية. وإن التهافت والتهالك على هذا التضاد في النزعة والميل الباطني تجاه المتعلق الخارجي، يعد من وجهة نظر الدين سبباً في ضلال الإنسان، فإن الدنيا ومظاهرها المتمثلة بالأمور الاعتبارية من قبيل: الثروة والجاه وما إلى ذلك من الأمور، تعدّ بأجمعها من الموارد التي تتعارض مع حمل مفهوم الأبدية والخلود. وفي ذلك قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾[1].

ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[2].

ـ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

إنّ الجاذبية الكامنة في نزوع الإنسان وميله إلى الخلود، من القوّة بحيث لا يسعها التعلّق بالأمور المحدودة والمرحلية التافهة، وإذا لم يُراع التناسب بين هاتين المسألتين، وتمّ هدر طاقة الإنسان وقدرته ـ الناشئة عن وجود هذه

---

١. الهمزة: ٣.

٢. الأنبياء: ٣٤.

٣. النحل: ٩٦.

النزعة لديه ـ في هذه الأمور المحدودة والتافهة، فإنها ستخلّف مشاكل روحية ونفسية ومعضلات اجتماعية جمّة. فمن جهة، حيث تكون الطاقة الاستيعابية للإنسان أكبر من متعلقها المتمثل بالدنيا وجميع الأمور الاعتبارية، فلا يقنع بكل ما يحصل عليه منها، فإنه سوف يُصاب بسبب ذلك بالإحباط والقلق وما إلى ذلك من مختلف أنواع الأمراض الروحية والنفسية، ومن ناحية أخرى، فإن محدودية الهدف ومتعلق الميل والنزعة، والرغبة الجامحة والمطلقة وغير المحدودة لدى الإنسان يؤدي بدوره إلى التضاد الاجتماعي. وإن من جملة منافذ الشيطان لحرف الإنسان عن الصراط المستقيم هو العمل على توظيف رغباته وميوله اللامحدودة في سلوك الطرق غير الصحيحة. إن خلق حالة من الربط غير المتناغم بين النزعة الإنسانية إلى المطلق، وبين متعلقها الدنيوي المحدود يؤدي إلى ضلال الفرد وانحرافه عن جادّة الصواب، وخضوعه إلى الشيطان وتسليم القياد له. قال الله تعالى:

ـ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى﴾[1].

ـ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[2].

وأنّ الذي يمكن له أن ينجيه هو مراعاة التناسب بين نزعته وميله إلى الأبدية والخلود، وبين متعلق هذه النزعة، فإن التناغم بين هذين الأمرين هو وحده الذي يضمن السعادة لبني البشر. وإن منطق القرآن الكريم يقول: إن كل ما يعود إلى الله وينشأ عنه يتصف بالبقاء والخلود، ولذلك فإن الخلاص من حبائل الشيطان رهن بالتمسك بهذه الأمور. وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

---

١. طه: ١٢٠.

٢. الأعراف: ٢٠.

- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[١].
- ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢].

إنّ هداية النزعة إلى الله وسائر مظاهره المتمثلة بالحقائق والفضائل وأنواع الجمال والخير وما إلى ذلك في ضوء التعاليم الدينية والنظام التربوي، تشكل سبباً في هدايتنا وتكاملنا في مسير القرب من الله سبحانه وتعالى.

٥. تنمية النزعة إلى اكتساب الكمال

يرغب كلّ إنسان بالتقدّم بطريقة ما، وأنّ ينتقل من واقعه الراهن إلى واقع أفضل. فإنّ النزعة إلى الانتقال من المرحلة السفلى إلى المرحلة العليا ضاربة بجذورها في الطبيعة الإنسانية الفطرية. وأنّ صراع الإنسان في الحياة من أجل تغيير واقعه في مختلف شؤون الحياة، يأتي في سياق تلبيته لميوله الباطنية المتحفّزة لإحداث التغيير في الحياة. وعلى الرغم من أن كل تحوّل أو تغيير لا يؤدّي بالضرورة إلى التكامل والتقدّم نحو الأفضل، إلّا أنّ الذي يدعو إلى الحركة على كل حال هو الحافز الكامن لدى الإنسان في الوصول إلى الوضع الأفضل، ويمكن لنا أن نقول بكل ثقة: لو لم تكن النزعة إلى الكمال والميل إلى التقدم والحصول على الواقع الأفضل قائماً بوصفه أساساً للحركة، لما شهدنا أيّ نشاط تكاملي على مستوى الحياة أبداً.

الدافع والحافز ... الحركة والنشاط ... الحصول على الوضع المنشود

إنّ دور الحافز ليس مجرّد دور بدائي بحيث يقتصر تأثيره في المرحلة الأولى وقبل القيام بالحركة، بل إن تأثيره يمتد حتى بلوغ النتيجة المنشودة.

---

١. الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧.

٢. القصص: ٦٠.

إن تحليل الدافع بوصفه العامل الرئيس في استمرار الحركة، يتجه بنا إلى عاملين وهما: عامل الرغبة والميل (الميل إلى الكمال)، وعامل المعرفة (تطبيق النزعة إلى الكمال على مصداق معيّن). وإن هذين العاملين والعنصرين مترابطان ويعملان على توفير الطاقة الضرورية للتحرك والانطلاق باتجاه الهدف المنشود والمطلوب.

وإن الحركة تتوقف في حالتين، وهما:

١. عندما يصل الإنسان إلى نتيجة مفادها أنّ الهدف الذي ينشده لم يعد موصلاً إلى الكمال، وعليه لا تعود هناك من حاجةَ إلى السعي من أجل بلوغ ذلك الهدف.

٢. عندما يتمّ الوصول إلى النتيجة المطلوبة والغاية النهائية.

إنّ نزوع الإنسان إلى الكمال لا يتوقف عند تحقيق نتيجة واحدة؛ لأن العامل الرئيس في خلق الحافز لن يتلاشى على الاطلاق، وأنّ جميع الحركات والأنشطة واختيارات الانسان معلولة لنزعته وميله إلى الكمال.

وأنّ المراد مما يقال: إن أحد الأهداف الوسيطة لتنمية النزعة إلى الكمال لدى الإنسان، ناظر إلى عامل النزعة والميل، والعامل المعرفي الكامن في الدافع. يقوم المسار التربوي في الدين على محور تعزيز عامل الميل والنزعة إلى الكمال، وإن الانسان إنما يتمكن من بلوغ القرب من الله إذا سعى إلى بسط كماله الوجودي. وحتى الميول الأخرى من قبيل: معرفة الحقيقة، والبحث عن الله، والفضيلة، إنما يمكن تبريرها وتفسيرها بالاستناد إلى هذا الميل والنزعة، ولو لم تكن النزعة والميل إلى الكمال موجوداً لدى الإنسان، لما كان هناك من معنى للنزوع إلى معرفة الحقائق والفضائل والخالق الذي هو مصدر جميع الكمالات.

إنّ الهداية الدينية ناظرة إلى العامل المعرفي الكامن في الحافز والدافع،

والـذي يـساعدنا فـي انتخـاب واختيـار الكمـالات. إن دور الـدين فـي هدايـة وتوجيه نزعة الإنسان إلى الكمال يؤدي به إلى عدم تضييع طاقته الداخلية فـي الأمـور الدنيئـة والفانيـة. وإن كمـالات مـن قبيـل: العلـم والمعرفـة، والفـضائل الأخلاقية، ومعرفـة الحقيقـة، والبحـث عـن الله، هـي مـن المـوارد التـي يؤكّـد الدين على ضرورة تحصيلها واكتسابها. وإن مظاهر الدنيا تعتبر من وجهة نظـر القـرآن وسـيلة للانحـراف عـن مـسيرة الكمـال، وإنهـا تـؤدي إلـى الـضلال والضياع، وبعكس ذلك فإن كلّ ما يتصل بالبعد الأبـدي مـن الإنـسان أو الله، يُعدّ من مظاهر التقرّب من الله سبحانه وتعالى، من قبيل: التقوى والصبر والتوبة والصيام والصلاة، وكذلك الأعمال الاجتماعية الصالحة من قبيل: الـصلح بـين الخـصوم والتـصدّق ومـساعدة الفقـراء والمـساكين، وكفالـة الأيتـام، ورعايـة حقوق الآخرين. وهناك الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي رصدت هـذه الموارد، وإليك عرض لهذه الآيات على النحو الآتي:

ـ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.[1]

ـ ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾.[2]

ـ ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.[3]

ـ ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾.[4]

---

١. آل عمران: ١٤ ـ ١٥.

٢. النساء: ٧٧.

٣. الزخرف: ٣٢.

٤. الكهف: ٤٦.

ـ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾.[١]

ـ ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾.[٢]

ـ ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾.[٣]

ـ ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.[٤]

ـ ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[٥]

ـ ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾.[٦]

ـ ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.[٧]

ـ ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[٨]

ـ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[٩]

ـ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[١٠]

ـ ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.[١١]

---

١. الأنعام: ٣٢.

٢. هود: ٨٦

٣. البقرة: ١٩٧.

٤. الأعراف: ٢٦.

٥. النساء: ٢٥.

٦. النحل: ١٢٦ ـ ١٢٧.

٧. التوبة: ٣.

٨ البقرة: ١٨٤.

٩. الجمعة: ٩.

١٠. الحج: ٧٧.

١١. النساء: ١٢٨.

- ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾.[١]
- ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[٢]
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾.[٣]
- ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾.[٤]

إن جعل الله هو المحور في المنطق القرآني، وجعله هو القبلة والغاية في مسيرة الحياة يشتمل على جميع هذه الكمالات، وإن كل واحد من هذه الأمور تعتبر مظهراً ونموذجاً لها. وإن سرّ نجاحنا يكمن في قربنا من الله. قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.[٥]
- ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[٦]
- ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ﴾.[٧]
- ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.[٨]

٦. تنمية النزعة إلى الحياة الاجتماعية

إنّ لمنشأ نزوع وميل الإنسان إلى إقامة الارتباط مع الآخرين ـ أياً كان نوعه ـ ظهوراً واسعاً. فإننا لو استعرضنا المظاهر الواسعة لارتباط الناس ببعضهم

---

١. آل عمران: ١٨٠.
٢. البقرة: ٢٨٠.
٣. البقرة: ٢٢٠.
٤. الإسراء: ٣٥.
٥. طه: ٧٣.
٦. النحل: ٩٥.
٧. آل عمران: ١٩٨.
٨. يونس: ٥٨.

منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا، سندرك أن هناك نوعاً من الميل والنزعة لدى الإنسان باتجاه توثيق الأواصر الاجتماعية والعلاقات فيما بينه وبين أخيه الإنسان. وأما منشأ ومصدر هذه النزعة، وما إذا كان متمثلاً بالفطرة أو الغريزة أو الحاجة الفردية، فهو موضوع آخر[1]. وعلى كلّ حال، فإن اختلاف الرأي

---

١. هناك في هذا المجال ثلاث نظريات رئيسة، وهي:

١. إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، وإن النزعة الاجتماعية كامنة في وجوده. يقول أرسطو رائد هذه النظرية: إن صفة التكلم التي يتمتع بها الإنسان ويمتاز بها من غيره من المخلوقات تحكي عن طبعه الاجتماعي، (*تاريخ فلسفة ايران وروما*، كابلستون، فريدريك، ترجمة: إلى: جلال الدين مجتبوي: ٤٠١). كما يذهب مسكويه إلى الاعتقاد بأن الإنسان يميل بطبعه إلى الأنس بالآخرين، (*وتهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق*، مسكويه: ١١٨). وهكذا يذهب ألفرد إدلر ـ عالم النفس الشهير ـ إلى الاعتقاد بوجود نزعة فطرية بين الأفراد إلى الارتباط بالآخرين، وتظهر هذه النزعة في أول أمرها على العلاقة بين الأم ووليدها، ثمّ تتسع شيئاً فشيئاً لتصل إلى تأسيس الجماعات والعلاقات الاجتماعية المعقدة (*الدافع والحافز*، موري، إدوارد جي، ترجمة: محمد نقي براهني: ١١٦).

٢. ذهب بعض الفلاسفة وعلماء النفس إلى القول: إن ضرورة العيش وحاجة الفرد إلى الآخرين هي التي فرضت عليه اختيار الحياة الاجتماعية. قال الفارابي: إن الإنسان من الأصناف التي لا يمكنها تلبية ضرورات الحياة والوصول إلى أفضل الأوضاع الروحية إلا من خلال بناء المجتمع، (*سياسة المدنية*، الفارابي: ٦٩). وقال العلامة الطباطبائي في هذا الشأن: «إن معنى ما يقال من أنّ الإنسان مدني بالطبع هو أن ضرورات الحياة هي التي تقوده إلى الحياة الاجتماعية؛ لأنّه لا يستطيع وحده القيام بتلبية هذه الضرورات»، (*تفسير الميزان*: ٢/ ١٢١).

٣. هناك من المفكرين الآخرين من يرى أن الميول الاجتماعية مشتقة من الميول الأخرى مثل: صيانة الذات أو طلب الكمال. قال نصير الدين الطوسي في *الأخلاق الناصرية*: «إن النزعة الاجتماعية ناشئة عن النزعة إلى تحصيل الكمال الفطري».

أما القرآن الكريم، فقد أشار إلى وجود هذه النزعة في الإنسان، دون التطرّق إلى منشئها ومصدرها، وذلك إذ يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات/١٣).

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (الفرقان/٥٤).

في هذه المسألة لا يحول دون بحثنا من أجل التعرّف على حقيقة هـذه النزعـة الكامنة في وجود الإنسان، والعمل على تعزيزهـا وهـدايتها. إن أيّ واحـد مـن الآراء المطروحة في هذا الشأن، لا يعني إلغاء ونفي أصـل النزعـة المـذكورة؛ لأن كل واحد منها يـؤمن بوجـود أصـل النزعـة إلـى الحيـاة الاجتماعيـة، وإن الفارق الوحيد يكمن في مصدرها ومنشأ ظهورها. وعلى هذا الأسـاس، فحتـى لو سلّمنا إنكار أن يكون لهذه النزعة جذور فطرية وداخليـة، وقلنـا: أن المنـشأ لها هو مجرّد الحاجة الخارجية للإنسان، فـإن هـذا لا يغيّـر فـي أصـل المـسألة. وإن اهتمام الكثير من النصوص الدينية بهذه الناحية من وجـود الإنـسان يثبـت أهمية العلاقات الاجتماعية وتعاطي الأفراد فيما بينهم. ولو عمـدنا إلـى تقـسيم نشاط الإنسان إلى قسمين، وهما: النشاط الفردي، والنشاط الاجتماعي، سـنجد النشاط الاجتماعي والعلاقات بين مختلف الأفراد يحتَلُّ المـساحة الأكبـر مـن مساحة النشاط الفردي. فإن مختلف المؤسسات الاجتماعية المتنوعة من قبيل: الأسرة والمدرسة والجامعـة وغيرهـا تتـرك تـأثيراً كبيـراً علـى الحيـاة الفرديـة وتلقي بظلها على خيارات الانسان الشخصية. بحيـث يمكـن القـول: إن الكثيـر من الناس يقومون باتخاذ القرار بتأثير من عقائد الآخرين والثقافـة الاجتماعيـة التي يعاصرونها. لقد اعتُبـر الانفـصال عـن المجتمـع والاسـتغناء عـن خـدمات الآخرين ـ على طول التاريخ ـ أمراً مستحيلاً. إن الإنسان من أجل رفع حاجاتـه ـ سـواء فـي ذلـك الحاجـات المعاشـية أو الغريزيـة أو الروحيـة ـ مـضطر إلـى الانتساب لعضوية مختلف فئات المجتمـع، وعلـى الـرغم مـن ملاحظـة بعـض مظاهر الانفصال المؤقتة والمرحلية أحياناً، بيد أن الانقطاع الكامل والتام لا هو بالممكن ولا هـو بـالأمر المطلـوب والمنـشود. وإن تعزيـز الكثيـر مـن طاقـات وقابليـات الإنــسان مــن قبيــل: اللغــة والتفكيــر والعواطــف والمــشاعر، رهــين بالعلاقات والروابط الاجتماعية. إنّ تجنب العـيش فـي نطـاق المجتمـع يـؤدي

إلى عقم في بعض الطاقات وضعف ونقصان في بعضها الآخر. فمن باب المثال: إن كبح التقدم الطبيعي في مجال تعليم اللغة، يؤدي بدوره إلى خفض المستوى الفكري والذهني. وهذا الأمر يصدق بالنسبة إلى المشاعر والعواطف وحتى الأعمال الظاهرية للفرد أيضاً. وفي الإسلام تحظى مسألة تكوين شخصية الإنسان في إطار الحياة الاجتماعية بأهمية خاصة. إن موقف الإسلام بالنسبة إلى الحياة الاجتماعية للإنسان قد ترك تأثيره حتى على الكثير من الأعمال العبادية، وقد أكّد كثيراً على الأمور العبادية التي تقام بشكل جماعي. ومن هنا عندما تُطرح مسألة تنمية النزوع والميل إلى الحياة الاجتماعية من وجهة نظر الدين، يكون ناظراً إلى تقويته وتعزيزه، وناظراً أيضاً إلى توجيهه وهدايته. والمراد من التقوية والتعزيز هو تنمية هذه الناحية من وجود الإنسان بحيث يتمّ من خلالها القضاء على النزعة الفردية، والتشجيع على المشاركة في الأنشطة الاجتماعية مع الآخرين. وفي الحقيقة لو آل هذا النوع من الميول إلى الأفول، فإننا سنكون وجهاً لوجه أمام الكثير من الميول والرغبات المختلفة التي يشكل كل واحد منها عقبة كأداء أمام التقدّم. والمسألة الأخرى هي أنه لولا التعاون الجماعي لما قامت حضارة على الأرض أبداً. وفي ذلك روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

إنَّهُ لا بُدَّ لَكُم مِنَ الناس، إنَّ أحَداً لا يَستَغني عَن الناس في حَياتِهِ، وَالناسُ لا بُدَّ لِبَعضِهِم مِن بَعضٍ.[1]

إن النتائج والمعطيات العلمية والثقافية العظيمة رهينة بالتعاون الفكري والمشاركة الجماعية، فقد روي عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

المُؤمِنُ يَألَفُ وَيُؤلَفُ، وَلا خَيرَ فيمَن لا يَألَفُ ولا يُؤلَفُ.[2]

---

١. *وسائل الشيعة*: ٨/ ٣٩٩.

٢. *كنز العمال*: ١/ ١٤٢.

إن المعطيات التربوية الحاصلة من العلاقات الاجتماعية عبارة عن:

أ) **إزدهار الطاقات والقابليات الفردية**: لقد سلّح الله سبحانه وتعالى الإنسان وجهّزه بمختلف الطاقات والإمكانات، بحيث إن كلّ فرد يتمتع بسلسلة من القابليات والكفاءات الخاصة، وليس الأمر بحيث إن عامة الأفراد يتمتعون بكامل الإمكانات التي تُمكّنهم من الحياة ورفع الحاجات بشكل منفرد عن الآخرين. إنّ تلاحم جميع أفراد البشر واتحادهم لا يؤدي إلى تلبية جميع حاجات الناس المتنوّعة فحسب، بل إن ذلك سيعد الأرضية لازدهار وتطوّر قابلياتهم وكفاءاتهم أيضاً. بحيث يمكن القول: إنّ المعطيات العلمية والصناعية والثقافية للإنسان مدينة لقبول الأفراد بالعيش في إطار المجتمع، ولولا ذلك لما توصلنا اليوم إلى مثل هذه الحضارات والثروات الراهنة.

ب) **التحرر من محورية الذات وتنمية روح التعاون والإخاء**: إن تعزيز وتقوية تنمية النزعة والميل إلى الحياة الاجتماعية يساعد على تقريب الإنسان من سائر إخوته في الإنسانية، والابتعاد عن متطلباته ورغباته الشخصية والأنانية. إن احترام كفاءات الآخرين ورعاية حقوقهم، يجعل من استثمار طاقاتهم أمراً ميسوراً، ويمهّد الأرضية لاستعراض المهارات الفردية، ويشجع على الابداع والابتكار. وعلاوة على ذلك، كلما كان الارتباط الإجتماعي وثيقاً، كان النزاع بين الناس قليلاً، ومن هنا ينخفض احتمال الحروب، وتحلّ الألفة والرحمة محلّ البغضاء والتشاحن والفرقة. وفي ذلك قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]. لقد أكّد الإسلام على التواجد في الساحة الاجتماعية بحيث اعتبر

١. آل عمران: ١٠٣.

عبادات من قبيل: الصلاة ـ التي هي عمود الدين ومن أبرز الأعمال العبادية والاتصال بين الله والإنسان ـ إنما تحصل على صورتها الأكمل إذا أقيمت بشكل جماعي، ومن هنا فإن صلاة الجمعة والجماعة تعدّ من أهم الشعائر الإسلامية.

إن ثبات واستحكام العلاقات والروابط المتبادلة بين الناس إنما يُكتَب لها الدوام إذا اتّسمت بالكيفية المقبولة. فإن علاقة الناس ببعضهم لا تُبنى على أساس الغرائز كما هو شأن سائر الحيوانات. فالحيوانات تَبني علاقاتها ببعضها على أساس من غرائزها، وأما خارج حدود هذه الغرائز فلا يوجد أي مفهوم أو معنى لهذه العلاقات. وأما بالنسبة إلى الإنسان فإن حدود العلاقات تتخطى النزعة الغريزية، حيث هناك عنصر آخر يلعب دوراً كبيراً في توثيق وتعزيز واستمرار العلاقات والروابط بين أفراد البشرية، فإذا حذفنا هذا العضر من دائرة العلاقات الاجتماعية، فإن الجو السائد في هذه العلاقات سيؤول نحو البرود والضعف، وسوف تقتصر العلاقات والروابط على الأمور الغريزية والمعيشية فقط. وليست هذه العوامل سوى نزعة الانسان إلى ترجيح كفّة الحياة الاجتماعية. وفي الحقيقة فإن هذا العنصر أوالعامل يؤدي إلى توثيق العلاقات واستمرارها. وحيث توسعت واشتدّت أبعاد هذا العامل الداخلي بحيث يعتبر الفرد الآخرين بمنزلة نفسه، فيحبّ لهم ما يحبّ لها، فإن استمرارها وبقاءها سيكون أكثر استقراراً وثباتاً. وإن الإيثار والتضحية من الأمثلة البارزة والكاملة على تقوية وتعزيز هذا البعد في كيان الإنسان. إن الألفة والعلاقة بين المؤمنين رهينة بالابتعاد عن المنّ والأذى والأنا، وإن محور هذه الألفة والأخوّة هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى. فإن العنصر الذي يُجنِّب الانسان الأنا والنفعية، ويعزز لديه النزعة إلى الحفاظ على مصالح المجتمع العامة وترجيح كفتها على مصلحته الشخصية هو الإيمان بالله الذي يحثّه على الاهتمام بهدف واحد والتوجه إلى نقطة واحدة محدّدة. قال الله

تعالى في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١]. وعليه فإن الإيمان بالله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يضمن التأليف بين القلوب، وهدايتها إلى التوجه نحو الهدف والغاية الوحيدة المتمثلة بالله تبارك وتعالى. فلو حلّت الثروة والجاه والمناصب وسائر المظاهر الدنيوية الأخرى محل الله تعالى، وصار كل شخص يسعى الضمان منفعته الخاصة، فلا محالة من وقوع التعارض بين مختلف المصالح، وعندها سوف تستعر نار الفرقة والخلاف في المجتمع. وفي ذلك روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

إتّقوا اللّه وَكونوا إخوَةً بَررَةً، مُتحَابّينَ في الله، مُتَواصِلينَ مُتَراحِمينَ، تَزاوَروا وَتَلاقُوا وتَذَاكَروا أمرَنا وأحيوهُ».[٢]

وعلى الرغم من تأكيد الإسلام على توسيع وتعزيز روح التعاون، إلّا أنّه ليس كل تعاون ينتهي بالضرورة إلى تحقيق الأهداف المتعالية، وعليه ليس هناك من شك في أنّ التعاون في إطار تحقيق الأهداف والغايات الخبيثة، لا يمكن أن تندرج في إطار خدمة الإنسانية والعمل لصالحها. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣].

وعليه فبالالتفات إلى هذين العنصرين اللذين تمّ التأكيد عليهما من قبل الدين، وهما:

١. السعي إلى إيجاد الألفة والتراحم بين المؤمنين وتعزيز روح الأخوة بين الناس.

---

١. الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣.

٢. الشيخ الكليني، *أصول الكافي*: ٢/ ١٤٠.

٣. المائدة: ٢.

٢ ـ السعي إلى توجيه وهداية التعاون نحو الهدف المتعالي.

يمكننا بعد ذلك أن نعمل على تحديد أسلوب إقامة الارتباط والعلاقات مع الآخرين. وإن الملاك والمعيار في تحديد سياسة العلاقات والروابط في المجتمع الديني لا يتجاوز شيئاً واحداً، ألا وهو القرب من الله سبحانه وتعالى. وفي النظرة الأولى يقوم التصوّر على إمكان التقرّب من الله على نحوين، وهما: الطريقة الفردية، والطريقة الجماعية. أما الشِقُّ الأول ـ أي الحركة الفردية ـ فهو منبوذ ومرفوض؛ وذلك لأن التكاليف الدينية أثقل وأشد من أن يتمكن الفرد لوحده من القيام بها على النحو المطلوب. وأما الشِقُّ الثاني ـ أي الحركة الجماعية نحو الهدف المنشود ـ فإنه يؤدي بنا إلى المسير على جادّة القرب من الله، ويُعدّ الأرضية لكمالنا. يمكن لنا ـ من جميع النصوص الدينية الواردة في هذا الباب ـ التوصل إلى الدور الفريد والفذ الذي تلعبه الأنشطة الجماعية من أجل الوصول إلى الأهداف المتعالية. إن النظام التربوي الديني يؤكد على بناء الألفة والتعاون الهادف، ويساعدنا على اختيار الجليس الصالح. فإن الدقة في اختيار الخَدِين الذي يمكنه مواكبتنا في مسير القرب من الله يعدّ في غاية الأهمية من وجهة نظر الدين.

لقد تم إطلاق كلمة (الإخوة) في القرآن الكريم على صنفين من الناس، وهما: الصنف الذي تربطه رابطة الأخوّة النسبيّة، والصنف الذي تربطه رابطة الأخوّة الأنسانية، ولكنه مع ذلك يتمتع برابطة وثيقة تجعل العلاقة القائمة بين أعضائها قوية ولصيقة جداً. وقد أطلق القرآن الكريم على هذا العامل عنوان (الإيمان)، مؤكداً على ضرورة عنصر التآخي والمودة بين المؤمنين، وذلك إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

---

١. الحجرات: ١٠.

﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[١]. وقد تمّ بيان أهمية الميل والنزعة القلبية إلى مواكبة الراكعين والصادقين والعابدين والمجاهدين والمهاجرين والشاهدين والدخول في الواحة الأبدية ومجاورة الأبرار، والبدء بالحياة الخالدة مع الصالحين، في القرآن الكريم بشكل بليغ للغاية، وذلك إذ يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٢].
- ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٣].
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٤].
- ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٥].
- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنْكُمْ﴾[٦].
- ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[٧].
- ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾[٨].
- ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٩].

---

١. التوبة: ١١.
٢. البقرة: ٤٣.
٣. آل عمران: ٤٣.
٤. التوبة: ١١٩.
٥. الكهف: ٢٨.
٦. الأنفال: ٧٥.
٧. آل عمران: ٥٣.
٨. آل عمران: ١٩٣.
٩. يوسف: ١٠١.

من هنا فإن الشرط الرئيس في اختيار الخَدِين والجليس هو قياس مقدار تعهده ووفائه للهدف الغائي المتمثل بالقرب من الله سبحانه وتعالى. وقد رُوي عن النبيّ الأكرمﷺ أنه سُئل: من هو الجليس الصالح؟ فقال: «مَن يُذَكِّرُكُمُ اللهُ برُؤيَتِهِ، وَيَزيدُ في عَمَلِكُم مَنطِقُهُ، وَيُرَغِّبُكُم في الآخِرَةِ عَمَلُهُ»[1]. كما أن تأكيد القرآن الكريم على تجنّب مصاحبة الظالمين والكافرين والمنافقين يثبت أهمية الشخصية الأخلاقية والروحية للانسان الذي نختاره بوصفه جليساً وصديقاً، قال تعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2].
- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[3].
- ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾[4].
- ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[5].

٧. تنمية النزعة والميل إلى الدفاع

إنّ من بين الميول التي يمتاز بها الإنسان، سعيه إلى الحفاظ على إنجازاته الشخصية والاجتماعية والدفاع عن تلك الإنجازات. وأما البحث فيما إذا كان منشأ هذا الدفاع والحفاظ على هذه الإنجازات فطرياً أم غريزياً أم له مناشئ

---

١. الحر العاملي، *وسائل الشيعة*: ٨/ ٤١٢.
٢. الأعراف: ٤٧.
٣. الأنعام: ٦٨.
٤. هود: ٤٢.
٥. النساء: ١٤٠.

أخرى، فهي مسألة أخرى. فإن ما هو المهم هنا بالنسبة لنا هو تأثير هذه النزعة والميل في مختلف الأبعاد الفردية والاجتماعية. يسعى كل شخص ـ ما أمكنه ـ إلى القيام بردود فعل تجاه السدود والموانع بغية الدفاع عن نفسه والتغلب على الموانع. ذلك أن التقاعس عن مواجهة هذه الموانع سوف يستتبع الندم وعذاب الضمير، في حين أن النجاح في التغلّب عليها سيؤدي إلى الرضا والسعادة. لا يمكن إنكار الدور الخاص الذي تلعبه الأنشطة الدفاعية في ضمان الأمن وخلق الأرضية والظروف المناسبة من أجل الوصول إلى الكمال في سائر المجالات والحقول الأخرى. فلو أنه تمّ إلغاء عناصر الدفاع والوقوف بوجه الهجمات الخارجية من حياة الإنسان، فإن ذلك سيؤدي إلى زعزعة الأوضاع الآمنة، ولن تكون هناك إمكانية لممارسة الأنشطة الفردية والاجتماعية، وإن الأمل بالغد والمستقبل المشرق بالنسبة إلى مختلف المجالات، سيتحول إلى إحباط ويأس وانعدام للأمل. إن التخلّص والتحرر من القوى المهاجمة والعناصر التي تهدد وجود الانسان الذي يطمح إلى الكمال والقرب من الله، أمر لا يمكن اجتنابه. إن تاريخ الإنسانية مفعم بالحروب والنزاعات بين جناحي الحق والباطل. وهي حروب تتخذ كل يوم أشكالاً متنوّعة ومختلفة. فكل شخص يروم الوصول إلى أهدافه ونواياه يضطرّ إلى ضمان الأمن في دائرة نشاطه. خلاصة الأمر أن استمرار حياة الإنسان رهن بضمان الأمن الخارجي، ولا يمكن تحقيق هذا الأمن إلا في ظلّ وجود قوّة دفاعية موثوقة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هو المراد من هدفية تنمية النزعة إلى الدفاع في سلسلة الأهداف الوسيطة؟ فهل المراد من إدراج هذا الدفاع ضمن سلسلة الأهداف الوسيطة، يعني تحقيقه وفعليته؟ وبعبارة أخرى: إن اعتبار أمرٍ ما هدفاً يعني الاتجاه نحو تحقيقه والوصول إليه،

وأما فيما يتعلق بالهدف الأخير، فكيف يمكن توجيه هذه النزعة؟ في الإجابة عن هذا السؤال، يجب أن نقول: إن المنظور فيما يتعلق بالأهداف الوسيطة ليس هو مجرّد النزعة إلى الدفاع فقط، حتى يكون هذا الإشكال وارداً، وإنما الهدف هو نفس الدفاع الذي هو رهن بعوامل أخرى من قبيل: الهجوم الخارجي. وإن هذا النوع من الأهداف لا يحدث أي ميل لدى الإنسان، وإنما هو مجرّد ردّة فعل طبيعية وفيزيقية تحصل من تلقائها عند احتدام النزاع المتبادل. وإن ما هو الغاية المنشودة هو تنمية النزعة إلى الدفاع وصدّ العدوان، وليس نفس الدفاع. التنمية بمعنيين: تعزيز نزعة النفس إلى الدفاع، والعمل على توجيه وهداية هذه النزعة). إن وظيفة هذا الهدف تكمن في إعداد الأرضية للحصول على الأهداف الوسيطة الأخرى، وتجعل الحياة أكثر أماناً واستقراراً. إن تحليلنا للهدف الدفاعي يوصلنا إلى هذه الحقيقة وهي أن الميول الإنسانية نحو الحفاظ على مختلف الإنجازات وإحياء الأمل باستمرار النشاط، أضحى سبباً في إيجاد هدفٍ مستقل في عرض الأهداف الأخرى. وإن دور هذا الهدف بالمقارنة إلى الأهداف الوسيطة الأخرى، وحتى السلوكيات الجزئية، يكمن في توفير الأمن بغية تحقيقها على نحو أفضل. وعليه فمن خلال المقارنة بين مختلف الأهداف الوسيطة نصل إلى نتيجة مفادها أن مطلوبية الهدف الدفاعي ليست ذاتية، بل إن هذا الهدف يمهّد الأرضية لظهور الأهداف الأخرى، فإنه يمثل بالنسبة لها مطلوبية آلية، خلافاً لسائر الأهداف الوسيطة الأخرى التي تحتوي على قيمة ذاتية.

إن الدفاع في مواجهة الهجوم والصمود أمامه من أجل الحفاظ على القيَم الدينية المنشودة، يعتبر من بين الأمور التي تمّ التأكيد والحثّ عليها في النصوص الدينية. فمن وجهة نظر القرآن الكريم يُعدّ تعزيز وتوظيف هذه

الناحية من الميول، عنصراً هامّاً في الحيلولة دون ظهور الفساد في الأرض. قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١].

- ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢].

- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٣].

- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[٤].

لو أن الانسان تجنب الدفاع في مواجهة غزو القوى التي تروم الفساد في الأرض، فإن الأمر لن يقتصر على هدم المعابد التي هي مظهر الاتحاد واجتماع كلمة المؤمنين بالله فحسب، بل سيعمّ الفساد جميع أنحاء الكرة الأرضية. وعليه فإن استمرار القيم الفردية والاجتماعية وتعزيزها رهن بالدفاع عنها، وإن أي تقصير في هذا المجال يعني زوالها وانهيارها. ومن هنا نجد الله سبحانه وتعالى يحث النبي الأكرمﷺ على تحريض المؤمنين وتشجيعهم على الجهاد والدفاع عن حياض الدين، وذلك إذ يقول تعالى:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾[٥].

وكما أن الله تبارك وتعالى من جهة يشمل الذين يقاتلون الغزاة وحملة رسالة الشرك والكفر، بمحبّته ورعايته الخاصة، إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ

---

١. البقرة: ٢٥١.

٢. الحج: ٤٠.

٣. الحج: ٣٩.

٤. الحج: ٣٨.

٥. الأنفال: ٦٥.

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[١]. نجده في الجانب الآخر يؤاخذ الذين يضيعون حياتهم ولا يحافظون على حيثيتهم الدينية والإنسانية، وذلك إذ يقول الله تبارك وتعالى:

- ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾[٢].

- ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٣].

وبالإضافة إلى تعزيز وتقوية أصل الميل والنزعة إلى الدفاع، فإن هداية وتوجيه هذه النزعة مأخوذة بنظر الاعتبار أيضاً. إن جميع الآيات القرآنية الواردة في هذا المجال تدل على توجيه هذه النزعة نحو المواجهة مع الكفر والشرك والنفاق. من هنا يجب أن يكون المعيار في توجيه هذه النزعة هو مواجهة غزو الكفر والشرك المدفّر والحيلولة دون قوّة شوكتهما. ولذلك نجد القرآن الكريم يأمرنا بالدفاع عن أنفسنا، ومواجهة الكفار والمشركين والمنافقين. وهناك من الآيات ما يدل على وجوب مواجهة غزوهم وضرورته، إذ يقول تعالى:

- ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٤].

- ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٥].

وليست هذا فحسب بل ترى مجرّد وجود أئمة الكفر والشرك والذين

---

١. الصف: ٤.

٢. النساء: ٧٥.

٣. البقرة: ٢٤٦.

٤. البقرة: ١٩٠.

٥. التوبة: ٣٦.

يعاندون المؤمنين ويحاربونهم خطراً على المؤمنين وعباد الله، وأمر بجهادهم. قال الله تبارك وتعالى:

- ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1].

- ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[2].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[3].

إنما تمّ التأكيد في القرآن الكريم على ضرورة مجاهدة الأعداء، لكونهم مصدر الفتنة، حيث سيكونون سبباً في حرف أفراد الإنسانية عن جادّة الصواب، ومن هنا يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[4].

٨ تنمية النزعة إلى الجمال

إن من بين الأمور التي ينزع إليها الإنسان، هو الفن والجمال. فهذه النزعة موجودة عند جميع الناس، حيث يميل كل إنسانٍ بنحو من الأنحاء إلى الجمال، وينفر من القبح. وإن رغبة الناس وشوقهم إلى الجمال خير شاهد على وجود هذه النزعة الباطنية الكامنة في وجودهم. وإن اللذة الحاصلة من هذا البعد من النزعة الموجودة لدى الإنسان، قد أفضت إلى ظهور مختلف الأنظمة المتنوعة والآثار الفنية المختلفة. وإن إنجاز الآثار الفنية من قبيل: الموسيقى والرسم والعمارة

---

١. النساء: ٧٦.

٢. التوبة: ١٢.

٣. التوبة: ١٢٣.

٤. البقرة: ١٩٣.

والشعر والأدب والاهتمام بالمظاهر الفنية، مدين إلى نزعة الإنسان الداخلية نحو هذه الآثار الفنية ومواهبها الإبداعية. إن الفن قد دخل اليوم في صلب الثقافة والأمور المعنوية بشكل عام، بحيث لو أننا جرّدنا الفن من حياة الإنسان، سنكون قد حرمناه من الغذاء الروحي والنفسي والوجداني.

إن الإنسان كما ينمّي عقله من خلال توظيفه لأدوات العلم والتفكير وممارسة العملية التعليمية، فإنه إلى جانب ذلك يصقل مشاعره وعاطفته من خلال تنمية إحساسه بالفن والجمال. من هنا فإن نزعة الإنسان إلى الجمال والأعمال الفنية تضرب بجذورها في أبعاد النفس الإنسانية، وإن أهمّ الشواهد على ذلك ما نراه في النشاط اليومي للإنسان. فإن اختيار أجواء الحياة، ونوع الثياب، والواسطة النقلية، والاهتمام بالتراث والآثار الفنية، يقوم على أساس الذوق الشخصي وتوظيف نوع من الشعور بالجمال. وإن اختلاف الناس فيما بينهم في النزعة إلى الجمال، يضرب بجذوره في اختلاف أذواقهم. فلربما يكون شيء مصداقاً للجمال، بينما يذهب شخص آخر إلى عدم رؤيته جميلاً. فإن الإجابة عن ماهية مصداق الجمال، وما إذا كان من الممكن تحديد معيار معيّن لمعرفة الجمال ـ يكون مقبولاً من قبل الجميع ـ أمر يعود إلى فلسفة معرفة الجمال. أما بحثنا فيدور حول وجود هذه النزعة لدى جميع الناس، وظهورها في دائرة نشاطهم وميولهم. وعليه فما هو المراد من كون هداية النزعة إلى الجمال من الأهداف الوسيطة؟ وهل إذا فصَلنا هذه النزعة من سلسلة ميول الإنسان، سيحدث خلل في مسار حركته نحو الهدف النهائي المتمثل بالقرب من الله سبحانه وتعالى؟ إن أنشطة الإنسان الموجهة للقيام بالأمور واختيارها بشكل أفضل وأجمل، ورعاية التناسب الذوقي والمزاجي إنما يمكن تبريرها وتفسيرها في ضوء الميول الباطنية والنزعة الداخلية إلى الجمال. إن إرجاع هذا النوع من النشاط البشري إلى النزعة الداخلية، يحكي

عن نوع من البحث عن العلل والأسباب البنيوية. إن نزعة الإنسان إلى الجمال تتناسب ونظام الخلق في العالم، فإذا كان المرء طالباً للجمال فإن في العالم الخارجي ما يلبي له هذه الحاجة الروحية ويشبعها. إن الأبعاد العاطفية لدى الإنسان تمثل بعداً من أبعاده الوجودية الهامّة. وإن الكثير من التعلقات والوشائج والتوجهات الإنسانية مرتبطة بقيَمه العاطفية، التي يمكنه من خلالها العمل على تلبية حاجاته العاطفية. ليس الإنسان مجرّد كائن عقلاني بحت، لا وجود في حياته لغير القياسات العقلية والرياضية، بل إنه يحتوي ـ بالإضافة إلى ذلك ـ على روابط ومشاعر وعواطف جياشة واقعة تحت تأثير حبّه للجمال. وإن الجمال المادي والمعنوي عنصران يعملان على ربط جانب كبير من العلاقات الإنسانية التي يعبر عنها بالعلاقات العاطفية، ولها حكم البلاط في إيجاد هذا النوع من العلاقات. ولو أننا فصلنا هذين العنصرين عن العلاقات الإنسانية والعاطفية، فإن النشاط البشري سيصاب بالتصدّع، وهذا بدوره سيؤول إلى فنائه؛ لأن الإنسان لا يستطيع العيش دون علاقات عاطفية. وعلى هذا الأساس يكون للإهتمام بهذه النزعة تفسيرٌ وتبريرٌ عقليٌّ ومنطقيٌّ، وإن طيفاً واسعاً من الأنشطة الروحية (المشاعر والعواطف) للإنسان ناجم عن وجود هذا النوع من الميول. وإن الحالة الكامنة في هذه النزعة بوصفها هدفاً وسيطاً ينظر إلى هداية وتوجيه دفّة هذه النزعة الداخلية على نحو أكثر منه إلى تقويتها وتعزيزها. من هنا فإن محور البحث الديني في هذا الباب هو تعيين نوع ومصداق الجمال، وهداية هذه النزعة الداخلية.

إن النزوع إلى الجمال ـ وإن كان كسائر الميول الأخرى ـ يؤدي إلى تكامل الإنسان وتساميه، إلا أنه في الوقت نفسه يشكل أرضية مناسبة لانحرافه أيضاً. فليسَ الإنحراف والضلال أمرين يُحملان إلى الإنسان من الخارج، بل إن عوامل الانحراف والضلال كامنة في قدرات الإنسان وقابلياته. وإن إحدى

هذه القدرات والقابليات تتمثل في نزعة الإنسان إلى الجمال. فإن الأدب والعمارة والنحت وسائر المظاهر الفنية الأخرى، كما يمكنها أن تكون وسيلة للتقرّب من الله، يمكن أن تؤدي إلى الانحراف والضلال أيضاً. فإن الميل إلى بعض أنواع الموسيقى والأشعار الفاحشة ـ وبشكل عام، الأعمال الفنية التي تصبّ في إطار إشاعة الفحشاء والفساد، يترك آثاراً سلبية على روح الإنسان ويهدم القيَم الدينية ويعدّ هذا النوع من الميل أحد الأسباب الهامة لانعدام العفّة وتضعضع الشخصية واضمحلال العواطف الإنسانية، وتَشتُّت كيان الأسرة. من هنا يذهب الدين إلى اعتبار ما كان مصداقاً للاستمتاع واللذة السلبية عاملاً وعنصراً من عناصر البعد عن الله، ولذلك فإنّ الدين يحذر الإنسان من مغبّة الوقوع في هذا النوع من اللذة المحرمة، ويأمره بإحياء شخصيته من خلال تشويقها إلى الآفاق المعنوية والروحية والعمل على توظيف هذه النزعة الداخلية في الاتجاه الإيجابي الصائب.

٩. هداية وتوجيه النزعة إلى التملّك

إن الميول والنزعات لدى الإنسان تنقسم إلى قسمين، فهناك منها ما يرتبط به مباشرة، وهناك منها ما يرتبط به على نحو غير مباشر. أما الميول التي ترتبط بالإنسان مباشرة، فهي تلك الميول التي لا تتوسط بينها وبين الإنسان أي واسطة، من قبيل: النزعة إلى البحث عن الله، والبحث عن الحقيقة، والنزعة إلى الخلود. وبطبيعة الحال فإن دائرة هذا النوع من الميول لا تنحصر بما ذكرناه في هذا الكتاب، وإنما تشمل بعض الميول الأخرى أيضاً، وهي على الرغم من عدم طرحها بوصفها أهدافاً وسيطة، إلا أن بإمكان مظاهرها وتجلياتها الخارجية أن تقع بنحوٍ من الأنحاء في سلسلة الأهداف الوسيطة. فمن باب المثال: إن حبّ الإنسان لنفسه وحبه لذاته أمر مركوز في قرارة كل

فرد. وإن هذه النزعة مستقرة في أعماق وجود الإنسان، وتتمتع بوافر من القوّة بحيث لا تحتاج معها إلى ما يجبر ضعفها بمزيد من الأعمال التربوية. وبعبارة أخرى: إن التعلق بالوجود ليس أمراً قابلاً للانحراف، حتى يصار إلى طرح مسألة الهداية بشأنه. وإن من بين مظاهر حب الانسان لذاته، مُحاولة حفظها من الحوادث الكارثية التي من شأنها أن تقضي على وجوده أو تسبب له نقصاً جسديّاً أو عقلياً أو ضعفاً في قدراته وإمكاناته. وفي الحقيقة فإن النزعة البشرية إلى حفظ النفس، والعمل على صيانتها، تدخل ضمن دائرة الميول التي ترتبط بوجود الإنسان بشكل غير مباشر. وإن موقع هذه النزعة في المجموعة الثانية يحكي عن دورها الوسيط وغير الذاتي. وعلى هذا الأساس فإن دور هذه المجموعة من الميول في وجود الإنسان ليس دوراً أصيلاً وأولوياً، وإنما هو مجرّد عنصر مودع في وجود الإنسان ليحفظ حياض أمر آخر وهو المتمثل بالنزعة الذاتية لحماية النفس وصيانتها. كما يجب علينا البحث عن مصدر حب الإنسان للتملك والحيازة في هذه النزعة الإنسانية الأصيلة والمتمثلة بحبّ الذات.

وحيث إن كل إنسان يحب نفسه، فإنه يسعى إلى الحفاظ عليها وصيانتها من البلاء والمصائب، ومن هنا فإنه يسعى إلى توسيع دائرة قدرته وقابليته، فكلما كان مستوى قدرة الانسان على حفظ نفسه أكبر، كانت حظوظ مقاومته ونجاحه في صدّ المخاطر عن نفسه عالية وكبيرة. وقد كان لهذا العنصر ـ على طول تاريخ البشرية ـ تأثير هام على علاقة الأفراد فيما بينهم، وإن صفحات التاريخ مفعمة بالنزاعات والحروب الدامية من أجل الحصول على مزيد من القدرة. وما أكثر الذين يجعلون من الحصول على المال والثروة هدفاً رئيساً في حياتهم، ويتصرّفون وكأنهم لا يُسغلهم أي اهتمام بالخسران الأبدي الذي يترتب على ذلك. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً

جَمًّا﴾[1]. والسبب في ذلك هو أن هذه النزعة المنشودة قد فقدت موقعها بوصفها وسيلة لحفظ الذات وواسطة لبلوغ الأهداف السامية. ومن هنا فإن الدور الإصلاحي للدين في هذا الباب يتجلى من خلال محورين:

١. تبيين موقع هذه النزعة في المسار الوجودي للإنسان.

٢. طريقة توظيف هذه النزعة.

ـ بيان موقع النزعة إلى التملك في المسار الوجودي للإنسان: إن كلَّ نزعة من النزعات الإنسانية تحظى بمكانة خاصة من وجهة النظر الدينية، فإن الدين يضمن للإنسان بلوغ الكمال والقرب من الله إذا وضّف تلك النزعات بالشكل الصحيح. وإن سعي الدين إلى هداية نزعة الإنسان إلى التملك، تأتي في هذا السياق أيضاً. فمن وجهة نظر القرآن، إن هذه النزعة تحظى بأهمية أكبر بالقياس إلى سائر النزعات الأخرى؛ إذ يرى القرآن أن حفظ حياة الإنسان وبقاء نسله رهين بتوظيف هذه النزعة في حدود الحاجة والمستويات الطبيعية. ومن هنا يعمد الدين إلى توجيه الإنسان إلى الاستفادة من هذه النزعة في الحدّ المعقول، وأن لا يجعل منها هدفاً وغاية مطمح له. ومن جميع الآيات القرآنية التي تدعو الانسان إلى التوظيف المعقول لهذه النزعة، نستفيد من النقاط التي سنعرضها فيما يلي تباعاً.

فمن وجهة نظر القرآن الكريم يعد حبّ المال والافراط في الاهتمام به مسألة تنسينا ذكر الله، وتجعلنا ننكص عن مواصلة التقرّب من الله عزّ وجل، وذلك إذ يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ

---

١. الفجر: ٢٠.

٢. المنافقون: ٩.

بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[١]. وإذا حلّت هذه النزعة مَحِلَّ التقرّب من الله، فإنها ستشكل حاضنة خصبة للانحراف والبُعد عن الهداية والفلاح، قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٢].

إن اكتناز الثروة لا يساعد المرء على عدم الافتقار فحسب، بل قد يسلبه حتى إمكان التقرّب من الله سبحانه وتعالى. وأنّ السبب الرئيس الذي يجعل الفرد ينساق وراء اكتناز الثروة، يعود إلى أن هذه الثروة يمكنها أن تعمل على صيانة الذات والمحافظة عليها. جدير ذكره أننا من خلال الأموال نستطيع تلبية جانب من احتياجاتنا، كي نوفّر الأرضية لكمالنا ورفعة حاجاتنا الوجودية السامية. إن توظيف النعم والمواهب الإلهية يرفع حاجاتنا الأولية (الفسيولوجية)، ويمهّد الطريق للتدرّج نحو المراحل والمراتب العالية، بيد أن الافراط في ذلك يؤدي إلى الإعراض والتخلف عن تحقيق الأهداف والأغراض الأساسية والرئيسة، من قبيل: النزعة إلى الخلود والبحث عن الله سبحانه وتعالى. وفي ذلك يقول الله في محكم كتابه الكريم:

- ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾[٣].
- ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[٤].
- ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾[٥].

---

١. الفتح: ١١.
٢. التوبة: ٢٤.
٣. الهمزة: ١ ـ ٣.
٤. المسد: ١ ـ ٢.
٥. الحاقة: ٢٨.

ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾[1].

ـ ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

وعليه، لا يسع الإنسان أن يلبّي حاجته ـ بوصفه كائناً ينزع إلى الخلود وطلب الحقيقة ـ من خلال التهالك على جمع الأموال واكتناز الثروة: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[3].

فمن وجهة نظر القرآن، لا يمكن للثروة والنزعة إليها أن تساعده على تلبية حاجته الرئيسة والجوهرية الكامنة في دفعه إلى التقرّب من الله سبحانه وتعالى:

ـ ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ﴾[4].

ـ ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ﴾[5].

ـ ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[6].

وعليه، يجب على الإنسان أن يستمتع بالأموال والثروات بحدود ماتقتضيه الطبيعة في هذا الوجود، وإن النظر إلى الأموال والثروات يجب أن يكون على نحو الطريقية دون الموضوعية.

---

١. آل عمران: ١٠.
٢. المجادلة: ١٧.
٣. سبأ: ٣٧.
٤. الشعراء: ٨٨.
٥. الحديد: ٢٠.
٦. الكهف: ٤٦.

إن شدّة تعلّق الإنسان بالثروة يبلغ حداً بحيث إن الله سبحانه وتعالى يجعله في مستوى حبّ الإنسان لأولاده. وعليه فإن الأموال والأولاد من الموارد التي توفر أرضية خصبة لتجاوز الأوامر الإلهية والانحراف عن سبل الهداية. ولكي يختبر الله الإنسان ويبتليه، فإنه يحدد له طريقة التلبية المعقولة لهذه النزعة ويبتليه بها، ليراه هل يشكر ويصبر أم أنه يفشل في الاختبار؛ فيغدو بطراً أو قانطاً. قال تعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[١].
- ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾[٢].
- ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

ـ **أسلوب توظيف النزعة إلى التملك:** إن أسلوب التعاطي مع مفهوم الثروة يترك تأثيره على مجموع النشاط الإنساني. إن اهتمام الدين بماهية الثروة بوصفها عنصراً مؤثراً في رفع الحاجة المعاشية للإنسان في الحياة الدنيا، من جهة، ونزعة الإنسان الذاتية إلى حفظ وصيانة الذات، وتوسيع رقعة قدرته ونفوذه، من جهة أخرى، أدى به إلى تقديم أحكام وقوانين توجيهية في غاية الأهمية والخطورة في هذا المجال.

يرى القرآن الكريم أنّ الانغماس المفرط في حبّ الثروة والتكالب عليها يزيد من تعرّض الإنسان للمخاطر والأضرار، وإن تجنّب ما من شأنه أن يزيد من فورة الميول النفسية المتدنية، يؤدي إلى تعزيز تهذيب النفس وتزكيتها. وأنّ الإنفاق من الأمور التي تؤدي إلى تهذيب النفس وتزكيتها وإعداد الأرضية سمّوا الانسان، وليست ذلك فحسب بل إنه كذلك يعمل ـ من خلال

---

١. التغابن: ١٥.
٢. آل عمران: ١٨٦.
٣. الأنفال: ٢٨.

رفع الحاجات الأولية للآخرين ـ على تمهيد الأرضية لهم كيما يرتقوا في مدارج الكمال والرفعة أيضاً. ومن هنا فإن الإسلام بشكل عام يرى ثمرة الإنفاق في ثلاثة أمور، وهي:

١. الحيلولة دون التعلق المفرط بالاموال، والذي يحول دون سمّو الإنسان ورقيّه في مدارج الكمال.

٢. رفع حاجات الآخرين.

٣. توفير الظروف التي تساعد الآخرين على الرقّي والكمال.

وعليه فإن للإنفاق دوراً إصلاحياً في المجتمع، حيث يؤدي إلى تهذيب النفس وتزكيتها، ومن هنا نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ـ ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾[2].

ـ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3].

وبطبيعة الحال، فإن الإنفاق المنشود للقرآن الكريم هو الإنفاق الذي لا يقترن بدافع غير حبّ الخير للآخرين والشعور بالمواساة لهم، بعيداً عن جميع أنواع التفاخر والرياء وحبّ الظهور في العلاقات الاجتماعية، ولذلك نجد تأكيداً كبيراً في القرآن الكريم على هذه الناحية، وذلك إذ يقول سبحانه وتعالى:

ـ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ

---

١. التوبة: ١٠٣.

٢. الليل: ١٨.

٣. البقرة: ٢٦٥.

أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

- ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[2].

من هنا فإنه وبالالتفات إلى هذه الحقيقة ندرك أن الهدف من الإنفاق لا ينحصر بمجرد رفع حاجات الفقراء، بل هناك بالإضافة إلى ذلك هدف أهم تمّ التأكيد عليه في التعاليم الإلهية بشكل خاص، ألا وهو تهذيب النفس وتزكيتها. وعليه فإن الذين يرون في أموالهم حقاً للآخرين، إنما هم أولئك الذين يجعلون هذا الهدف نصب أعينهم، ويتمتعون بإيمان صُلب وراسخ. قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[3].

- ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[4].

إن الذي يحصل عليه المرء من خلال الإنفاق وبذل الصدقة هو تسامي الروح وتكاملها، بيد أن ذلك يتبدد بمجرّد المنّ والأذى والتفاخر والشعور بالاستعلاء. وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[5].

وإن أهمية هذه المسألة تبلغ حداً بحيث إن إنفاق الأموال ـ مع مراعاة بعض الشروط الخاصة ـ يعتبر من وجهة نظر القرآن الكريم نوعاً من الجهاد في سبيل الله، وإنه وسيلة للتقرّب من الله سبحانه وتعالى:

---

١. البقرة: ٢٦٢.

٢. البقرة: ٢٦٣.

٣. الذاريات: ١٩.

٤. المعارج: ٢٤ ـ ٢٥.

٥. البقرة: ٢٦٤.

ـ ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

إنّ القاعدة العامة التي تحكم طرق الاستفادة الصحيحة من الأموال ـ كما يذكرها القرآن الكريم ـ تكمن في الابتعاد عن جميع أنواع التعاطي المحرّم من وجهة نظر الشرع المقدّس. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾[٣].

إنّ الإحجام عن ارتكاب الحرام في الاستفادة من الأموال ـ يعني عدم توظيفه في الطرق غير الصحيحة، واجتناب الظلم والعدوان على أولئك الذين استأمننا الله على حقوقهم ـ يبيّن لنا الخطوط العامة والعريضة لكيفية الاستفادة من الأموال. قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٤].

ـ ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[٥].

---

١. التوبة: ٤١.

٢. البقرة: ١٨٨.

٣. النساء: ٢٩.

٤. النساء: ١٠.

٥. النساء: ٢.

خلاصة القول: إنّ هناك ضوابط خاصّة تحكم النزعة إلى التملّك، وإنّ تجاوز تلك الضوابط سيؤدي بالانسان إلى الخروج والجنوح عن المسار الطبيعي الذي رسمه الله للحياة، وسوف يفضي بالتالي إلى البعد عن الله سبحانه وتعالى.

ج) تعزيز الإرادة:

لو أننا عمدنا إلى تحليل مختلف أبعاد وجود الإنسان، فسندرك أنّ لكل إنسان خصائص، وإن تلك الخصائص هي التي تقولب شخصية الإنسان بوصفه إنساناً. وإنّ هذه الأبعاد تتجلّى في المساحات الثلاث الآتية، وهي: المساحة العقلية، والمساحة العاطفية، والمساحة الإرادية. فلا وجود لهذه المساحات في أي كائن آخر كما نجدها لدى الإنسان. إن امتلاك النزعات العقلية في إطار المعرفة والميل إلى الحقيقة، والعناصر العاطفية التي توجد أرضية النزعة والميل إلى هذا البعد، تُعُد من خصائص وجود الإنسان. وهكذا الإرادة للقيام بالأمور عن وعي، إنما هي من الموارد التي لا نجدها إلا عند الإنسان. فالحيوانات وإن كانت تمتلك معرفة صورية وبدائية للغاية، حيث نشاهد أن لديها بعض العواطف الغريزية المحدودة، والإرادة على فعل بعض الأعمال الفيزيائية، بيد أن المستوى البدائي لهذه الأمور لا يمكن أن تقاس بالأبعاد المعرفية والعاطفية والإرادية الواسعة وغير المحدودة في وجود الإنسان. وقد سبق أن تعرّضنا إلى الأبعاد المعرفية لدى الإنسان والأهداف الوسيطة في هاتين الدائرتين من الناحية الدينية. وبغية تكميل البحث، ونظراً للأهمية الخاصة التي تتمتع بها مسألة الإرادة في الرؤية الدينية، سنعمد هنا إلى دراسة واستعراض النظريات الدينية بشأن هذا البُعد والشاخص الوجودي أيضاً.

نبدأ البحث من السؤال القائل: ما هو دور الإرادة في سلوكنا؟ وما الذي سوف يحصل إذا ألغينا الإرادة من تركيبة الإنسان الوجودية؟ وباختصار: ما هو دور الإرادة في أفعال الإنسان وردود أفعاله؟ للإجابة عن هذا النوع من التساؤلات، يتعيّن علينا أن نعمل قبل كلّ شيء على إيضاح وشرح حدود البحث. ولا بد من التذكير بهذه النقطة الهامة وهي أن البحث في ماهية الإرادة ومعرفة أبعادها وحقيقتها لا يدخل في مهام الأبحاث المذهبية والدينية. فإن هذه المعرفة يمكن الحصول عليها وإحرازها من طريقين، وهما:

١. الأسلوب العقلي والفلسفي.

٢. الأسلوب التجريبي والنفسي.

والذي نبحثه هنا هو مجرّد الرؤية الدينية بشأن أهداف التربية والتعليم، وبيان سبل الوصول إلى الكمال الفردي والاجتماعي. ومن هنا فإننا ـ لكي لا نبتعد عن دائرة البحث ـ سنطرح الأسئلة المرتبطة بالإرادة ـ بالالتفات إلى هذه الحقيقة ـ على النحو الآتي: ما هو دور الإرادة في أفعال الإنسان وسلوكياته؟ فهل يمكن لنا ـ من خلال إلغاء الإرادة والقول بالجبر فيما يتعلق بأعمال الإنسان ـ القول بإمكان الوصول إلى الكمال المنشود، وهو القرب من الله، واعتبار الإنسان مسؤولاً عن أفعاله، أم لا؟

إن هذا النوع من الأسئلة هو ما نسعى إلى الإجابة عنه في هذا البحث. لا شك في أن أساس الدين قد أقيم على اختيار الإنسان. فإنّ مفاهيم من قبيل: الهداية والثواب والعقاب تحكي عن رؤية الدين الخاصة تجاه الإنسان، إذ يعتبر كائناً مختاراً وذا إرادة، ويتمّ توجيه الأوامر والتكاليف إليه بالنظر إلى هذه الحقيقة. وبطبيعة الحال فإن هذه الرؤية الدينية لا تعني التصريح بوجود الإرادة والإختيار لدى الإنسان على نحو ما يتمّ بحثه في الفلسفة أو علم النفس، بل يمكن التوصّل إلى هذه الرؤية عن ماهيته من خلال النظر في

مجموع الخطابات الدينية الموجّهة إلى الإنسان. إن هذا النوع من قبيل السلوك الملائم في إطار التربية والتعليم في الرؤية التي نراها عند المذهب الوجودي، أو ما هو عليه المذهب الذي ينتهج السلوكية المتطرّفة. فكلا هذين المذهبين يخاطب الإنسان، مع فارق أن الوجودية تخاطبه بوصفه كائناً مختاراً وحرّاً ويتمتع بحق الانتخاب والاختيار، بينما نجد السلوكية المتطرّفة تخاطبه بوصفه مجرّد آلة مسلوبة الحرية والاختيار. وكذلك الدين عندما يواجه الانسان، يعتبره كائناً مدركاً ومختاراً في انتخاب هدفه ومساره. فإننا نواجه هذه الحقيقة في الكثير من الخطابات الدينية، حيث نجد أن بإمكان المرء أن يعمل على تحليل الأمور قبل القيام بها، ومع ذلك نجد الدين يحرص على إبقاء الباب مفتوحاً أمامه حتى بعد ارتكاب الأخطاء، للرجوع والاستدراك والتوبة والإنابة، الأمر الذي يثبت حقيقة ماهية الإنسان وكونه كائناً مختاراً في الرؤية الدينية. وذلك من قبيل قوله تعالى:

ـ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

ـ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيماً﴾[2].

ومن ناحية أخرى فإن العدل الإلهي يقتضي أن يكون الإنسان مستحقاً للثواب أوالعقاب، عندما يكون قادراً على انتخاب طريقه. وعليه فإن دور الإرادة في حياة الإنسان بوصفه كائناً مختاراً موضع اعتراف الدين وإقراره، وإن من بين الأمور التي يتم الاهتمام بها من قبل الدين هو عنصر الإرادة وقدرة الانسان على الاختيار والانتخاب. إن أكثر الأنشطة والأفعال التي تصدر عن الإنسان هي من النوع الإرادي والإختياري، ولهذا السبب يكون هو

---

١. آل عمران: ١٣٥.

٢. النساء: ١١٠.

المسئول الأول عن الأفعال الصادرة عنه. وإن مجموع المسائل الدينية المشتملة على الواجبات والمحرّمات الشرعية والعقلية، تسعى إلى بيان الأمرين الآتيين، وهما:

١. تحديد المسار الذي تتعلق به إرادة الإنسان واختياره، وما الذي يتعيّن عليه فعله في هذا المسار من أجل التقرّب من الله سبحانه وتعالى.

٢. تقوية النفس وتعزيز ملكاتها بحيث تغدو قادرة على تحمل الصعاب، ومقاومة العقبات التي تبعدها عن مسار القرب من الله إلى أبعد الحدود الممكنة.

تحظى تقوية الإرادة وكيفية التعاطي مع العناصر المكوّنة للشخصية والتي تحدد مسار حركة الإنسان من وجهة نظر الدين، بأهمية خاصّة. وإن أيّ ضعف أو تهاون في هذه الناحية من الوجود يسلب الإنسان إمكانية التقدّم والوصول إلى المراحل العليا. من هنا لا بد من تعزيز الإرادة وتقويتها من أجل الوصول إلى الغاية المنشودة. فالانسان الذي يعاني من ضعف في الإرادة، لا يستطيع مواجهة الصعاب والمشاكل، ولن يغدو بإمكانه بلوغ الرشد والكمال من خلال التغلب عليها.

إن أهمّ أسلوب لتقوية الإرادة من وجهة نظر الدين، عبارة عن إيجاد نوع من العلقة بمصدر مستقل، يتمتع بالقدرة والسلطة والعلم والمعرفة المطلقة. فإن الإنسان لا يستطيع صيانة نفسه في مواجهة الحوادث والمشاكل، إلا إذا أوجد في نفسه نوعاً من القدرة في كيانه. وإن هذه المقدرة الذاتية توجد بطرق وأنحاء وعلى مستويات مختلفة. والمهم أن نعلم ما هو الأمر الذي نجعله منشأً لاقتدارنا واستطاعتنا. مما لا شكّ فيه هو أن العناصر الخارجية، لا تستطيع التأثير على نفسه وإرادته. ومن وجهة نظر الدين فإن العنصر الوحيد الذي يمكنه تقوية الإرادة لدى الإنسان، وجعله أهلاً للارتقاء نحو المراحل العليا من الرقي والكمال، هو الارتباط بالله

وتعزيز هذا الارتباط وتوثيقه. وفي هذه الرؤية، فإن الإنسان الذي يتمسك بالله، ويجعله محور نواياه وميوله وأفعاله، سوف يتمتع بالقدرة والإرادة القوية بمقدار شدّة تمسّكه وإيمانه واعتقاده بالله سبحانه وتعالى. في منطق الدين يعتبر التمسّك بغير الله مساوقاً لضعف الاتجاه الباطني الذي يؤدي بالإنسان إلى الرقي والكمال. ومن المهم بيان هذا الأمر وهو أن تقوية الإرادة لا تعني بالضرورة توظيفها في المسار الإلهي، فليس الأمر أن الأسلوب في تعزيز الإرادة وتقويتها منحصر بتوظيفها في المسار الإلهي. فما أكثر الذين يسعون وراء تحصيل العلم والمناصب والثروة وما إلى ذلك، ويجعلون من هذه الأمور هدفاً وغاية مطمح لهم، ويبذلون كل ما بوسعهم، متمتعين في ذلك بإرادة قوية وعزم لا يلين من أجل تحقيق هذه الأهداف، متحملين من أجل ذلك أنواع الصعاب، بل قد يضحّون حتى بأرواحهم من أجل ذلك. وعليه فبالالتفات إلى هذه الحقيقة ندرك أن تقوية الإرادة لا تعني توجيهها بشكل صحيح نحو الهدف الأسمى والغاية المتعالية دائماً. والذي يتم استهدافه من وجهة نظر الدين، فيما يتعلق بتعزيز الإرادة وتقويتها هو توجيهها نحو الله سبحانه وتعالى. وفي الحقيقة، فإن ارتباط الدين بالإنسان من حيث إنه كائن مريد، يتجلى من خلال بعدين، وهما:

١. تقوية إرادته، لكي يتجنّب الضعف والتهاون في إنجاز أعماله.

٢. أن يجعل من تعزيز إرادته أمراً هادفاً، بأن يعمل على توظيف هذه الإرادة في المسار الإلهي فقط.

عناصر تعزيز الإرادة في المنظار الديني:

لم يبحث القرآن الكريم في الإرادة وتقويتها أبداً، وإنما ركز البحث ـ بوصفه كتاباً تربوياً ـ على الطرق التربوية على المستوى العملي فقط. من هنا، فإنه لم يبحث في الاتجاه النظري بشأن الإرادة، مكتفياً باستعراض بعض

الشواهد في هذا المجال، ويمكن اعتبار هذه الشواهد كنماذج وأمثلة، يمكن الوصول إلى اكتساب التجربة من خلالها، أو التعرّف بواسطتها على السبل العملية في الوصول إلى السعادة، وبلوغ الكمال في إطار تعزيز الإرادة وتقويتها.

فمن باب المثال، يمكن الإشارة إلى قصة نبينا آدمعليه السلام. إذ أمره الله سبحانه وتعالى بأن لا يقرب الشجرة المحظورة، وأخذ عليه عهداً بأن لا يتناول من ثمرها، ورأى آدم أنه ملزم بهذا العهد، وأنه لن يحيد عنه أبداً، ولكنه سرعان ما نَسِيَ العهد، وما أن واتته الفرصة حتى سارع إلى الأكل منها. وقد تعرّض القرآن الكريم لهذا السلوك من قبل آدمعليه السلام بوصفه نموذجاً من نماذج ضعف الإرادة وعدم الإلتزام بعهد الله، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1].

إن تعزيز الإرادة والقدرة على القيام ببعض الأمور من وجهة نظر القرآن تستلزم الصبر على مرضاة الله سبحانه وتعالى، وإن استعجال الأمور يؤدي إلى الضياع والانحراف. وقد تمّ التعبير عن الصبر وقوّة التحمّل بوصفه ملاكاً للتمييز بين الإرادة القوية والإرادة الضعيفة. وإن الصبر على الشدائد، وبخاصةٍ فيما يتعلق بالجهاد، واجتناب جميع أنواع التهاون، والصبر على العبادة من أهم الأدلة على الدخول في دائرة القرب من الله والفوز بأنعم الله، وكذلك الحصانة في مواجهة شيطان النفس. وقد انعكس ذلك كله في الآيات القرآنية الآتية:

- ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2].

---

١. طه: ١١٥.

٢. البقرة: ٢٥٠.

- ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[1].

- ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[2].

- ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[3].

- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[4].

- ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[5].

- ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[6].

- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[7].

- ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[8].

- ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾[9].

- ﴿فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[10].

---

١. آل عمران: ١٨٦.

٢. لقمان: ١٧.

٣. الشورى: ٤٣.

٤. محمد: ٣١.

٥. البقرة: ١٧٧.

٦. آل عمران: ١٢٠.

٧. آل عمران: ١٤٦.

٨. آل عمران: ١٣٩.

٩. النساء: ١٠٤.

١٠. محمد: ٣٥.

- ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[١].
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٢].
- ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٣].
- ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٤].
- ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٥].
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٦].
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٧].

وبالنتيجة يمكن اعتبار أن أهم عناصر تعزيز الإرادة وتقويتها يكمن في التمسّك بالله، وإيجاد سبل الارتباط به. وإن العبادات بوصفها مظهراً من مظاهر فعلية هذا النوع من الارتباط، تضع الإنسان في مسار تعزيز هذه الناحية من وجوده وكينونته. فالإنسان المتديّن يحصل على قوته الروحية من خلال التوسل بالله وتوظيف عنصر العبادة في هذا الطريق. إن التمتع بالإرادة القوية يؤدي بالانسان إلى الاجتناب والإعراض عن المعاصي. كما أن الضعف والتهاون في إقامة الارتباط والتواصل مع الله سبحانه وتعالى يؤدي به إلى

---

١. البقرة: ٤٥.
٢. البقرة: ١٥٣.
٣. المؤمنون: ١١١.
٤. القصص: ٥٤.
٥. النحل: ٩٦.
٦. فصلت: ٣٠.
٧. الأحقاف: ١٣.

الزلل والانهيار أمام المعاصي والمحرّمات. وعليه فإن أحد أهم الآثار التربوية في تقوية الإرادة يكمن في ضوء العبادات والابتعاد عن المعاصي، واجتناب كلّ الأمور التي من شأنها أن تؤدي إلى الانحراف عن مسار التكامل.

الأبعاد المشتركة بين الإنسان والحيوان

١. هداية وتعديل الميول المشتركة

كما تقدّم أن ذكرنا، فإن الميول الإنسانية تكون ذات جنبة اختصاصية تارة، وتكون ذات جنبة مشتركة تارة أخرى. إننا بالنظر إلى خصائص الإنسان الروحية والنفسية والمساحة الواسعة من المعايير الفطرية، نراه في مساحة من الميول والرغبات، بحيث إنه لو ركّز على جوانبه المشتركة مع سائر الكائنات، لن نجد من أثر لتلك الميول والرغبات في دائرة مطالبه واحتياجاته. بعبارة أخرى: إن للإنسان ـ بالالتفات إلى ما يتمتع به من البعدين الوجوديين، وهما: البعد الروحي، والبعد الجسدي ـ منشأين محددين في دائرة الميول والرغبات، بحيث يمكن تقسيم وجوده من خلال إرجاع كل مجموعة من الرغبات والميول الروحية والجسدية إلى دائرتها. فهو من جهة يعتبر كائناً إنسانياً يتمتع بسلسلة من الصفات الروحية، من قبيل: البحث عن الحقيقة، والعدالة، والخلود، والجمال. ومن جهة أخرى نجده كسائر الحيوانات، بحاجة إلى بعض الأمور التي تشبع متطلباته وغرائزه الجسدية، من قبيل: الجوع، والعطش، والتعب، والغريزة الجنسية. بيد أن المسألة المطروحة هنا هي فصم عرى الإنسان، وتقسيمه إلى جهتين، وبتبع ذلك، العمل على الفصل بين مطالبه وميوله. فكيف يمكن لنا أن نقيم ارتباطاً بين هاتين الناحيتين الوجوديتين؟ فهل ينظر الإنسان إلى الأمور دائماً من زاويتين، ويرمق عالم الوجود من نافذتين مختلفتين؟ فإذا كان هذان المنشآن الوجوديان منفصلين عن بعضهما

بالكامل، إذن كيف يكون الإنسان كائناً واحداً؟ وإذا كان هناك من ارتباط بين هاتين الناحيتين من وجوده، فما هي كيفية هذا الارتباط؟ إن مما لا شكّ فيه هو أن للإنسان ـ على الرغم من تمتعه بمختلف الميول والرغبات المتنوّعة والمختلفة بالكامل ـ هوية محددة، وإن ميوله ورغباته المتعارضة لا تؤدي إلى اختلاف وتشتت شخصيته وهويته. فإن أسلوب الارتباط بين النواحي الوجودية للإنسان في إطار الميول والرغبات الخاصة والمشتركة، إذا كانت من قبيل: سيادة الميول والرغبات الخاصة وتوجيهها للرغبات والميول المشتركة، فإن الدوران الوجودي له سيمضي في اتجاه مختلف عما إذا كانت السيادة فيه للرغبات المشتركة، وتوجيهها لدفّة الرغبات والميول الخاصة. فالإنسان يتذبذب على الدوام بين طيفين، فهو إما يميل إلى تحكيم سيادة الميول السامية والمتعالية على رغباته المتدنية التي تتفرّع عن الأبعاد غير السامية من وجوده، أو أنه يميل إلى إلغاء النواحي المتعالية والقيم الكامنة في وجوده، بحيث يكرّس كل اهتمامه على إشباع غرائزه الحيوانية بشكل مطلق.

ليس أمام الإنسان من خيار سوى تلبية احتياجاته المادية، غير أن المهمّ في البين هو كيفية تلبية هذه الاحتياجات. إن محور بحثنا في هذا الكتاب هو الاهتمام بكيفية رؤية الإنسان، وكيف يجب أن يكون الارتباط بين القيم السامية والمتعالية، والمطالب الحيوية المتصلة بأبعاده الجسدية والمادية من الزاوية الدينية. إن الذي يتمّ طرحه بوصفه هدفاً ليس هو نفس تلبية الشعور بالجوع أو العطش أو الغريزة الجنسية، بل كيفية تعاطي الروح الإنسانية مع هذا النوع من الحاجات الجسدية. إننا بصدد بيان هذه المسألة، وهي: كيف يمكن لنا أن نجعل الميول المتعالية محوراً في حياتنا، وتلبية المطالب والغرائز الجسدية في ضوء تلك الميول المتعالية؟ فهل تطرّق الدين في تعاليمه إلى بيان السبل الصحيحة والسليمة لتلبية هذا النوع من المطالب والغرائز؟ وهل

هناك في هذه التعاليم ما يعمل على توجيه وهداية وتعديل هذه المطالب والغرائز، أم لا؟

إنّ جميع الأنشطة الإختيارية للإنسان تنشأ من اتجاهه الثقافي والعقائدي في الأمور. إن الدين ـ بوصفه نظاماً آيديولوجياً قادراً على بناء الصرح الثقافي ـ يستطيع توجيه أفعال الإنسان وأنشطته نحو الهدف الغائي، وبيان طريقة الوصول إلى الهدف العام من خلال رسم الأهداف الوسيطة. وإن هذه الأهداف ناظرة إلى القوانين والأسس التي تحكم الأنشطة الرئيسة للإنسان، وتشمل دائرة واسعة من سلوكياته، وتسوقها في إطار نظام مترابط نحو الأهداف والغايات النهائية. وفي هذا النظام يتمّ الاكتفاء بطرح المنهج العام لتلبية الحاجات الفطرية والمتعالية للإنسان، وليس هذا فحسب بل وقد تمّ الاهتمام حتى بالمطالب والميول المادية والجسدية له أيضاً.

٢. بحث خاصّ

إنّ ما يحدده الدين ويرسمه للإنسان من أنماط الحياة، لا يتعلق بالأساليب الخاصة والجزئية للسلوك، بل هو منهج عام يعمل على توجيه أفعاله الجزئية. إن ما هو المهم بالنسبة إلى الدين هو بيان حدود نشاط الإنسان في مختلف المجالات الوجودية المتنوعة التي تستدعي توظيف سلسلة من الأساليب والسلوكيات الخاصّة. وعليه فإنّ الدين مبدع لنظام مسلكي خاص، وهو وإن كان لا يخوض في الأساليب الجزئية للسلوك والأنشطة الخاصّة في جميع المجالات، بيد أنه يرسم إطاراً محدّداً. إن وجود الترابط المنطقي والتلاحم المعقول بين الأهداف المتنوّعة، وإرجاع كلّ هدف إلى هدف أعلى، وبيان ضرورته في ضوء الغايات الأسمى، وصولاً إلى بلوغ الهدف الغائي والنهائي، يحكي عن وجود النظم والتنسيق في داخل هذا النظام. إنّ بيان نشاط الإنسان

يتمّ أحياناً من خلال الالتفات إلى الأساليب والأطر السلوكية، وأحياناً من خلال الالتفات إلى الأهداف والمضامين الموجّهة. وإن الذي يعتريه التغيّر والتبدّل دائماً هو هذه الأساليب والأطر الصورية للسلوك، التي تظهر في كلّ زمان على شكل خاص تبعاً لتطوُّر آليات التفكير. وفي العلوم التربوية يتم الاهتمام بأساليب الوصول إلى الأطر الجديدة للسلوكيات التربوية المتنوّعة بنحو أكثر منه إلى ذات المحتوى والأهداف الكيفية للتربية. بعبارة اخرى: في الأسلوب العلمي نجد أنّ النظام التربوي يشتمل على أساليب لبلوغ الأهداف التربوية المنشودة بغض النظر عما تحمله من القيَم، وأما النظام التربوي الديني، فهو يسعى من خلال تحديد الأهداف وإيجاد نوع من الارتباط المنطقي الطولي والعرضي بينها، إلى تقديم إطار سلوكي خاص يحتوي على منظومة من القيم. وعليه فلم يدخل أيٌّ من العلم والدين في موضوع التربية بشكل مستقل. وبطبيعة الحال فإنّ منهجية التربية في دائرتي العلم والدين لا تعني بالضرورة تناغمهما مع بعضهما البعض. جدير بالذكر أنّه إذا قيل: إنّ للدين منظومة من القيم ضمن مقولة الأهداف التربوية، وإنّ العلم بصدد تقديم أساليب ومناهج تربوية في إطار نظام، فإن هذا لا يعني أنه لم يتمّ بيان أيّ أسلوب وطريقة في الدين للوصول إلى الأهداف التربوية. فقد قدّم الدين ـ بما يتناسب ومختلف الضرورات ـ أساليب خاصة للوصول إلى المضامين التربوية. إن سُنّة وسيرة النبيّ ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام حيث تمّ انتخابها واختيارها من قبل هؤلاء العظام، فقد تمّ إلقاؤها ـ بوصفها سُنّة ـ من قبل الشارع في إطار الأحكام الدينية، واكتسبت قداستها. يقع البحث في أنه مع هذا الاعتراف بوجود هذه الأساليب والطرق في الدين، هل يمكن لنا أن نستنبط من الدين نظاماً مشتملاً على القيَم التربوية، بحيث يكون ناظراً ومهيمناً على جميع القوالب وطرق الوصول إلى الملاكات التربوية في كل زمان

ومكان؟ لا شك في أن العلوم التربوية تسعى إلى بيان القوالب والمناهج للمسائل التربوية التي تشتمل على دور آلي، بمعزل عن القيم. فإنّ نماذج البرامج التعليمية، والإدارة التعليمية، وكيفية التدريس، ورسم الأهداف التعليمية في المساحات الثلاث: المعرفية، والنفسية ـ الحركية والعاطفية، والنفسية ـ والحركية، والموارد الأخرى، لا تشتمل ـ من الناحية العلمية ـ على منظومة من القيَم الأخلاقية، بل يمكن توظيفها بوصفها قوالب وأدوات مختلفة ومتنوّعة، في مختلف الأهداف والغايات. إن العلم يقدّم للتربية أساليب وقوالب جديدة، طبقاً لمقتضى الحياة اليومية وتغيّر طبيعة العلاقة بين الناس. وإن الذي يؤدي إلى عدم ثبات واستحكام الأساليب المقدّمة لمضمون واحد في جميع الأزمنة، هو هذا التجاهل بالنسبة إلى منظومة القيَم، وأما النظام التربوي الديني فإنّه ـ من خلال الاهتمام بالأهداف والمضامين ـ يهتم بالأسس التربوية ويسعى إلى تقديم منظومة شاملة من القيَم الأخلاقية في المسار التربوي. إن قداسة القيَم الحاكمة على النظام التربوي الديني تنشأ من نفس اختيارها من قبل الله. وإن الذي أدى إلى خلود وثبات الأهداف التربوية في جميع الأزمنة والأمكنة، هو أن الله قد اختار هذه الأهداف بما يتناسب والبنية الوجودية للإنسان. وفيما يتعلّق بمقولة الأساليب والقوالب التربوية يكون البحث عن القيَم ناظراً إلى هذه الناحية. وإن هذه الموارد ـ على الرغم من الأسلوب والمنهج ـ حيث تختص بمنظومة القيَم، يكون الهدف التربوي منها، هو ذلك الأسلوب والمنهج الخاص المرسوم من قبل الله والأنبياء وأوصيائهم المعصومين، ويكتسب لذلك وجهة أخلاقية، ويصبح داخلاً ضمن منظومة القيَم. وأن الذي يحظى بالأهمية في حركة الإنسان ـ بوصفه كائناً متديناً وعاقلاً ـ هو توظيفه لسلاح الدين والعقل (العلم)، أي المحتوى والأسلوب، أو الأهداف والقوالب.

إنّ الإنسان ـ كسائر الكائنات الحية ـ بحاجة ـ لكي يواصل الحياة ـ إلى الطعام والماء والراحة وإشباع غريزته الجنسيّة. فلو أن فرداً أهمل تلبية احتياجاته الفسيولوجية، فإنه لن يتمكن من تحقيق الأهداف الإنسانية والإلهية. لذلك فإن الملاك في إشباع هذا النوع من الاحتياجات يكمن في توفّر النمو والتكامل في سائر الأنحاء الوجودية الأخرى. بعبارة أخرى: إن السرّ في اهتمام الدين بكيفية إشباع الاحتياجات الفسيولوجية، هو توفير الأرضية المناسبة للرقي والحصول على الرؤية الإلهية والتقرّب من الله سبحانه وتعالى.

إن الدين يرفض كلّ ما من شأنه أن يحول دون الإنسان ودون الاهتمام بالنواحي السامية من وجوده، ويمنعه من الرقّي، أعم من أن تكون تلك الموانع ناشئة عن التفريط في القوى الفيزيقية أو ناشئة عن الإفراط وعدم الاهتمام بالاحتياجات الروحية والنفسية.

إنّ الجوع والعطش لدى الإنسان وإن كان يرتفع بتناول الطعام وشرب الماء، بيد أنّ موضوع النزعة إلى رفع الجوع والعطش أمر مغاير لنفس رفع الجوع والعطش. والذي يقع في معرض الإفراط والتفريط دائماً هو هذه النزعة إلى رفع هاتين الحاجتين، وإلّا فإن الفرد الجائع إذا حصل على طعام وتناوله، فإنه سيخمد شعوره بالجوع إلى حدّ ما، ولن تكون لديه حينها أيّ رغبة بتناول أي طعام آخر مهما كان لذيذاً أو شهياً، وهكذا الأمر بالنسبة إلى رفع العطش، حيث لا تكون لديه أي رغبة بنوع خاص من الماء أو أي شراب آخر، فالمهم والثابت عنده هو إطفاء لهب العطش بأيّ سائل صالح للشرب. إن هذه الحاجة لا تعتبر بشكل مباشر حاجة فسيولوجية وجسدية. بل هي منبثقة من داخل وجود الإنسان، وناشئة عن رؤيته إلى هاتين الحاجتين. بعبارة أخرى: إن لدينا حاجة جسدية يمكن رفعها بالكامل من خلال تناول الطعام وشرب الماء، وحاجة نفسية تدعونا دائماً إلى النشاط من أجل توفير ما

نحتاجه لمواصلة الحياة. إن الذي يدعونا دائماً إلى القيام بالأنشطة لرفع الحاجات الحيوية، هو أن الاحتياجات الجسدية تتكرر باستمرار، وعليه فإن هذا النوع من الاحتياجات موجود باستمرار ما دام الإنسان حياً. وأن الذي أوجب عدم الاعتدال وأدى إلى التفريط في رفع الاحتياجات الحيوية هو الخوض المفرط في هذا النوع من الاحتياجات. وعليه فإن نقطة الارتكاز في بحثنا ستدور حول هذه المسألة. إن كلّ ما تمّ طرحه في الدين فيما يتعلق بتعديل أو توجيه النزعة إلى رفع الاحتياجات الفسيولوجية، ناظر إلى هذه الناحية. إذ إن الذي يقع مورداً لخطاب الموضوعات الدينية هو الذي تكون فيه إمكانية التخطئة والإصلاح. في حين أنه في مسألة إشباع الحاجة الجسدية لا يتطرّق البحث فيه إلى الخطأ والصواب، ليكون موضوعاً للقضايا الدينية. إن الإنسان بعد تناول الطعام وشرب الماء، أثناء سلسلة من الأعمال الحيوية يشعر بالشبع والارتواء، وعدم الرغبة إلى المزيد. كما يصدق هذا الأمر بالنسبة إلى المقولات الأخرى، من قبيل: النوم، والشهوة الجنسية، أيضاً. إلا أن الخوض في هذا النوع من الاحتياجات، لا يكون أمراً طبيعياً على الدوام، ويكون منشأ ذلك في روح الإنسان ومواقفه. وبهذا اللحاظ، عندما يدور البحث في الهداية وتعديل الميول المشتركة بين الإنسان والحيوانات، علينا أن نلاحظ أن سلسلة نشاط الإنسان في إطار رفع الاحتياجات الفسيولوجية، تختلف اختلافاً كبيراً عن الأنشطة التي تمارسها الحيوانات. فإن الكثير من الحيوانات ما أن تشبع حاجتها إلى الطعام والشراب، حتى تكفّ عن مواصلة البحث عن الطعام والماء، إلى حين شعورها بالجوع والعطش مجدّداً. وإذا كانت بعض الكائنات الحية تعمد إلى ادخار الطعام من أجل ضمان حاجتها المستقبلية في ظروف غير ملائمة، أو تصنع أعشاشها لتوفير الحماية لنفسها أو لضمان استراحتها، فإنما تقوم بذلك اتباعاً لغريزة طبيعية كامنة في وجودها،

وإن تلك الغريزة تعمل ضمن آلية ميكانيكية خاصة، ولذلك لا نجدها تشطّ أو تتغيّر في أسلوب وكيفية جمع الطعام أو بناء الأعشاش وغير ذلك. وأما مسألة توفير ما يحتاج إليه الإنسان من الأمور الحيوية، فإنه يُطرح على مستوىً أعلى، تؤثر فيه الميول النفسية وكذلك الإختيار والإرادة في كيفية الأساليب المختارة وتطبيق تلك الأساليب على أرض الواقع. إذ يطرح البحث في كيفية الإشباع في مستوى أعلى من الحياة الحيوانية، حيث يكون ناظراً إلى الحياة الإنسانية. وأن رؤية الدين تجاه هداية الميول المشتركة تطرح نفسها أيضاً بالالتفات إلى هذه الناحية من الميول الإنسانية، وإن أهم مسألة تطرح في الرؤية الدينية بشأن الميول المشتركة وهدايتها وتعديلها، إنما تكون بالالتفات إلى ارتباط هذا النوع من الميول بالميول الخاصّة بالإنسان، وخاصّة ميوله المتسامية والمتعالية. إن ما ترسمه الأهداف الوسيطة هو المسار الذي يؤدي بالإنسان إلى الله سبحانه وتعالى. ومن ناحية أخرى فإن مقدار اهتمامنا بالميول المختلفة يحدّد جهة مسارنا. فإذا كانت الهيمنة للميول المشتركة على الميول الخاصة، فإن جهة مسارنا ستنحرف نحو تلك الأمور المشتركة، ويكون هناك عدول من ناحيتنا عن الأهداف النهائية. ومن وجهة نظر الدين لا ينبغي للإنسان أن يركز اهتمامه على الأمور التي هي مجرّد أدوات ومقدمات للوصول إلى الأهداف المتعالية. ومن هنا عندما يطرح البحث بشأن هداية الميول المشتركة وتعديلها من وجهة نظر الدين، يرد هذا السؤال إلى الذهن: ما هي السبل التربوية التي يتخذها الدين من أجل توظيف الميول المشتركة في مواضعها؟ إن سلسلة الأحكام والقوانين والتعاليم الدينية في هذا الشأن، يعكس الاهتمام الكبير الذي يوليه الدين من أجل تعديل هذا النوع من الميول. وسنعمد في هذا البحث إلى دراسة أربعة أنواع من الميول الأساسية المشتركة بين الإنسان وسائر الكائنات الحية، وذلك على النحو الآتي:

أ) هداية وتعديل إشباع الجوع والعطش

كما تقدّم أن ذكرنا، فإن الدين يرى أن الاهتمام ببعض الاحتياجات والميول الطبيعية، من قبيل: الجوع والعطش وما إلى ذلك، ورفع هذه الحاجات، يخضع لضوابط خاصة، وإن العدول عن هذه الضوابط يعدّ بمنزلة الخروج والجنوح عن المسار الذي ينتهي بنا إلى الأهداف والغايات النهائية. ومن وجهة نظر القرآن الكريم يمكن تلخيص هذه الضوابط في المحورين الآتيين:

المحور الأول: موقف الإنسان من رفع الجوع والعطش: عندما يتحدّث القرآن الكريم عن مسألة الأكل والشرب، يعمل على تذكير الإنسان بهذه النقطة، وهي أن عليه أن لا يتخذ ـ تجاه هذه المسائل الحيوية ـ نفس الرؤية والموقف الغريزي الذي نراه عند الحيوانات، عندما تروم تلبية هذه الاحتياجات، فتقوم بكل ما بإمكانها للحصول على مبتغاها. ومن زاوية القرآن الكريم فإن الاستفادة من هذه النعم متوفّرة لكلٍّ من الكافر والمسلم على السواء، غاية ما هنالك أن الكافر يتمتع بهذه النِعَم كما تتمتّع النَعَم، في حين أنّ للمسلم تجاه ذلك رؤية أخرى. قال تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[1].

فالمؤمن لا يحشر نفسه في دائرة ضيّقة من الغرائز، فهو على يقين من أن الله سبحانه وتعالى قد تكفّل برزقه وما يحتاج إليه في حياته، وأن ابتعاده عن الممارسات غير المشروعة في هذا المجال، لا تدخله في مأزق حرج. وفي ذلك نجد القرآن الكريم يقول:

---

١. محمد: ١٢.

ـ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[1].

ـ ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[2].

إن سلوك الانسان المتديّن فيما يتعلق بموضوع الأكل والشرب، يقع ضمن دائرة متكاملة تحتوي على سائر اهتماماته الأخرى، ومن أهمها، التقرّب من الله سبحانه وتعالى، والتوكّل عليه في الحصول على الرزق. قال تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

إنّ الانسان الذي يتمتع بهذه الرؤية ويتسلّح بهذا الفهم، نجده ـ عندما يسعى إلى رفع احتياجاته ـ لا يحاول التعدّي على حقوق الآخرين أبداً. فهو على اطمئنان من اتساع الأسباب والعناصر الدخيلة في الحصول على الرزق، وأنه لن يواجه طريقاً مسدوداً في ما يتعلق بتلبية مطالبه ورفع احتياجاته، ولذلك لا تجد منه ميلاً إلى التكالب على جمع الأموال والجشع في طلب المزيد. وإن أهم أمر يطرح نفسه في بحث هداية وتعديل النزعة المذكورة، هو الإعراض عن الله وعدم الاطمئنان إليه في بسط الرزق وتوزيع الأسباب الدخيلة في تلبية هذا النوع من الاحتياجات الحيوية. إنّ الإنسان المعتقد بالله والواثق برحمته حيث يعمر قلبه الاطمئنان لن يتعرّض للوساوس الشيطانية التي تدعوه إلى الطمع والجشع والتهالك على حطام الدنيا، ولذلك فإنه يركز كلّ

---

١. يونس: ٣١.

٢. فاطر: ٣. وانظر: الأنعام: ١٥١، وسبأ: ٢٢.

٣. العنكبوت: ١٧.

اهتمامه على ما يؤثر في تلبية احتياجاته الجسدية. ومن ناحية أخرى فإن الانسان الذي يرى نفسه عاملاً مطلقاً في رفع احتياجاته الحيوية، حيث لا يتمسّك بالله، فإنه يتصرَّف على نحو غرائزي، ويقوم ببعض الأعمال التي تبعده عن الله، وعن القيَم الإنسانية، ويأخذ هذا السلوك بيده إلى تبني النزعة المادية واعتبار أن الهدف من الحياة هو الاستفادة القصوى من الملذّات الدنيوية. ولذلك نجده يتهالك في طلب الدنيا والحصول على مصالحه الشخصية، وحيث أنه يجعل من الدنيا ولذّاته غاية لاهتمامه، فإنه يفرط في الاستفادة من المأكولات والمشروبات والانغماس في سائر الشهوات.

المحور الثاني: نوع وأسلوب إشباع الجوع والعطش: هناك طرق وأساليب متنوّعة لرفع الاحتياجات الحيوية. ففي كل زمان ومكان ـ وبما يتناسب ونوع تغذية البشر، والتطوّر العلمي في الحصول على الإمكانات الجديدة، وكذلك الواقع الثقافي والجغرافي وما إلى ذلك من الأمور الخارجة عن بحثنا ـ هناك أساليب مختلفة تدخل في عملية توفير ما يحتاج إليه الإنسان من الأمور الحيوية. وأن هذه الأساليب لا تحتوي على جنبة أخلاقية. فمن باب المثال: إنّ طريقة انتاج محصول، وطرق توفير مختلف أنواع الأطعمة، من الأمور التي لا تحتوي على أي اتجاه أخلاقي، ولم يتطرّق الدين إلى بحثها. وبطبيعة الحال وكما تقدم أن أشرنا، فإن رؤية الإنسان المسلم لهذه الأمور والمفاهيم تنطلق من رؤية إلهية تضعه ضمن حدود خاصة، وعلى الرغم من تحكّم الإنسان في الأساليب الجزئية للحصول على الرزق، إلا أن هذا لا يعني عدم سيادة الهدف والغاية وهيمنتهما على الأساليب والطرق المستخدمة. نحن نعتقد أن بإمكان الإنسان ـ من خلال توظيف طاقاته ومواهبه التي زوده الله بها ـ أن يستفيد الاستفادة القصوى من الطبيعة في سياق رفع احتياجاته ومتطلباته، إلا أنه يعمل على توظيف هذه الطاقات والإمكانات في

سياق تلبية مطالبه الحيوية من خلال الالتفات إلى أهدافه، ويعمد إلى بذل الجهود والسعي إلى استثمار الطبيعة انطلاقاً من غاياته الخاصة.

إنّ المناخ المهيمن ـ في الرؤية الدينية ـ على سلسلة الأنشطة الحيوية، ينطلق من الهدف الذي يتمّ تحديده ورسمه لهذا النوع من النشاط. فحيث يكون الهدف العام هو الحصول على القرب الإلهي والأهداف المتعالية، سوف تتحدّد وظيفة كلّ مسلم في المسير على الطريق الذي ينتهي إلى هذه الغاية، ورعاية الأسس والقوانين التي من شأنهاأن تفضي إلى الأهداف المذكورة. ومن وجهة نظر الإسلام، فإنّ الأسس الحاكمة التي تهيمن على طرق الارتزاق، والأنشطة التي تؤدي إلى تلبية الحاجة إلى إشباع الجوع ورفع العطش بشكل عام، عبارة عن:

ـ حِلّية وطيب الأطعمة والأشربة:

تعني الحِلّية هنا، رضا الله عن استهلاك وتناول الأطعمة والأشربة، وطرق الحصول عليها. ولكن أحياناً لا تكون طرق الحصول على الأطعمة والأشربة صحيحة، وإن لم يكن تناولها حراماً في نفسه. من قبيل: عدم رعاية الموازين الشرعية في معاملة الحيوان الذي يؤكل لحمه. وأحياناً بغض النظر عن طريقة الحصول على الطعام، يكون ذلك الطعام في نفسه غير طيّب، من قبيل: لحم الخنزير المحرّم في نفسه. وعلى كلّ حال، فإن الحصول على الأطعمة والأشربة غير الطيّبة، يجب أن لا تدخل في دائرة نشاط الإنسان الذي يؤدي إلى إشباع رغبته وحاجته إلى رفع الجوع والعطش، سواء علمنا عِلّة خبثها وعدم طيبها، من قبيل: الأطعمة الفاسدة والمتفسّخة، أو لم نعلم، من قبيل: المشروبات الكحولية والكثير من المحرمات الأخرى التي لم يطلعنا الله على أسباب حرمتها وخبثها. هناك مجموعة من الآيات القرآنية التي تتحدّث عادة عن اشتراط طيب وطهارة الأطعمة والأشربة، وحِلّية طرق الحصول عليها

بشكل رئيس، من قبيل: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِين﴾[1].

ـ الشكر وعدم الطغيان والعصيان:

يتعرّض الناس وبشكل عام ـ على الأخص فيما يتعلق بضمان المعاش لتلبية هذه النزعة النفسية، والتغلّب على الاضطرابات الناشئة من الحاجة إلى الطعام والشراب ـ إلى الطمع والأثرة، مما يشكل ظلماً بحقّ الآخرين. ومن ناحية أخرى، فإن الشعور بالغنى ـ بعد ضمان الإنسان لما يحتاجه في معاشه ـ يُعدُّ الأرضية للطغيان والتمرّد على الله وعدم شكره. ومن وجهة نظر القرآن الكريم، فإن نتيجة هذا التمرد الناشئ عن الطمع والأثرة والشعور بعدم الحاجة هو البُعد عن الهدف الغائي، والتهالك على طلب اللذة. قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2].

ـ ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[3].

هناك بون شاسع بين سلوك الانسان الذي يرى نفسه مصوناً عن الانحراف والزلل في دائرة القوانين الإلهية، وسلوك ذلك الانسان الذي يتهالك على طلب المزيد من الماديات، والغارق حتى هامته في المعاصي والذنوب. إن النتيجة والثمرة المترتبة على رعاية الحدود الدينية ـ فيما يتعلق بالاستفادة من النعم الإلهية ـ هو الشكر في مقام القول والعمل. وفي الحقيقة، فإن الشكر يضرب بجذوره في الأسس الفكرية للإنسان، فيما يتعلّق بمصدر

١. البقرة: ١٦٨. وانظر: المائدة: ٨٨؛ النحل: ١١٤؛ الأنفال: ٦٩.

٢. البقرة: ٦٠.

٣. الأنعام: ١٤٢؛ وانظر أيضاً: طه: ٨١.

رزقه وهو الله سبحانه وتعالى. ومن وجهة نظر القرآن، فإنّ الشكر وأداء الحق، من أبرز أهداف بَسط الرزق من قبل الله للإنسان. قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١].

ـ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ﴾[٢].

وعليه، يمكن لنا أن نعتبر الشكر ـ بوصفه هدفاً مباشراً ـ في سلسلة الأهداف الوسيطة.

ـ **مشاركة الآخرين في النعم الإلهية:**

إنّ من بين الأسس والقواعد الحاكمة على الأهداف الوسيطة، هو إقامة نوع من العلاقة بين المتمكنين والعلماء والفقراء والأميين. فإن تقدّم الانسان واستفادته من النعم الإلهية على نحو منفرد، لن يكون ميسوراً على النحو المطلوب. بعبارة أخرى: إنّ أرضية التطوّر والنمو والرقّي ورفع الموانع أمام التكامل، إنما تكون من خلال إقامة التعاون، وإقامة العلاقات المتبادلة والنافعة بين الناس. فإن التعاون بين أبناء البشر يشمل الجوانب الثقافية، كما يشمل رفع الاحتياجات المادية أيضاً. كما تمّ التأكيد في القرآن الكريم كثيراً على تعاون الناس من أجل القضاء على الفقر، إذ يقول تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[٣]. ويقول تعالى أيضاً: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤]. ويسعى إلى تجسيد هذا الأمر الهام وتطبيقه على الواقع العملي، من خلال إقامة منظومة التعاون في

---

١. الأنفال: ٢٦.

٢. يس: ٧٣؛ وانظر أيضاً: إبراهيم: ٣٧؛ سبأ: ١٥.

٣. الحج: ٢٨.

٤. الحج: ٣٦.

صيغة إقرار الخمس والزكاة والإنفاق، وهناك من الآيات القرآنية ما يشجب الطمع والإسراف في المأكل والمشرب. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1].

ب) هداية وتوجيه النزعة إلى النوم

إنّ من بين الميول المشتركة بين الإنسان وسائر الحيوانات، نزعته أو حاجته إلى الاستراحة. وتعود هذه النزعة بجذورها إلى طبيعة التركيبة الوظيفية لأعضاء الإنسان. بعبارة أخرى: إن نزعة الإنسان إلى الراحة والنوم، تأتي كاستجابة إلى الهروب من المشاكل والحصول على السكون والتخلّص من وعناء التعب والنصب، واستعادة القوى المنهكة، وبشكل عام إعادة التوازن الفسيولوجي لوظائف أعضاء الجسد، بيد أن النفس الإنسانية التي تميل إلى الدعة والكسل، تدعوه على الدوام إلى طلب المزيد من الركون إلى الراحة المستمرة والمقرونة بطلب اللذّة، بما يتجاوز مجرّد الحاجة الضرورية إلى تحصيل التوازن الفسيولوجي. إن الذي ننشده بوصفه هدفاً وسيطاً في سلسلة الأهداف الدينية، من أجل الحصول على التوازن في طلب الراحة، يتجلى مصداقه الأهم في ظاهرة النوم. وفي الحقيقة، إن النوم يعتبر هو المصداق الأبرز لنزوع الإنسان إلى الحصول على الراحة والتخلّص من التعب. يعتبر النوم من وجهة نظر القرآن نوعاً من الحصول على الراحة وتجديد القوى. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾[2].

لا شك في أن الإفراط والتفريط سيكونان سبباً في عدم الحصول على الهدف المنشود وهو الحصول على الاستراحة الضرورية، وإن نتيجة هذا الإفراط

---

١. الأعراف: ٣١.

٢. الفرقان: ٤٧؛ وكذلك انظر: النبأ: ٩.

والتفريط تؤدي إلى نوع من الاضطراب في سائر الأفعال والنشاطات الحيوية الأخرى للإنسان، وبالتالي فإنهما يشكلان مانعاً وعقبة أمام تكامله ورقيّه. من هنا فإن النوم والاستراحة إذا كانا بمقدار الحاجة فلا يكونانِ ضروريين فحسب، بل سيكونان عنصرين هامّين في التكامل الروحي والمعنوي.

ج) توجيه وهداية الرغبة الجنسية:

إنّ من بين الميول المشتركة الأخرى بين الإنسان والحيوان، نزوعه إلى الرغبة الجنسية تجاه الشريك، وإقامة نوع من العلاقة معه. إنّ الإنسان في تلبية حاجته إلى الطعام والشراب بغية إشباع جوعه أو عطشه لا يضطرّ إلى الارتباط بالآخرين، إذ يمكنه العمل على ذلك بشكل منفرد، وأما فيما يتعلق برغبته الجنسية فيوجد هناك نوع من الارتباط، وإن تلبية الانسان لحاجته الجنسية تستلزم تلبية لحاجة الطرف المقابل أيضاً. وفي الحقيقة، إن الإنسان طبقاً لسلسلة من الآليات الغريزية ـ النفسية، يعمل على تلبية حاجته الجنسية، ولتلبية هذه الحاجة يقيم علاقة مع الآخر، ويعمل على إشباع رغبته وغريزته الجنسية أيضاً. ولا شك في أن البحث بشأن هدفية وهداية الرغبة الجنسية، يجب أن يتمّ من خلال الالتفات إلى هذه الحقيقة. وعلى هذا الأساس، فإننا إذا عمدنا إلى تحليل ماهية الرغبة الجنسية سنواجه عاملين هامين في هذه النزعة، وهما:

١. تلبية الحاجة الجنسية.

٢. العلاقة الحاصلة في سياق تلبية هذه الحاجة الجنسية.

تلبية الحاجة الجنسية:

يدور بحثنا حول هداية وسيطرة الإنسان على غريزته الجنسية وتلبيته لهذه الحاجة الغريزية فيما يتعلق بكيفية تعاطيه وتلبيته لهذه الغريزة، ونحن نسعى إلى بيان موقع هذه النزعة في تكامل الإنسان من الناحية الدينية. وكما

تقـدّم أن ذكرنـا، فـإن جميـع التعـاليم الدينيـة جـاءت فـي سـياق الاهتمـام بالإمكانـات الوجوديـة للإنـسان وتركيبـة خلقـه. بعبـارة أخـرى: إن الـدين ـ بالالتفات إلى البنية الوجودية والحالة النفسية للإنسان ـ قد رصد مجموعة مـن الأهداف التي يمكن تحقيقها، وقـد أقيمـت جميـع الأحكـام والأوامـر الإلهيـة على قاعدتها. ومن بين الأمور التي حضيت باهتمام الدين بشكل خـاص، وتـم وضع الأحكام والقوانين الدينية الخاصة لها، هـي مـسألة الحاجـة الجنـسية. إن أهم مسألة في باب تلبية الحاجة الجنسية ـ بوصفها هدفاً وسيطاً ـ هو تلبية هـذه الحاجة. تعتبر تلبية هذه الحاجة من وجهة نظر الإسلام أمراً يتناسب مع تركيبة الإنسان الوجودية، إلا أن كلاً من الإفراط والتفريط بشأن هذه الغريـزة يـؤدي إلى نتائج سلبية. ويعود سبب الاهتمام الكبير الذي يوليه الـدين لهـذه المـسألة إلى أنه يعمل على تلبية الحاجة الجنسية والنفسية للانـسان، كمـا يلبـي رغباتـه الفطرية الأخرى من قبيل: نزعته إلى حـبّ الأولاد أيـضاً. فهنـاك فـي الإسـلام مجموعة من التعاليم الخاصة الواردة في إطار هذه الرغبة، سواء علـى مـستوى الآيات القرآنية أو الروايات الواردة في السُّنّة الـشريفة، حيـث تـشير إلـى رفـع الحاجة الجنسية وتلبيتها من خلال الزواج، مع التصريح برفض الإعـراض عـن الزواج تحت ذريعة الفقر وما إلى ذلـك، وإليـك بعـض النـصوص الدينيـة فـي هذا المجال: قال تعالى:

ـ ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[١]

ـ روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما بُنيَ في الإسلام بناء أحـبّ إلـى الله وأعزّ من التزويج».[٢]

---

١. النور: ٣٢.

٢. *بحار الأنوار*: ١٠٣/ ٢٢٢.

- وروي عن رسول اللهﷺ أيضاً أنه قال: «النِكاحُ سُنَّتي فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتي فَلَيسَ مِنّي».[1]

وعلى هذا الأساس فإن تلبية الحاجة الجنسية تتخذ في الإسلام شكلاً محدداً، ويتمّ طرحها ضمن هذه الآلية المحدّدة. حيث نجد الآيات والروايات من خلال حثّ الإنسان وتشجيعه على الزواج، تعمل على منعه وردعه عن التهاون في تلبية هذه الرغبة والحاجة الضرورية جدّاً، وتضع أمامه الطريق الصحيح لإشباع هذه الرغبة وتلبية هذه الحاجة. كما أنّ رعاية الاعتدال في تلبية الحاجة والرغبة الجنسية، من جملة الموارد التي تمّ التأكيد عليها في التعاليم الدينية كثيراً. فإن التفريط في هذه الحاجة وتجاهل هذه الرغبة وكبتها، لا يُعدّ من الزهد في شيء أبداً، بل قد تمّ شجب هذا التفريط والتجاهل واستنكاره في التعاليم الدينية أيضاً. وذلك لأن ترك الطريقة المنشودة لرفع الحاجة الجنسية (أي الزواج) أياً كان سببه ودليله، يترك آثاراً سلبية وسيّئة سواء على الفرد أو المجتمع، بحيث يسلب الإنسان إمكانية التكامل الروحي والمعنوي. فالشخص الذي يتنكّر لهذه المسألة المهمّة، ولا يعمل على تلبية هذه الرغبة، ويصرّ على عدم الزواج، إنما يرفض ويتمرّد على أحد أبرز المسؤوليات الاجتماعية، أي أنه يتنصل عن مسؤوليته الاجتماعية في تكفل الأفراد المنضوين تحت مسؤوليته وكفالته. هذا بالإضافة إلى أن عدم الإقبال على الزواج يُضعِف الأواصر الاجتماعية، حيث تبقى سلسلة من الحاجات الإنسانية فيما يتعلق بالعلاقات مع الآخرين، دون أن تجد من يقوم بتلبيتها والاستجابة إلى مطاليبها. من هنا نجد الإسلام ينبذ الرهبانية والزهد السلبي في إطار كبت الغريزة الجنسية.

---

١. المصدر: ٢٢٠.

ومن ناحية أخرى، فإن الإفراط في إشباع هذه الغريزة، له تبعات ونتائج مدمّرة على الإنسان أيضاً. فإن ذلك يؤدي إلى شيوع الفحشاء والمنكر في المجتمع ويؤدي إلى مخاطر كبيرة فيما يتعلق باستمرار النسل أيضاً، قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[1].

هناك تعارض بين الانغماس في الشهوات، وعدم الاستجابة لنداء العقل، وبين الهداية والتعالي، وهذا هو السرّ الكامن وراء تأكيد الدين على توظيف الطرق الصحيحة لتلبية الحاجة الجنسية أيضاً. بالاضافة إلى ذلك فإن العفة وصيانة العرض رهين بتلبية الحاجة الجنسية بالشكل الصحيح، والابتعاد عن المقدمات التي تؤدي إلى الانحراف عن المسار المحدّد. إن التهاون بشأن الأمور التي تدعو الإنسان إلى الإفراط في إشباع غريزته الجنسية، وتجنب الأعمال التي تؤدي بالمرء إلى الزلل، وموارد من هذا القبيل، تلعب دوراً هاماً في هداية وتعديل الغريزة المذكورة.

وفي هذا الشأن يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

---

١. الأعراف: ٨٠ ـ ٨١؛ وانظر: النمل: ٥٥.

٢. النور: ٣٠ ـ ٣١.

العلاقات الناشئة عن الحاجة الجنسية:

كما سبق أن ذكرنا، فإن الدائرة التي تمّ تعيينها من قبل الدين، تعمل على تحديد حرية الإنسان في تلبيته لهذه الحاجة. إن سلسلة القوانين والأحكام الدينية تشتمل على أساليب خاصة للاستجابة إلى الغريزة الجنسية والعلاقة بين الرجل والمرأة، وتضعها في إطار محدّد. إن المنع من الفساد والفحشاء والتحلل والإباحية، وإقامة العلاقات السليمة بين الرجل والمرأة، لا يقتصر على التشريعات الدينية فقط، وإنما يتمّ رصدها والاهتمام بها حتى من قبل الأنظمة والقوانين الوضعية في إطار إدارة المجتمعات البشرية أيضاً. وبطبيعة الحال هناك اختلاف ماهوي بين الأحكام الإلهية والقوانين الوضعية. فإن القوانين الوضعية في الكثير من الأحيان، وبسبب عدم إحاطة الواضعين بالبنية الوجودية للإنسان، لا تكون غير مفيدة فحسب، بل وقد تترتب عليها بعض المشاكل أيضاً. أما الخالق سبحانه وتعالى فهو محيط بمخلوقه ومساره الوجودي وبنيته الماهوية، ولذلك يضع له أفضل القوانين والأهداف، وكما أنه أودع فيه غريزة الميل إلى الجنس المخالف، فقد حدّد له طريقة إشباع هذه الرغبة أيضاً. إن الزواج الذي يتمّ طرحه بوصفه الطريق الوحيد في هذا الاطار حيث يعمل على تلبية هذه الرغبة الجنسية، ويؤدي أيضاً إلى صيانة الأسرة والمجتمع من الانحراف، ويضمن سلامة الأجيال. إن اجتناب الفساد والفحشاء والضياع، من الأهمية بحيث نجد القرآن الكريم يعتبر الزواج مرادفاً لسائر مظاهر القدرة الإلهية، ويذكره بوصفه علامة وآية من آيات الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

---

١. الروم: ٢١؛ وانظر: الأعراف: ١٨٩.

لقد قامت إرادة الله سبحانه وتعالى ـ من وراء خلق الإنسان ـ بتلبية حاجته إلى الهدوء والاستقرار والسكينة من خلال قيام الارتباط والعلاقة مع الجنس المخالف. وإن هذه السكينة إنما تتحقق إذا قامت وفق نموذج خاص. وهنا تكمن مسألة في غاية الأهمية، وهي أن تلبية هذه الرغبة والحاجة الفسيولوجية تشكل أرضية وقاعدة لتلبية حاجات نفسية ومعنوية أسمى، وإن وراء الرغبة الجنسية الظاهرية يكمن هدف أسمى يتمثّل بالحصول على السكينة والطمأنينة وبناء العلاقات العاطفية في إطار الروابط الأسرية. من هنا فإن العلاقات اللامشروعة وغير المعقولة، وإن كانت تؤدي أحياناً إلى تلبية الحاجة الجسدية وإشباع الغريزة الجنسية، إلا أنها لا تستطيع أن تملأ الفراغ الموجود في نفس الإنسان كايملأُه الزواج الشرعي. وبعبارة أخرى: إن التمسك بالطرق غير المشروعة يمكن أن يكون مجرد وظيفة آلية وظاهرية، تخمد الفورة الشَهَوية لدى الإنسان مؤقتاً، ولكن هذا لا يمكن مقارنته بالطمأنينة الثابتة والسكون الدائم والمستقر أبداً.

٣. أهداف الإسلام التربوية في خصوص جسم الإنسان

كما سبق أن ذكرنا، فإن هناك سلسلة من الميول المشتركة بين الإنسان والحيوان، والتي تكون بالقياس إلى ميوله الخاصة في مرتبة أدنى. ومن خلال دراسة الغرائز والميول البشرية، يمكن لنا تصنيفها ضمن إطارين عامين على النحو الآتي:

١. الغرائز والميول التي تقع في المرتبة العليا، وتكون هدفاً وغاية بالقياس إلى الميول الأخرى، من قبيل: النزعة إلى طلب العلم، والبحث عن الحقيقة، وإثبات الخالق، والخلود، والجمال وما إلى ذلك.

٢. الغرائز والميول التي تقع في المرتبة الأدنى، ويكون لها دور آلي، ويكون الهدف من ممارستها هو الحصول على القدرة اللازمة للتقدّم والتعالي.

من هنا عندما نتحدث عن هداية وتعديل الميول والغرائز المشتركة، يكون المراد هو التدبّر في كيفية توظيف هذا النوع من الغرائز في المسار المحدّد من قبل الدين. إن لجسد الإنسان ـ بوصفه وجوداً تؤثر سلامته أو عجزه على حركته نحو الكمال ـ وظائف خاصة في سلسلة تكاليف الإنسان ومسؤولياته. يجب على الإنسان أن يتمتع بالقدرة الجسدية الكافية ليتمكن من التكامل العلمي والمعنوي والصعود في مدارج السعادة، وإذا لم تكن لديه القدرة الجسدية الكافية للقيام بالأمور الروتينية والنشاط اليومي على المستوى الفردي والاجتماعي، وحتى العبادات الظاهرية، فعندها لن يتمكن من التقدّم في مسار التكامل. وبطبيعة الحال، فإن هذا الكلام لا يعني أن الحركة في مسيرة التكامل رهينة بسلامة الجسم فقط وفقط، بحيث لا يمكن للعاجز أن يبلغ التقدم والتكامل بنحو من الأنحاء.

فلو أننا تعمّدنا عدم تلبية حاجاتنا الجسدية، وأدّى ذلك إلى تعرّض أجسادنا إلى الضعف والنحول، بحيث يعوقها ذلك عن التكامل، فإن ذلك لا محالة سيجعلنا مقصّرين من وجهة النظر العقلية والشرعية. فإذا كانت المشاكل الروحية والنفسية، والعجز عن تحصيل العلم والمعرفة، ناشئة عن عدم الاهتمام بالقوى الجسدية، لن يكون لذلك من تبرير عقلي أو شرعي أبداً. عندما يتمّ الحديث عن هدفية أمور يكون لها تدخل مباشر في التأثير على صحة الجسد وسلامته، إنما يكون ذلك ناظراً للدور الآلي والمعدّ لها في عملية التكامل والتسامي. من هنا يجب الاهتمام بالجسم في الحدود المطلوبة، وإن العدول عن تلك الحدود إفراطاً وتفريطاً لا يُعدّ صحيحاً من الناحية الشرعية، فهو في كلتا الصورتين لا يخدم الأهداف الإنسانية العليا، أي الأهداف المرتبطة بالأبعاد الإنسانية والروحية والنفسية. إذ إن ذلك يؤدي إلى التضحية بها من أجل اللّذة الجسدية المفرطة، أو تجاهلها الناشئ عن ضعف

البدن ونحوله. يعود سبب تأكيد الدين على حفظ سلامة الجسد وصحته إلى أن ذلك يوفّر الأرضية اللازمة لإمكان النشاط في مسير التكامل العلمي والمعنوي، ومن هنا تُعدّ رعاية المسائل الصحية، والعلاج المبكر، والتغذية المناسبة، والتحرك والاستراحة الكافية، وما إلى ذلك من الأمور، ضرورية في نظر الدين الإسلامي. إن الكثير من الأحكام الفقهية التي تردع الإنسان ـ بنحو من الأنحاء ـ عن المحرّمات والخبائث، أو توجب عليه الحكم بطهارة بعض الأطعمة والأشربة، أو طهارة البدن والثياب، تؤدي بالتالي إلى سلامة البدن. وتتجلى هذه الأحكام على شكل الواجبات والمحرّمات والمكروهات والمستحبات والمباحات، مما يعكس دقة اهتمام الدين الإسلامي بالأمور المرتبطة بالجسد.

الفصل الثالث

أهداف الإسلام التربوية في خصوص علاقة الإنسان بالآخرين

إنّ نشاط الإنسان يشمل ـ بالإضافة إلى السلوكيات الفردية ـ سلسلة من علاقاته وارتباطاته بسائر أبناء جنسه الآخرين. إن نزعة الإنسان إلى إقامة التواصل والارتباط مع أفراد الإنسانية الآخرين، أدى إلى تزايد اهتمام المدارس الاجتماعية والفلسفية والعلمية بهذه الظاهرة. إن دائرة العلاقات بين الناس لا تقتصر على الزمن الراهن والحاضر فقط، بل تشمل حتى استثمار المصادر الثقافية والعلوم الماضية التي تربطنا ـ بنحو من الأنحاء ـ بأفراد الإنسانية في القرون والعصور القديمة، كما يشمل الأجيال القادمة التي ستعمل على استثمار التراث الذي سنتركه لهم أيضاً. وعلى هذا الأساس، عندما نبحث في علاقة الإنسان بالإنسان، لا يقتصر ذلك على مجرّد الارتباط في قالب محدّد أو دائرة معيّنة في الزمن الراهن. إنّ مقولة الارتباط بالآخرين ـ بالالتفات إلى التوجهات المختلفة ـ تستدعي مواقف تربوية خاصّة. وقد يتخذ هذا الأمر تارة، طابعاً إجتماعياً، وطوراً، طابعاً سياسياً، وأحياناً، طابعاً اقتصادياً أو ثقافياً. وإن كلّ واحد من هذه الأبعاد الارتباطية الخاصة، يُنظر إليه بوصفه من المقولات المستقلة

والمشتملة على بعد أخلاقي في عرض المسائل التربوية الأخرى. إن النظام التربوي الديني، إنما يكون نظاماً حاوياً على الترابط المنطقي بين أجزائه إذا كان ـ في عين شموليته ـ ناظراً إلى جميع الأبعاد الكامنة في وجود الإنسان. لا شك في أن مثل هذا النظام سيكون قادراً على توجيه الأفعال الإنسانية وهدايتها إلى الطُرق الصحيحة في مختلف المجالات. إن النظام التربوي الديني بوصفه نظاماً قادراً على تنظيم وتوجيه النشاط والسلوك الإنساني ـ بالالتفات إلى مطالبه وحاجاته الوجودية ـ هو النظام الحقيقي الوحيد الذي يضمن وصول جميع الناس إلى السعادة. إن من بين أهم المسائل التي حظيت باهتمام الدين، مسألة ارتباط الإنسان بأخيه الإنسان في مختلف المجالات. وإن بيان الأحكام الدينية في هذه المقولة يأتي في سياق الأهداف الوسيطة الممهدة لتكامل الإنسان ورقيّه من أجل بلوغ الأهداف الغائية.

في تبويب جامع للأهداف التربوية في خصوص ارتباط الإنسان بالآخرين، يمكن لنا التوصل إلى تبويب أكثر جزئية للأهداف الوسيطة بما يتناسب ومختلف الأبعاد الارتباطية والوجود البارز لناحية من النواحي الارتباطية الأخرى. فإذا كنا نبحث في موضوع الترابط بالنظر إلى العلاقات المتبادلة، وطريقة التعاطي مع الآخرين، والوظائف المترتبة علينا تجاههم، وكنا بصدد بيان الأهداف التربوية، فإن تلك الأهداف التربوية ستكون بشكل عام ناظرة إلى العلاقات الاجتماعية، وأما إذا كانت الأبعاد السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية هي التي تشكل الركن البارز في العلاقات والروابط، فإن المسائل التربوية سوف يتمّ بحثها من خلال النظر إلى هذه الأبعاد. وفيما يلي سنعمد إلى تبويب وبحث الأهداف الوسيطة في خصوص علاقة الإنسان بالآخرين، ضمن أربعة أقسام فرعية، وهي: العلاقات الاجتماعية، والعلاقات السياسية، والعلاقات الاقتصادية، والعلاقات الثقافية. وذلك على النحو الآتي:

أهداف الإسلام التربوية فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية:

حيث إن الإنسان لا يستطيع القيام بتلبية حاجاته بمفرده، فإنه يبادر إلى إقامة العلاقات والتواصل مع الآخرين. إن نزعته إلى تلبية احتياجاته من جهة، ونزوعه إلى التعالي والكمال من جهة أخرى، يعدّان دافعين قويين يحفزانه نحو إقامة العلاقات والروابط على مختلف المستويات. وعليه فمن أجل دراسة الآفاق الارتباطية بين الناس في الإطار الديني، علينا أن نلتفت إلى الاحتياجات الأساسية للوصول إلى الكمال الذي هو منشأ هذا النوع من العلاقات. إن بحثنا بشأن الأهداف الوسيطة في هذه المقولة ينقسم إلى الأهداف الآتية:

١. الأهداف التربوية فيما يتعلق بالنبيّ والأئمة وخلفائهم

يحتاج الإنسان إلى التربية والهداية الإلهية في عملية رقيّه وتكامله. وعلى الرغم من أننا لا نعيش في عصر النبيّ الأكرم ﷺ أو الأئمة الأطهار ﷺ، بيد أن بإمكاننا الاستفادة من تعاليمهم والسير على النهج الذي اختطوه لنا، كي لا نقع في الانحراف. إن الاهتمام بالأحاديث المأثورة عن المعصومين ﷺ ودراسة سيرتهم تعرّفنا بأركان الهداية والتكامل في النهج الذي أرادوه لنا. فمن وجهة نظر الإسلام لا تكون الاستفادة من الشرائع الدينية والأحكام الإسلام ممكنة إلا من خلال التأسي بنهج وسُنّة المعصومين ﷺ، فقد رُويَ عن الإمام جعفر الصادق ﷺ أنه قال: «لا يُعرَف اللهُ ودينُه وحدودُه وشرائعُه، بغَيرِ ذلك الإمام»[1]. ولذلك يجب في الشريعة الإسلامية اتباع الولاية التي تبدأ بالنبيّ والأئمة، وتنتهي بالفقيه الجامع للشرائط (في عصر الغيبة)، وصولاً إلى الإمام المهدي ﷺ. رُويَ عن الإمام محمد الباقر ﷺ أنه قال: «أفضلُ ما يتقرّب بهِ العِبادُ إلى الله عزّ وجلّ، طاعةُ الله، وطاعةُ رسولِه، وطاعةُ أولي الأمر»[2].

١. العلامة محمد باقر المجلسي، *بحار الأنوار*: ٢٤/ ٢٩٠.
٢. الشيخ الكليني، *أصول الكافي*: ١/ ١٤٤.

٢. الأهداف التربوية فيما يتعلق بالمعلِّم أو المتعلِّم

إن احتياج الإنسان المتزايد إلى طلب العلم، وخوض مسيرة التكامل العلمي والمعنوي، يسوقه إلى إقامة العلاقات والروابط الجديدة في إطار التربية والتعليم. وقد كان هذا الأمر يتحقق في الأزمنة السابقة بشكل بسيط يتجلى في نوع من العلاقة والارتباط المباشر بين المعلِّم والمتعلِّم، بيد أن اتساع مقولة التربية والتعليم وبناء المؤسسات المستقلة في هذا المجال، أدى إلى تعقيد منظومة العلاقات، وبتبع ذلك أخذت الأهداف التربوية المنشودة تتخذ هي الأخرى منحىً معقداً أيضاً. لسنا نروم ـ من خلال رسمنا للأهداف التربوية في سلسلة الأهداف الوسيطة من وجهة نظر الإسلام ـ أن نهتم بجميع الأمور التي تقع موضوعاً خاصاً للتربية والتعليم المعنوي والعلمي في مؤسسة التربية والتعليم، بل إننا نروم بيان الخطوط العامة في هذا المجال. إن هذه الخطوط العامة والعريضة ترسم التوجهات والأهداف فيما يتعلق بالمعلِّم أو المتعلِّم، وسائر أركان المؤسسة التعليمية والتربوية في المسار التعليمي.

مسؤوليات المعلِّم تجاه المتعلِّمين

إن رسمنا وتنظيمنا للعلاقة بين المعلِّم والمتعلِّم ضمن الأطر المستنبطة من القواعد العامة في تربيتنا الدينية، يضعنا أمام المحورين الآتيين:

أ) مسؤولية المعلِّم تجاه المتعلِّم في مجال إلقاء المفاهيم الدرسية التخصصية:

ـ الصلاحية والكفاءة في أمر التعليم: إن التدريس والتعليم، من المناصب التي يحتاج المرء في إحرازها أن يتصف بالاستحقاق واللياقة والتخصّص. إن المعلِّم في ارتباطه بالمتعلِّم، إنما يكون ناجحاً إذا كان متمكناً وعالماً بموضوع الدرس، وكانت له القدرة على نقل المفاهيم إليه. وعليه فإن الدخول في موضوع دون التخصّص فيه، ونقل المسائل العلمية بشكل ببغائي دون إدراك

مضامينها، لا يساعد الطالب على الرقّي والتكامل العلمي، بل قد يُضعف رغبته وتعلّقه بذلك الفرع العلمي، رُويَ عن رسول اللهﷺ أنه قال:

المُتشبّعُ بما لَم يُعطَ، كَلابِس ثَوبَي زُورٍ.[1]

ـ أخذ مقدرة الطالب الاستيعابية بنظر الاعتبار عند إلقاء الدرس عليه: إن عدم التفات المعلّم إلى المستوى العلمي للطالب، وعدم اهتمامه بشروط التعليم، وإعداد المقدمات اللازمة للدخول إلى البحث، لن يعقّد عليه إدراك المطلب فحسب، بل سيؤدي ذلك إلى عدم رغبته في مواصلة الدراسة أيضاً. ومن هنا، قيل: إن العالم الربّاني هو الذي يعمل على تعليم الناس الأمور البسيطة والسهلة، قبل تعليمهم المعارف المعقدة والمشكلة[2].

ـ السعي وبذل الجهد من أجل التعليم: إن رغبة المعلّم واندفاعه نحو التعليم يؤدي به إلى توظيف طاقته في هذه المهمة الحيوية والهامة، وأن يبذل كلّ ما بوسعه من أجل تعزيز بنيته العلمية والتخصّصية، وإقامة الارتباط المناسب بينه وبين المتعلّمين.

ـ الاستفادة من عنصري التشجيع والعقوبة: إن من بين الأمور التي يتعين على المعلّم أن يلتفت إليها، هي الاهتمام بعنصري الترغيب والحث، بأن يعمل على تشجيع الطالب من أجل تعلُّم المزيد من المفاهيم الدراسية، وردعه عن التساهل في مسألة التعلُّم. لا شك في أن عامل الترغيب والترهيب يؤدي إلى تحسين المسار التعليمي.

ـ تقييم مسار التعليم وطلب العلم: على المعلّم أن يستعمل أسلوباً يساعده في التعرّف على نتائج وثمار العملية التعليمية، بحيث يتوصل من خلاله إلى مدى نجاحه في مجال نشاطه التعليمي. وتوجد اليوم الكثير من الأساليب في

---

١. *منية المريد*: ٦٠.

٢. انظر: *صحيح البخاري*: ١، الباب: ٥٣.

هـذا الخـصوص لتقيـيم المـسار التعليمـي علـى مختلـف المـستويات، وإن الاستفادة منها تلبي الهدف العام من عملية التقييم[١].

ب) مسؤوليات المعلِّم فيما يتعلق بالأبعاد الارتباطية:

ـ حسن الأخـلاق والتواضـع: إن مـن بـين الأوجه الـضرورية فـي العلاقـة القائمة بين المعلِّم والمتعلِّم، مراعاة حسن الخلق. رُويَ عن الإمام الـصادق عليه السلام أنه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

إنّ للعالِم ثلاثَ علاماتٍ: العلم، والحلم، والصمت.[٢]

إن تواضع المعلِّم أمام الطالب يخلق لديه حافزاً قوياً يدفعه نحو بذل مزيد مـن الاهتمام بالمضامين التي يلقيها المعلِّم أثناء الـدرس، وقيامـه بعمليـة التعلـيم. ولكـي نقيم العُلقة العاطفية بين المعلِّم والمتعلِّم، على المعلِّم أن يكون هو مـن يأخـذ زمـام المبادرة إلـى ذلـك، ولا يبقـى بانتظـار الطالـب ليكـون هـو مـن يقـوم باتخـاذ تلـك الخطوة. إن المعلِّم الناجح هو الـذي يحتفظ بمكانتـه العلميـة الرصينة، ومـع ذلـك يكون قادراً على التأثير في كوامِن الطالب الوجودية والعاطفية أيضاً.

ـ العمل على بذل العلم: من بين المسؤوليات الأخرى الملقاة على عـاتق المعلِّـم، هو أن يسعى إلى بذل العلم الطلّاب. فإن في تحـصيل العلـم والمعرفـة والعلـم بكيفيـة إيصالهما إلى الطلّاب خدمة جليلة لهم، وطريقـاً إلـى تكـاملهم المعرفـي. عـن الإمـام الصادق عليه السلام أنه قال: قرأتُ في كتاب عليّ عليه السلام: «إنّ اللهَ لمَ يأخُذ علـى الجُهّـال عهـداً بطَلَبِ العِلمِ، حتّى أخَذَ على العُلَماء عَهداً بِبَذلِ العِلمِ لِلجُهّالِ»[٣].

---

١. جدير ذكره أن كيفية الارتباط بين المعلِّم والمتعلِّم إنما تستنبط ـ في المستوى العام ـ مـن خلال النصوص الدينيـة، ومـن هنـا فـإنّ الاسـتفادة مـن الأسـاليب المـذكورة فـي العلـوم التربوية، وبخاصةٍ علم النفس التربوي، يساعدنا في الوصول إلى هذه الأهداف التربوية.

٢. *أصول الكافي*: ١/ ٨٦، كتاب فضل العلم، الباب الخامس، صفة العلماء، ح: ٧.

٣. *منية المريد في آداب المفيد والمستفيد*: ١٨٥، نقـلاً عـن *أصـول الكـافي*: ١/ ٤١، كتـاب فضل العلم، باب بذل العلم، ح الأول.

ـ ضرورة التطابق بين سلوك المعلّم وقوله: إن الكثير من المفاهيم تحتوي على قيمة أخلاقية، وإذا أضحت ضمن هذه الغاية جزءاً من المحتوى التعليمي، وجب أن تظهر على شخصية الانسان وسلوكه، ولذلك يجب قبل كل شيء ترسيخ هذه المفاهيم في عمق شخصية المعلّم وأفعاله وسلوكياته. فقد رُويَ عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «ثَمرةُ العِلمِ العَمَلُ بهِ»[١]. وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «العِلمُ بغَير عَملٍ وَبالٌ»[٢]. وعليه فإن تأثير السلوك والعمل على الطالب منوط بمحوريتهما في دائرة نشاط المعلّم. وبالإضافة ذلك فإن اتخاذ عنوان: (المعلّم) يعني تحمّل سلسلة من المسؤوليات والأسس الأخلاقية التي يجب أن تنعكس على سلوك المعلّم، مهما كان مضمون التعليم لا يحمل قيمة أخلاقية. وفي الحقيقة، فإن التأثير الأخلاقي للمعلّم رهين بسلوكه النهج الأخلاقي في تصرّفاته وأفعاله.

ـ تربية الطالب على إخلاص النية: إن المراد من إخلاص النية في مسار العملية التعليمية، هو أن يسعى المعلّم من أجل وضع المتعلّمين على السكّة المؤدية إلى الهدف النهائي والغائي، وأن لا يغفل عن الحالات الروحية، وتقديم الرؤية الصحيحة. وعليه تذكير المتعلّمين بأن العلم ليس سوى وسيلة وآلة، وأن الهدف الهام هو كيفية الاستفادة من هذه الوسيلة للوصول إلى الهدف النهائي المنشود.

ـ إيجاد الرغبة لدى الطلاب إلى تحصيل العلم والمعرفة: يجب على المعلّم أن يعمل على تشجيع المتعلّمين على طلب العلم من خلال استخدامه لمختلف الأساليب المشوّقة، بحيث يبادرون إلى طلب العلم والمعرفة برغبة من أنفسهم، وليس بضغط من العوامل الخارجية. ويعتبر إخلاص المعلّم

---

١. *غرر الحكم ودرر الكلم*: ٣٢٧.

٢. المصدر: ٨٥

للطالب عنصراً هاماً في خلق الرغبة لديه إلى المضامين الدراسية والتعليمية. ونعني بالإخلاص، تعاطف الأستاذ مع الطالب، وإدراكه لاحتياجاته، والعمل على تلبية مطالبه، فإن ذلك يعتبر خير وسيلة لرفع الكثير من المشاكل التي يعاني منها طالب العلم. ومن بين الأمور التي تؤدي إلى إيجاد الحافز والدافع لدى الطالب إلى تحصيل العلم والمعرفة، سؤال المعلم عن أوضاع المتعلّمين، مع مراعاة المساواة بينهم في النظرة والمحبة والبسمة.

بالالتفات إلى ما ذكر بشأن كيفية العلاقة بين المعلّم والمتعلّم من وجهة نظر الإسلام، نتوصّل إلى نتيجة مفادها أن الاهتمام بالأمور الجزئية للطلاب، والعناية بمطالبهم في غاية الأهمية. إن هذا الأمر ينطبق على نوع من النظام التعليمي الذي تكون فيه الأبعاد الوجودية الخاصة بالمتعلّم محوراً للاهتمام. إن الاختلاف القائم بين المتعلّمين من حيث الاستعداد أو الحاجات أو الإرادات، يحظى بأهمية خاصة، وإن الاهتمام بهذه الأمور يكون سبباً في ازدهار النظام التعليمي بشكل ملحوظ. وعلى هذا الأساس، فإن النظام التعليمي الذي لا يأخذ الاحتياجات الفردية لشخصية الطالب بنظر الاعتبار، ويذيبها في الدائرة الجماعية، لا يمكن له أن يلبي مطالب النظام التعليمي المنشود من وجهة نظر الإسلام.

٣. الأهداف التربوية فيما يتعلّق بالارتباط بالوالدين:

إن استمرار مسيرة الإنسان وبقاء نسله في منظومة الخلق يكمن في وجوده، وأن دور الانسان في بقائه ونمائه وتوجيه نسله يعود بجذوره إلى أعماق وجوده وماهيته. لقد تعلقت مشيئة الله سبحانه وتعالى بأن يكون الوالدان واسطة لفيضه الإلهي، وأن يلعبا دوراً محورياً في استمرار الحياة وبقائها. وقد أولى الله سبحانه وتعالى أهمية كبيرة لهذا الدور في سلسلة

الخلق. وعندما ينطلق الحديث عن الأهداف التربوية الدينية فيما يتعلق بعلاقة الأولاد بالوالدين، لا يكون ناظراً إلى نوع جديد من الارتباط. فقد أودع الله حبّ الوالدين في جبلّته وتكوينه. إن حبّ الولد لوالديه ليس أمراً اعتبارياً أو تشريعياً، وإن توسط الوالدين في عملية خلق الولد والمحافظة عليه ورعايته، يُشكل حاضنة طبيعية لحبّ الولد لهما. وإن السياسة الدينية في خصوص العلاقة القائمة بين الأولاد والآباء تقوم على أساس تعديل علائقهم. وبشكل خاص يمكن طرح الإفراط في متابعة الأبناء للآباء والأجداد فيما إذا لم تبلغ حدّ المواجهة العلنية مع الله سبحانه وتعالى، بوصفها نموذجاً من التعديل في نوع العلاقات القائمة بين الأولاد والآباء. قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1].

- ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[2].

كما ينتقد القرآن الكريم ويشجب سياسة التبعية للأسلاف في موقفهم الخاطئ فيما يتعلق بعبادة الأصنام والأوثان، والإعراض عن الله سبحانه وتعالى، ونجد القرآن الكريم يقول في بيان الحوار الذي دار بين النبيّ إبراهيم عليه السلام وقومه وأقاربه على النحو الآتي:

- ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[3].

---

١. الأعراف: ١٧٣.

٢. الزخرف: ٢٣؛ وكذلك انظر: هود: ١٠٩.

٣. الأنبياء: ٥٢ ـ ٥٤.

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[1].

وعليه فإن من بين أهداف الإسلام التربوية بخصوص العلاقة بين الأولاد والوالدين، هو الاحتراز من اتباع الأبناء للآباء في سلوكياتهم الباطلة وتصرّفاتهم الخاطئة. إن هذا التحرّز هو نوع من التحرّز التربوي الذي يهدف إلى تعديل محبّة الأولاد لأسلافهم. يرى منطق الدين أن لا شيء ينبغي أن يشكل حاجباً ومانعاً من الوصول إلى الحقيقة، ومن هنا فحيث إن العلاقة العاطفية بين الأولاد والوالدين قد تشكل سبباً للتمسك بآراء الأسلاف الخاطئة التي تؤدي في الغالب إلى الضلال والبُعد عن الهداية، فإنه يسعى جاهداً إلى تعديل هذه العلاقة والخروج بها من حالة الإفراط إلى الحالة الطبيعية. وعلى الرغم من أن هذا الأمر قد تجلى في القرآن الكريم بشكل عام على صيغة عبادة الأوثان والشرك بالله والإعراض عن التوحيد، إلا أنه يتجلى في المجتمعات الراهنة على صور أخرى. إن رغبة الكثير من الأفراد إلى انتهاج المسار العام الذي يسلكه آباؤهم في الحياة، دون تدبّر للعواقب، أمر مألوف ومتعارف عليه. فإن الأولاد بعد أن يتبنوا القواعد التي تحكم سلوك آبائهم، يعمدون إلى تأطيرها ضمن قوالب جديدة للوصول إلى ذات الأهداف التي تجنح في غالبيتها نحو الاتجاهات المادية، ظناً منهم أن ذلك يجعل منهم أصحاب رأي جديدٍ مغاير لما كان عليه أباؤهم، في حين أنهم من خلال إصرارهم على المناهج التي خطّها آباؤهم وأجدادهم، يسيرون على ذات الأهداف حذو القذّة بالقذة، ولكن بعد تغليفها بإطار جديد. جدير ذكره أن الوقوف بوجه التوحيد لا ينحصر بعبادة الأصنام والنزعة المادية فقط، بل له

---

١. البقرة: ١٧٠.

صور متعددة، من قبيل: الغرور والعصبية والتكبّر والانغماس في المظاهر الدنيوية، وخاصة في عصرنا الراهن، حيث تشكل هذه الأمثلة أبرز مصاديقها.

بعد بيان هذا البُعد التربوي، الذي سبق أن أشرنا إليه في باب الأهداف المعرفية من زاوية أخرى، سندخل في بيان الأهداف التربوية من بُعدها الإيجابي.

أ) إحترام الوالدين

ماذا نعني باحترام الوالدين؟ وما الذي نعنيه بضرورة رعاية حرمتهم، وكيف يتعيّن علينا أن نقوم بهذا الواجب؟ يمكن لنا أن نبحث في مسألة الإحترام ومراعاة الكرامة من زاويتين:

أ) ما هو منشأ ضرورة احترام الآخرين؟

ب) كيف يمكن تحقيق ذلك، وما هي الأدوات التي يمكن لنا توظيفها في هذا المجال؟

فيما يتعلق بالإجابة عن السؤال الأول، يجب القول: إن المرء إنما يقوم بعمل إذا كان يلبي حاجته الخاصة بنحو من الأنحاء. وإن أحد الأمور التي تمتدّ بجذورها في الحاجة الخاصة لدى الإنسان، هو احترام الآخرين والاعتراف بحقوقهم، مما يلعب دوراً في رفع احتياجاته. إن اختلاف نشاط الإنسان في مجال احترام الآخرين يحكي عن قوّة أو ضعف هذه الحاجة في الإنسان. وبشكل عام يمكن القول: كل امرء يقوم بلعب دور أكبر في رفع احتياجات الشخص، ويكون ذلك الشخص متمتعاً باحترام أكبر عنده. إن الاختلاف في أسلوب التعاطي مع الآخرين، ومستوى الاهتمام بهم ناشئ عن مقدار تأثير القوّة الخارجية في رفع احتياجات الإنسان، فهو يعمل على تلبية طاقة المساعد بما يتناسب ومساعدته. ويتجلى هذا الأمر فيما يتعلق بعلاقة الإنسان بالله على أعلى وأشد مستوياتها، حيث تتخذ ماهية الاعتراف بالحق والإقرار بالجميل الذي يستحق الشكر، إلا أن النقطة

التي يجب علينا الالتفات إليها، هي أننا مخلوقون لله، وإن كل ما لدينا إنما هو منه تعالى، وعليه فإن شكرنا لله ليس تلبية لحاجة الله لأنه تعالى غنيّ عن خلقه. وعليه فإن الاحترام هنا يعني الشكر، وإن فوائد ذلك تعود إلينا، لا إلى الله.

وإذا تجاوزنا هذه المرحلة، نصل إلى مسألة الاحترام فيما يتعلق بالوالدين، والذي يقع بحسب التسلسل في المرتبة التالية للعلاقة مع الله. وفيما يتعلق باحترام الوالدين يصعب علينا أن نفصل ماهية الاعتراف بالحق عن الاحترام. وبعبارة أخرى: بالالتفات إلى أن الاعتراف بالحق والشكر بما هو نوع من الوفاء للشخص الذي قام لنا بحل مشكلة من مشاكلنا، يتضمن نوعاً من إيصال المساعدة والتعاون المتبادل، إلا أن الاحترام يعني من زاوية أخرى الحفاظ على حرمة الشخص ورعاية منزلته وشأنه. وأن الاحترام بمعنى الاعتراف بوجود حرمة للأفراد يشتمل على معنى إيجابي، ويشتمل على معنى سلبي أيضاً. فأحياناً نحافظ على احترام الآخرين من خلال مراعاة حقوقهم، وأحياناً أخرى من خلال الاجتناب عن الأمور التي تخدش منزلتهم وشأنهم. يرى القرآن الكريم أن رعاية حقوق الوالدين تقع في طول رعاية حرمة الله، وفي مرتبة تالية لها. قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1].
- ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[2].
- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾[3].
- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾[4].

---

١. الأنعام: ١٥١.
٢. الإسراء: ٢٣.
٣. النساء: ٣٦.
٤. البقرة: ٨٣.

إن هذا الهدف من الأهمية بمكان بحيث تمّ التأكيد عليه بمختلف الأنحاء. فتارة يجعل الله سبحانه أخذ العهد والميثاق واسطة للحفاظ على الاحترام، وتارة يُصرّح بهذه المسألة، وأخرى يحثّ على هذا الأمر من خلال الأمر به.

وأما فيما يتعلّق بالسؤال الثاني، وما هي الأدوات والسبل التي يتعيّن علينا توظيفها للقيام بهذا الأمر الهام؟ فيجب القول: إنّ رؤية الإسلام ـ كما رأينا في ما تقدم من آيات القرآن الكريم ـ تقوم على أن الإحسان بالوالدين لا ينفك عن احترامهم. إن الإحسان من الأهمية بحيث يؤدي إلى علوّ مقام الإنسان، وحصوله على المراتب السامية، حتى أن الله عز وجل يذكر أن من أسباب بلوغ يحيى عليه السلام مقام النبوّة، هو إحسانه إلى والديه. وفي الحقيقة، إن الإحسان وما له من قيمة أنسانية يعتبر من الأساليب العامة للوصول إلى الهدف التربوي المنشود لنا، أي الحفاظ على حرمة الوالدين ورعاية احترامهم. وإن احترام الوالدين إنما يبلغ كماله إذا اقترن بالخضوع وخفض جناح الذل لهما. قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[1]. وبذلك يحصل على العزّة والكرامة والشوكة، تماماً كما يحصل على ذلك من خلال الخضوع والعبودية لله عز وجل.

ب) الاعتراف بحقّ الوالدين

إنّ من بين الأهداف التربوية في الارتباط المتبادل، هو الاعتراف بالحق وشكر النعم، والمعونة التي تعمل ـ بنحوٍ من الأنحاء ـ على حلّ مشاكل الإنسان وتلبية احتياجاته. وإذا كان الملاك في الاعتراف بالحق والقيام

---

١. الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤.

بواجب الشكر يعود إلى درجة تدخل العنصر المقابل في رفع وتلبية الاحتياج، يجب القول: إن أداء الشكر للوالدين والاعتراف بحقّهم، يأتي بعد الاعتراف بحق الله تعالى، ويقع في الدرجة الثانية من الأهمية. إن تقدير جهود الوالدين في تنمية الأولاد وتقدّمهم، إنما يتحقق من خلال الشكر والاعتراف بحقّهم والقيام بواجب تكريمهم. قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[1].

وعلى هذا الأساس، فكما أن كُفران النعمة واجتناب الاهتمام بحقّ المنعم يستدعي العقوبة الأبدية، كذلك الإعراض عن الوالدين والتقصير في حقّهم يؤدي إلى الابتعاد عن مسير القرب من الله. إن من بين التعاليم التربوية في الإسلام والذي هو من أبرز مصاديق الاعتراف بحق الوالدين، يتجلى في طلب الخير والبركة لهما في إطار الدعاء لهما والذي يعبّر عن نوع من الاتحاد بين الأولاد والأبوين، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة من خلال طلب الغفران والرحمة لهما، إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[2].

إن مسألة الاعتراف بحق الوالدين من الأهمية بحيث إن ضلالهما وانحرافهما لا يشكل مانعاً من طلب الهداية والغفران والخير والإحسان الإلهي لهما، وهو الأمر الذي صنعه النبيّ إبراهيم عليه السلام لهداية عمّه الوثني الذي تولى رعايته وتربيته، ولم يوفر جهداً في طلب المغفرة له. وقد حكى الله تبارك وتعالى ذلك عنه بقوله: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾[3].

---

١. لقمان: ١٤.

٢. إبراهيم: ٤١. وكذلك انظر: نوح: ٢٨.

٣. الشعراء: ٨٦

٤. الأهداف التربوية فيما يرتبط بالعلاقة الزوجية

إن من بين أهم وجوه العلاقة بين الإنسان والآخرين ـ من الناحية الكمية والكيفية ـ هي تلك العلاقة التي تتجلى في الارتباط بين الزوجين. وإن هذه العلاقة تعود بجذورها إلى أعماق الميول والاحتياجات الروحية والنفسية للإنسان. وكما أن الله سبحانه وتعالى قد أودع في قرارة الإنسان هذه الميول والاحتياجات، فإنه قد زوّده أيضاً بإمكانية تلبيتها والاستجابة لها. وإن ما هو المطروح بشكل محدّد من هدفية هذا البُعد في ضبط العلاقة بين الزوجين، هو ذات هذه العلاقة أولاً، وكيفية هذه العلاقة في ظلّ تأثير الضرورات والمحظورات الشرعية ثانياً، حيث تتخذ شكلها الخاص، ولا يمكن بلوغ الهدف المنظور والمنشود للدين من إقامة هذا النوع من العلاقات إلا في إطار هذا الشكل الخاص. وكما تقدم أن أسلفنا فإن الهدف والغاية من الزواج وتكوين الأسرة هي استمرار النسل البشري، وإشباع العواطف والمشاعر والحصول على السكن والطمأنينة. إن أفراد الإنسانية والمجتمعات البشرية لا يمكنها ـ من وجهة النظر الدينية ـ أن تبلغ الكمال والرقي المتمثل في القرب من الله، إلا في ضوء هذه الطمأنينة والسكون. والبحث الذي يطرح نفسه هنا هو بيان كيفية ارتباط كل فرد بزوجه، وموقع هذا الارتباط من العلاقات الإنسانية. وفي الحقيقة، عندما ينطلق الحديث عن كيفية العلاقة الزوجية، فإن الذي يكون الاهتمام به في البين هو عناصر تعزيز بنية وأركان الأسرة والعوامل التي تؤدي إلى زعزعتها. وإن الذي نبحثه ـ قبل كل شيء ـ هو التعرّف على العناصر الدخيلة في تعزيز الكيان الأسري، والمحافظة على أركانه، وما هي العوامل التي يعتبرها الإسلام دخيلة في توثيق أواصر الأسرة، ويمنحها الدور الأكبر في هذا الشأن، لننتقل بعد ذلك إلى البحث عن دور العناصر المذكورة بوصفها من الأهداف التربوية للإسلام في تنظيم شؤون

الأسرة وانسجامها. وبشكل عام، فإن احتياجات الزوج إلى زوجه تنقسم إلى مجموعتين: إحداهما روحية والأخرى مادية، وتبعاً لذلك تنقسم العناصر الدخيلة في رفعها وتلبيتها إلى هاتين المجموعتين أيضاً:

أ) تلبية الاحتياجات الروحية:

حيث كان الإنسان كائناً عاطفياً، ويرى أن تلبية الكثير من احتياجاته رهن بإقامة العلاقات مع الآخرين، فإنه يسعى دائماً إلى التواصل مع إخوته في الإنسانية لرفع هذه الحاجة الوجودية. إن لاحتياجات الإنسان جذوراً في أعماق وجوده، ويمكن تلبيتها عن طريق عناصر وأدوات خاصة. إن بركان الاحتياجات الطاغية للإنسان لا يمكن أن تخمد إلا بدفء الحنان والمحبة. ومن وجهة نظر الإسلام، فإن السكينة والمحبة تعتبران عنصرين رئيسين في إقامة العلاقات واستمرارها.

ـــ المحبة: إن الحاجة إلى المحبة، وأن يكون الإنسان محبوباً من قبل الآخرين، تُعتبر من الاحتياجات الرئيسة للإنسان. وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ:

قَولُ الرَّجُلِ لِلمَرأةِ إنّي أُحِبُّكِ لا يَذهَبُ مِن قَلبِها أبَداً.[١]

إن الحياة المفعمة بالمحبة تصلح لأن تكون أرضية خصبة لتقدم الإنسان ورقيه وتكامله. وإن أهم وأبرز أثر تربوي ناجم عن المحبة يكمن في تكامل الإيمان وقوّته، حيث ينشأ من الاهتمام بالآخرين، والسعي إلى رفع احتياجاتهم. رُويَ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «العَبدُ كلّما ازدادَ لِلنساءِ حُبّاً، ازدادَ في الإيمانِ فَضلاً»[٢].

وهذا الغير هو الذي يهتم بالآخر بوصفه زوجاً، ويعمل على هداية

---

١. *وسائل الشيعة*: ٩/ ١٠.

٢. المصدر: ج ١١، ح ١٠.

البصيرة من الفحشاء والمنكر، وتوجيهها نحو العفاف والتقوى؛ إذ رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

جُلوسُ المَرءِ عِندَ عِيالِهِ أحَبُّ إلى الله تَعالى مِن اعتكافٍ في مَسجدي هذا.[١]

وعنه ﷺ أيضاً أنه قال: «إنّ المَرءَ لَيُؤجَر في رَفعِ اللُّقمَةِ إلى في امرأتِه»[٢].

وعنه ﷺ أيضاً أنه قال:

إذا سَقى الرجلُ امرأتَه، أُجِر.

وعنه ﷺ أيضاً أنه قال:

ما مِن امَرأةٍ تَسقي زَوجَها شُربَةٌ مِن ماء، إلّا كانَ خَيراً لَها مِن عِبادةِ سَنَةٍ.[٣]

وفي المقابل يتم شجب واستنكار النزاع وعدم التعاطني والانسجام الأُسري؛ لأن المناخ المتشنِّج يقضي على عنصر استمرار الحياة الأسرية، ونعني به العنصر المتمثل بالحب والحنان. رُوِيَ عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال:

ملعونةٌ، ملعونةٌ امرأةٌ تُؤذي زَوجَها. وسَعيدةٌ، سعيدةٌ امرأةٌ تُكرِمُ زَوجَها ولا تُؤذيهِ، وتُطيعُهُ في جَميعِ أحوالِهِ[٤].

ـ السكينة: لقد اعتبر الحصول على السكينة واحداً من الأهداف الأساسية من الزواج، إذ يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥].

إن أُنس الإنسان بالإنسان وشعوره إلى جواره بالسكينة، إنما هو ثمرة

---

١. *ميزان الحكمة*: ٤/ ٢٨٧.

٢. *المحجة البيضاء*: ٣/ ٧٠.

٣. *بحار الأنوار*: ج ١٠٣.

٤. المصدر: ج ١١، ح: ١٠.

٥. الروم: ٢١.

استمرار المحبة وقيام كل واحد من الزوجين بواجباته تجاه الآخر، ومن هذه الناحية كان وجود الزوج ـ من وجهة نظر الدين ـ إلى جانب زوجه نعمة إلهية تستحق الشكر والاعتراف بالحق. ومن هنا قال الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق:

وحقُّ الزوجةِ أن تَعلمَ أنّ اللهَ عزّ وجلّ جَعَلها لكَ سَكَناً وأُنساً، وتَعلَم أنّ ذلكَ نعمةٌ مِنَ الله تَعالى عليكَ؛ فَتُكرمُها وتَرفقُ بها، وإن كانَ حَقُّكَ عليها أوجَبَ، فإنّ لها عليكَ أن تَرحَمها لأنّها أسيرُكَ، وتُطعِمُها وتَكسوها، فإذا جَهِلَت عَفَوتَ عنها.[1]

وأنّ حسن الخلق والألفة والعفو والصفح وغض الطرف والتغاظي عن الأخطاء، من العوامل الرئيسة في ترسيخ دعائم السكينة والهدوء في الأسرة. رُويَ عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال:

فَدارِها على كُلِّ حالٍ، وأحسِنِ الصُّحبَةَ لها؛ لِيَصفو عَيشُكَ.

ب) تلبية الاحتياجات المادية:

الحاجة الجنسية: إن هذه الحاجة تعدّ واحدة من الاحتياجات البديهية والفطرية التي تؤدي إلى التواصل واستمرار هذا التواصل، بل إن من بين التفسيرات البارزة فيما يتعلق بالحصول على السكينة إلى جوار الزوج هو التفسير المرتبط ارتباطاً مباشراً بالاستجابة إلى الحاجة الجنسية. رُويَ عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

فَإنّ لها حَقَّ الرّحمةِ والمُؤانسَةِ، ومَوضعَ السكونِ إليها قَضاءُ اللّذَّةِ التي لا بُدَّ مِن قَضائِها، وذلكَ عَظيمٌ ولا قُوّةَ إلّا بالله.[2]

الحاجة الاقتصادية: إن مسؤولية الرجل في تلبية الاحتياجات الاقتصادية

---

١. تحف *العقول*: رسالة الحقوق: ٢٤١، الحق رقم (٢٠).

٢. تحف *العقول عن آل الرسول*: ١٨٧، نقلاً عن رسالة الحقوق، الحق: ١٩.

لزوجته تعدّ من بين الأمور التي أكد الإسلام على ضرورتها كثيراً. وقد سألت امرأةٌ رسولَ الله ﷺ عن حقّ المرأة على زوجها؛ فقال ﷺ ما مضمونه: أن يُطعِمُها مِمّا يُطعِمُ به نفسَهُ، وأن يُلبِسَها مِن جِنس ما يَلبَسُ. ورُويَ عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «إنّ أرضاكُم عِندَ الله أسبَغكُمْ على عِيالِهِ».[1]

إن توفير الرفاه في الأسرة وإشاعة روح التسامح، من المسائل الهامّة في العلاقات الاقتصادية بين الرجل والمرأة[2].

٥. الأهداف التربوية فيما يرتبط بالعلاقة مع الولد

وصل بنا البحث بشأن سلسلة الأهداف الوسيطة ـ التي تتراوح بين الهدف الغائي وأفعالنا وأنشطتنا الجزئية ـ إلى الأهداف التربوية في إطار العلاقة بين الأولاد والأبوين. إن التواصل مع الأولاد يتبع سلسلة من القواعد والقوانين التربوية الخاصة. نسعى في هذا المقال إلى بيان رؤوس الأقلام والخطوط العريضة التي تساعدنا بنحو من الأنحاء فيما يتعلق بالارتباط والتواصل مع الأولاد وتربيتهم. وهذه الخطوط العريضة هي الأهداف الوسيطة التي يجب أن تكون في متناول الوالدين بشكل ملموس. نحن لا نرمي إلى بيان كيفية تربية الأولاد، والأهداف التربوية من هذه الزاوية، وإنما المهم ـ بالنسبة لنا ـ هو بيان الموقف الديني فيما يتعلق بعلاقة الإنسان مع الآخرين، بمن فيهم الأولاد. بشكل عام، فإن مسألة التعلق بالولد والاهتمام بتلبية رغباته واحتياجاته الضرورية، تشكل محور تحديد الأهداف الوسيطة في إطار النظام التربوي الديني. وبالالتفات إلى التعلق العاطفي والمحبة التي تعمر قلب الوالدين تجاه أولادهما، وتعديل هذه النزعة وتوجيهها نحو الهدف الغائي، يمكن بيان الأهداف الوسيطة في النظام التربوي للإسلام.

---

١. المصدر: ١٩٩.

٢. انظر: *وسائل الشيعة*: ١٤/ ١١٨.

أ) تجنب الإفراط والتفريط في تربية الأولاد

إن لدى الإنسان نزعة فطرية وميلاً خاصاً إلى حبّ أولاده، بحيث نجده على أتمّ الاستعداد للمخاطرة بنفسه من أجل سلامة وأمن أولاده. وإن لهذه النزعة جذوراً تمتدّ في أعماق وجوده وكيانه. وإن جذور العواطف التكوينية من معين الخليقة في وجود الإنسان، لتتفرّع ثمارها في دوحة الحياة عن براعم تتمثل في الأولاد أنفسهم. إن الشعور بالوحدة والتلاحم مع الأولاد يمتدّ بجذوره في أعماق روح الوالدين. والذي يقع مورداً لخطاب الدين التعليمي والتربوي هو هذه الناحية التي تتعرّض على الدوام للإفراط والتفريط. إن المبالغة والإفراط في الاهتمام بالولد، أو التقصير والتفريط في ذلك يترك تبعات وآثار سلبية خطيرة، ومن هنا نجد الدين يؤكد على عدم الانزلاق في الإفراط والتفريط في هذه الناحية. وقد شجب القرآن الكريم في بعض آياته التقصير في حق الأولاد وعدم الاهتمام بهم والتهاون في تلبية مطاليبهم، وذلك إذ يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً﴾[1]. كما تمّ استنكار قتل الأولاد بسبب جنس المولود أو بسبب المشاكل المادية، وعدم الاهتمام بعناصر توثيق الروابط بين الوالدين وأولادهما. وقد ذهبت بعض الروايات إلى اعتبار مسألة التفريط وتجاهل حقوق الأولاد نوعاً من العقوق الذي يطال الوالدين من قبل الأولاد. وبعبارة أخرى: كما يجب مراعاة حقوق الوالدين على الأولاد، كذلك من الضروري أن يراعي الوالدان حقوق أولادهما. فمن وجهة نظر الإسلام فإن التقصير في تلبية حاجة الأولاد (المادية والنفسية) وضياع شخصيتهم ومصيرهم، سيعرّض الوالدين إلى نقمة الله، ويؤدي إلى عقوق الأولاد. فقد رُويَ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

---

١. الإسراء: ٣١؛ انظر: الأنعام: ١٤٠ و ١٥١.

يَلزَمُ الوالِدَينِ مِن عُقوقِ الوَلَدِ، ما يَلزَمُ الوَلَدُ لَهما مِنَ العُقوقِ.[١]

وقد ورد هذا الحديث بصيغة أخرى، حيث قال ﷺ:

يلَزمُ الوالِدَ من الحقُوقِ لوَلَدِه، ما يَلزمُ الوَلدَ مِنَ الحُقوقِ لوالدِه.[٢]

وكما أن التهاون والتقصير في تلبية الاحتياجات الرئيسة للأولاد يُعدّان مانعاً من تسامي الوالدين، فإن المبالغة في الاهتمام بهم تشكل أيضاً عقبة أمامهم تحول دون ارتقائهم قمّة القرب من الله سبحانه وتعالى. فإن من أهم العناصر التي تعرّض الوالدين إلى الانحراف والزلل هو هذا الشعور المفرط في حبّ الأولاد. فهناك من يغوص في عباب وقعر بحر حبّ أولاده بحيث يستحيل عليه العودة إلى ساحل النجاة. وقد اعتبر القرآن الكريم هذه المسألة واحدة من مواطن اختبار إيمان الوالدين، وذلك إذ يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٣]. ويقول سبحانه أيضاً: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

إن بذل الجهود من أجل ضمان الرفاه المادي للأولاد من خلال ارتكاب الممارسات غير المشروعة، تحت ذريعة القيام بواجب الأبوّة أو الأمومة تجاه الولد، وكذلك الامتناع عن الجهاد في سبيل الله، وغير ذلك من الوظائف والمسؤوليات والواجبات الشرعية، هي من التبعات والآثار السلبية لهذا الحبّ المبالغ فيه تجاه الأولاد. قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٥]، وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ

---

١. *بحار الأنوار*: ١٠٤/ ٩٣.
٢. *ميزان الحكمة*: ١/ ٧٢٣.
٣. الأنفال: ٢٨.
٤. التغابن: ١٥.
٥. المنافقون: ٩.

أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١].

بالالتفات إلى ما تقدم، ندرك أن علاقة الوالدين بأولادهما إذا لم تخضع لملاكات محددة، ولم تكن بمعزل عن الإفراط والتفريط، فإنها تحدث إرباكاً في تربية الأولاد، وقد تشكل عقبة دون تمكن الوالدين من طيّ مدارج الرقي والكمال أيضاً.

ب) مسؤولية الوالدين تجاه الأولاد

إنّ من الضروري جداً أن يتمّ الالتزام بشكل جاد بالتعاليم التي ترسمها الشريعة السماوية فيما يتعلق بتربية الأولاد. والمراد من تربية الأولاد هو تنشئتهم في مختلف المراحل، مع الأخذ بنظر الاعتبار الأبعاد الوجودية بجميع أنواعها الجسدية والنفسية والاجتماعية. وعليه فإن البحث بشأن الأهداف التربوية في إطار الاهتمام بوظائف الوالدين تجاه الأولاد، والحق الذي لهما عليهم، ناظر إلى تحديد الخطوط الحقوقية العريضة التي يجب مراعاتها من قبل الوالدين بشكل كامل، ويمكن بيان هذه الحقوق على النحو الآتي:

١. **تلبية احتياجات الأولاد**: إن للأولاد ـ كما هو الحال بالنسبة إلى الزوجة ـ حقوقاً، ومن أهمها تلبية الاحتياجات الأولية، من قبيل: المأكل والملبس والأمن، وكذلك توفير الأرضية المناسبة لتربيتهم وتقدّمهم. رُويَ عن النبيّ الأكرمﷺ أنه قال في جواب مَن سأله عن حق الولد: «وأن تضعه موضعاً حسناً».[٢]

إن التقصير في تلبية الاحتياجات الأولية للأولاد، يُشكل عقبة أمام تكاملهم وبلوغهم المراحل العليا. وعليه، فإن توفير الأجواء المناسبة لتقدّم

---

١. آل عمران: ١١٦؛ انظر: آل عمران: ١٠؛ المجادلة: ١٧؛ سبأ: ٣٧.

٢. *وسائل الشيعة*: ١٥/ ١٩٨، ح ١.

الأولاد ورقيّهم في مدارج الحياة، يعتبر من أهم الوظائف التي يتعيّن على الوالدين أن يضطلعا بها. فقد رُويَ عن رسول اللهﷺ فيما يتعلق بمسؤولية رعاية الأولاد أنه قال:

كُلُّكُم راعٍ وكُلُّكُم مَسؤولٌ عَن رَعيَّتِهِ. والرَّجلُ راعٍ على أهل بَيتِهِ، وهو مَسؤولٌ عَن رَعيَّتِهِ. والمَرأةُ راعِيَةٌ على أهل بَيتِ بَعلِها وَوَلَدِهِ، وهيَ مَسؤولَةٌ عَنهُم.[1]

٢. المحبّة: إن من بين أركان تربية الولد، هو إقامة التواصل المناسب معه على أساس من المودة والمحبّة؛ لأن المحبّة بوصفها أهم واسطة في إقامة التواصل، يجب أن تخضع لاهتمام خاص. والمراد من المحبّة في هذا البحث هو توفير الظروف التي يتلقى فيها الولد دَفقات من المحبّة والمودّة، كي يتم بذلك تجاوز معضلة تجاهله وإهماله. هناك الكثير من الروايات المشتملة على ضرورة إبداء المودة والمحبّة للأولاد. ومن ذلك ما رُويَ عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال:

إنّ اللهَ يَرحَمُ العَبدَ لِشِدّةِ حُبّهِ لِوَلَدِهِ[2]،

ورُويَ عن رسول اللهﷺ أنه قال:

مَن قَبَّلَ وَلَدَهُ، كَتَبَ اللهُ لَهُ حَسَنَةً. وَمَن فَرَّحَهُ، فَرَّحَهُ اللهُ يومَ القيامَةِ.[3]

وبالالتفات إلى التعاليم الإسلامية التربوية الأخرى، ندرك دلالتها على هذا الأمر بوصفه واسطة لإقامة الارتباط التربوي بين الوالدين والأولاد.

٣. تربية الولد: إن البحث بشأن تربية الولد، هو من أهم الموارد التي أكّد عليها الإسلام كثيراً. إن تلبية احتياجات الأولاد يمهد الأرضية لهم لبلوغ

---

١. مجموعة ورّام: ١/ ٦.

٢. من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣١٠.

٣. ميزان الحكمة: ١٠/ ٦٩٩.

المراحل التربوية العليا في طريق التكامل والرقّي. وعلى هذا الأساس، تندرج مقولة التربية ـ ضمن ترتيب منطقي ـ بوصفها هدفاً وغاية لسائر المقولات الارتباطية بالأولاد. إن تربية الولد بشكل شامل وواسع يستوعب جميع أبعاده الوجودية. بحيث إن تجاوز أيّ واحد من هذه الأبعاد، يترك آثاراً لا يمكن تداركها على مسار حياة الولد وتقدمه. وبشكل عام فإن الخطوط العريضة التي نحتاج إليها فيما يتعلق بتلبية احتياجات الأولاد، على النحو الآتي:

ـ **تعلّم العلوم والفنون:** في كلّ زمان تتجدد بعض العلوم والفنون بما يتناسب والاحتياجات الجديدة، ويمكن للاطلاع عليها أن يسهم في حلّ المشاكل المستحدثة. وفي الحقيقة، إن توفير الرفاه والسعادة والأمن في الحياة رهن بتعبيد طرق العلم والمعرفة والفن، وهنا تتجلّى مسؤولية الوالدين في توجيه أولادهما إلى أهمية دور العلم والمعرفة في الحياة. وبطبيعة الحال، فإن مناهج التعليم تتغير على الدوام بما يتناسب والتقدّم والتطوّر في كلّ عصر وزمان. وعليه، فإن تعلُّم الكتابة والسباحة والرماية وإن كانت تحظى بالأولوية والأهمية في المجال المعرفي في عصر النبيّ الأكرمﷺ، حتى رُويَ عنه أنه قال:

حَقُّ الوَلَدِ على والدِهِ أن يُعلِّمهُ الكِتابَةَ والسِباحَةَ والرمايةَ.[1]

وعنهﷺ أيضا: «علّموا أولادَكُمُ السِباحَةَ والرمايَةَ»[2]. كما رُويَ عن الإمام عليّعليه السلام أنه قال: «مُروا أولادَكُم بِطَلَبِ العِلمِ»[3]. وأما في العصر الراهن، فبالالتفات إلى ظهور الاحتياجات الجديدة وتنوّع المضامين التعليمية لا يمكن للإقتصار على هذه الموارد أن يلبّي أهدافنا في عملية تربية الأجيال في المرحلة الراهنة. وفي الحقيقة، إن كلام رسول اللهﷺ إنما هو ناظر إلى

١. *ميزان الحكمة*: ١/ ٧٢٠.
٢. *وسائل الشيعة*: ١٢/ ٢٤٧.
٣. *ميزان الحكمة*: ١٠/ ٧٢١.

الحاجة الراهنة، وقد عبّر عنها من خلال أبرز مصاديقها في عصره، فكما أن السباحة تنقذ الإنسان من الموت غرقاً، بالإضافة إلى كونها رياضة تساعد على بناء الجسم والحفاظ على الصحّة وتقوية البنية، كذلك فإن الحصول على الأمن رهن باكتساب المهارات في هذا الفن، وعليه، فإن كل ما من شأنه أن يقوم بهذه الوظيفة، يكون مندرجاً تحت العنوان الذي حثّ الرسول ﷺ على تعلّمه. وعليه، فإن الخط التعليمي العام، يتحدد من خلال الالتفات إلى المصاديق والمضامين المختلفة الراهنة التي تعود في منشئها إلى الاحتياجات المستحدثة، وتتخذ أشكالاً جديدة ومعاصرة.

ـ **تعلم الآداب والتربية الأخلاقية**: إن من بين موارد تعليم الأولاد، هو تعليمهم الآداب والسنن الحسنة والتربية الأخلاقية، وإن تنمية فضائل الأخلاق لديهم والحيلولة دون تلوثهم بالرذائل، من أهم نتائج تربيتهم الأخلاقية. فقد رُويَ عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال:

> إِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ حَقّاً، وَإِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقّاً: فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ، وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ.[1]

ورُويَ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «تَجِبُ لِلوَلَدِ على والِدِه ... المُبالَغةُ في تَأديبِهِ»[2]. ورُويَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أكرِموا أولادَكُم وَأحسِنوا آدابَهُم»[3]. والمهمّ في هذا السياق هو الاستفادة من الأساليب التعليمية في مسار تربية ونقل الآداب والأخلاق الحسنة للولد. ولا شكّ في أن المحتوى الضروري في هذا الباب، ممكن استنباطه من النصوص الإسلامية كالقرآن

---

١. *نهج البلاغة*: الحكمة: ٣٩٩.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٨/ ٢٣٦.

٣. *ميزان الحكمة*: ١٠/ ٧٢١.

والسُّنة النبوية الصحيحة، ولو أن هذه النصوص صُبّت في قوالب حديثة، فسيكون تأثيرها على الأطفال كبيراً جداً.

ـ تعليم القرآن والتعاليم الإسلامية الخاصة: لو أن المفاهيم الدينية والتعاليم السماوية لم يتم تعليمها للطفل في صغره، بحيث تستقر في أعماق وجوده وأحاسيسه وعواطفه، فلا يكون هناك ما يضمن بقاءها ورسوخها في نفسه عند البلوغ والكبر. من هنا، فإن الاستفادة من المناهج التعليمية الخاصة بالصغار، تضمن لنا التوجه الصحيح لهم في الأعوام المقبلة. إن تعرّف الصغار على القوانين والأسس الدينية، واستيعابهم للأحكام العملية للدين وأنسهم بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرمﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام، رهن بما نقوم به من تعليمهم وتربيتهم على المناهج الدينية والإلهية، كي نحفظهم من طوفان الحوادث وأمواج الضياع التي سيتعرضون لها عندما يبلغون مرحلة الشباب، لا محالة. رُويَ عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أنْ ... يُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ»[1]. ورُويَ عن رسول اللهﷺ أنه قال:

> أدِّبوا أولادَكُم على ثلاثِ خِصالٍ: حُبِّ نَبِيِّكم، وحُبِّ أهلِ بَيتِه، وقِراءةِ القرآنِ.[2]

ورُويَ عن الإمام عليّ عليه السلام أيضاً أنه قال:

> بادِروا أحداثَكُم بالحَديثِ قَبلَ أن تَسبِقَكُمُ المُرجِئَةُ.[3]

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «علموا أولادَكُمُ الصَّلاةَ، وَخُذوهُم بِها إذا بَلَغوا الحُلُمَ»[4].

بيد أن تعليم الصغار يجب أن يتناسب والظروف الزمانية المتغيّرة. فلربما

---

١. *نهج البلاغة*: الحكمة: ٣٣٩.

٢. *ميزان الحكمة*: ١٠/ ٧٢١.

٣. الحر العاملي، *وسائل الشيعة*: ١٢/ ٢٤٧.

٤. *غرر الحكم ودرر الكلم*.

كان يكفي الاقتصار في عهد النبيّ‎ﷺ على تعريف الأولاد بالقرآن الكريم وبعض الأحاديث، حيث كان لوجود الرسول الأكرمﷺ والأئمة الأطهارﷺ الذين هم منبع الأنوار الإلهية، من جهة، للإجابة عن جميع الإشكالات، وعدم تنوّع الأفكار والعقائد بالقياس إلى ما نشهده في عصرنا الراهن، من جهة أخرى، ما يرسم أمامنا أفقاً واضحاً ومحدداً، وأما في العصر الراهن المفعم بأنواع الضلال والإنحراف، فيتعيّن على الآباء والأمهات أن يشبعوا أولادهم بمعين المعارف القرآنية والأحاديث الشريفة، لتعزيز توجّهاتهم الدينية في مواجهة الأمواج الجارفة لهجوم الكفر والشرك والجهل في هذا العصر.

٦. الأهداف التربوية بشأن علاقة المؤمنين ببعضهم

إن دائرة علاقات الإنسان في تغيّر مستمر، حيث تعمل توجّهاته المتنوّعة للتغيير مساراته الارتباطية. فما هو منشأ هذا التغيّر والانفصال عن العلاقات السابقة والتنكّر لها؟ ولماذا يعمد الإنسان إلى إعادة النظر في علاقاته أحياناً؟ وما هو المعيار والملاك في هذه الخيارات وقطع العلاقات؟ نبدأ الإجابة عن هذه التساؤلات بهذه العبارة: إن أساس العلاقات البشرية يقوم على خلفية من وعي الإنسان وانتماءاته الفكرية. فإن رغبة الفرد في الانتساب إلى عضوية مؤسسة أو جماعة، وبناء العلاقات والجسور مع سائر أعضاء تلك الجماعة، رهن بمدى تطابق مطالبه ورغباته مع مطالب تلك الجماعة ورغباتها، ومدى تلبية تلك الجماعة لتطلعاته. فإذا كان اهتمام الفرد ينصبّ على تلبية حاجاته السامية والاستجابة إلى ندائه الفطري الذي يدعوه إلى مواصلة القرب من الله سبحانه وتعالى، فإن مطالبه ستكون أسمى وأرقى من مجرد تلبية الاحتياجات المادية والحيوانية. إن من بين العناصر الهامة التي تترك تأثيرها على بناء

العلاقات الاجتماعية، هي الاعتقادات والولاءات التي يتبناها الفرد. ولذلك نجد الإنسان المؤمن إنما يقيم علاقاته بما يتناسب وحاجاته الخاصة مع أولئك الذين يستطيعون تلبية هذه الحاجات. ولا شك في أن مثل هؤلاء الأفراد ينبغي أن يكونوا قد توصلوا إلى درجة عالية من التقوى الإلهية ليتمكنوا من توثيق وتعزيز أواصر العلاقة فيما بينهم. وعلى هذا الأساس، فإن الاتحاد في المسلك والرؤية هو الشرط الرئيس في بناء وتعزيز العلاقة والارتباط مع الآخرين واستمرار تلك العلاقة. بالالتفات إلى ما ذكر، فإن تقوية النواحي الارتباطية منوط برعاية الملاكات ـ التي تؤدي إلى تقرّب الناس من بعضهم. وإن هذه الملاكات ـ فيما يتعلق بخصوص علاقة المؤمنين ببعضهم ـ تكمن في الإيمان وتقوى الله. وإن البحث في شؤون الأهداف التربوية في دائرة علاقة الشخص المؤمن بغيره من المؤمنين، ناظر إلى إقامة روح الأخوّة والتعاون بين الأفراد للوصول إلى الهدف الغائي المتمثّل بالقرب من الله. فما أكثر المتعاضدين الذين يراعون قواعد الأخوّة فيما بينهم، ولكنهم للأسف الشديد يصرفون كل جهودهم في المسير الخاطئ. وعليه، فإن الذي يجب علينا الاهتمام به في هذا البحث هو الأخوة والمودّة والمحبّة الموجّهة نحو بلوغ الهدف الأسمى، ألا وهو الوصول إلى القرب من الله سبحانه. قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

ـ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2].

---

١. الحجرات: ١٠.

٢. آل عمران: ١٠٣.

إن أواصر المودّة والأخوة والتعاون إنما تبلغ ذروة الاستحكام إذا قامت على أسس محكمة وثابتة، ولا يمكن لهذا الأمر أن يتحقق إلا من خلال الالتفات إلى العالم الأسمى، وتجاوز الاحتياجات المرحلية. فقد رُويَ عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «مَن آخى في الله غَنِمَ، ومن آخى للدُنيا حُرِمَ»، وعنه عليه السلام أيضاً: «مَودّةُ أبناء الدُنيا تَزولُ لأدنى عارِضٍ»[1]. ورُويَ عنه عليه السلام في موضع آخر، أنه قال: «الناسُ إخوانٌ، فَمن كانت أُخوّتُه في غَير ذات الله فهيَ عَداوَةٌ، وذلك قَولُه عزّ وجلّ ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾[2]»[3].

بالالتفات إلى ما قيل بشأن عنصر الارتباط بين المؤمنين، فإن بناء الفضاء المناسب لإقامة العلاقة فيما بينهم منوط بقيامهم بمسؤولياتهم الدينية واتصافهم بالتقوى الإلهية. وفي هذه الحالة تتوفر الأرضية المناسبة لتربية روح المودّة والمحبّة. وبشكل عام، فإن ترسيخ دعائم الأخوة في المجتمع رهن بعاملين، وهما: توفير الأرضية لبناء الأخوّة، والعمل بالوظائف والمسؤوليات المتبادلة. وسنبحث هذين العاملين ضمن العنوانين الآتيين:

١. أما العامل الأول المتمثل بتوفير الأرضية المناسبة لبناء الأخوّة الدينية والتعاون في ظلّ الشريعة، فإنما يتحقق إذا امتثل أفراد المجتمع للوظائف المفروضة عليهم من قبل الشرع. وفي هذه الصورة يمكن لنا أن نغرس فسيل المحبّة والأخوّة. قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[4].

إن الحاجة إلى الارتباط بين الإخوة المنتمين إلى ذات المسلك،

---

١. *غرر الحكم ودرر الكلم*.
٢. الزخرف: ٦٧.
٣. *بحار الأنوار*: ٧٤/ ١٦٠.
٤. التوبة: ١١.

والحصول على القدرة والوجاهة في ظل بعضهم بعضاً إنما يأتي في إطار مرحلة من تقدم الوعيّ الفرديّ، حيث يقوم الفرد بامتثال وظيفته ومسؤوليته تجاه دينه، ليغدو أهلاً للإنتساب والإنسجام مع بيئته الطبيعية. وإن الذي يؤدي ـ في الإسلام ـ إلى تقريب الناس من بعضهم البعض ويشدّ من أواصر العلاقة بينهم، هو التوجّه نحو الله وامتثال أوامره. وفي مثل هذه الأجواء لن يكون لحفظ الذات من معنى ومفهوم غير المحافظة على الدين، ولكي نحفظ الدين لا مندوحة لنا من إقامة العلاقات وتوسيع رقعتها ونطاقها إلى أبعد الحدود الممكنة. وأما كيفية التوصل إلى بناء هذه العلاقات واستمرارها، فتعود إلى العامل الثاني في مسألة الأخوّة الدينية.

٢. والعامل الثاني هو القيام بالأعمال التي تؤثر في دعم وتوثيق أواصر الأخوّة. إن مسؤولية كل واحد من الأفراد تكمن في الحفاظ على هذه العلاقات من الآفات، والإلتفات إلى مشاعر وعواطف بعضهم البعض. والمهم بالنسبة لنا هو أن بإمكاننا التعرّف على بعضنا في ظلّ هذا العامل والعنصر الذي يؤدي إلى بناء جسور العلاقات ونعني بذلك الإسلام والإيمان بالله والقيام بالوظائف الشرعية. وإن المحافظة على حرمة الأخ في الدين، ومساعدته على القيام بمسؤولياته ورفع مشاكله، وتوفير المناخ المناسب والمطلوب، وإرشاده وما إلى ذلك من الأمور الكثيرة التي تؤثر في المحافظة على الأخوّة وتوسيع نطاقها. وهذا ما أكدت عليه النصوص الدينية التي نذكر منها الموارد الآتية، على سبيل المثال دون الحصر:

١. رُويَ عن النبيّ الأكرمﷺ أنه قال:

مَن أكرَمَ أخاهُ المُسلِمَ بِكَلِمَةٍ يَلطُفُه بها، ومَجلِسٍ يُكرِمُه بِهِ، لَم يَزَل في ظِلِّ الله (عزّ وجلّ) مَمدوداً عليهِ بالرّحمَةِ ما كانَ في ذلِكَ.[١]

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٤/ ٣١٦.

٢. رُويَ عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال:
قَضاءُ حُقوقِ الإخوانِ، أشرَفُ أعمالِ المُتَّقين.[١]
٣. رُويَ عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «إلقَ أخاكَ بوَجهٍ مُنبَسِطٍ»[٢].
٤. ورُويَ عنه صلى الله عليه وآله أيضاً أنه قال:
المُؤمِنُ مِرآةٌ لأخيهِ المُؤمِنِ، يَنصَحهُ إذا غابَ عنهُ، ويُميطُ عنهُ ما يَكرَهُ إذا شَهِدَ.[٣]

٧. الأهداف التربوية فيما يتعلق بعلاقة المؤمن بعامة الناس

يقع موضوع البحث هنا حول العلاقات الاجتماعية والارتباط بالآخرين. فنقول: إن الإنسان يحبّ التعايش مع الآخرين ومشاركتهم في الحياة سواء أكانت اجتماعيته ذات منشأ ذاتي، أو أنه إنما يستجيب لذلك تلبية لإشباع رغبته النفسية والتغلب على مشاكله المادية. ربما أمكن القول ـ بغض النظر عن البحوث النظرية بشأن فلسفة النزعة الإنسانية نحو الحياة الاجتماعية ـ إن المعيار في التعايش بين الناس في النظرة الأولى ليس هو الانتماء إلى معتقد أو مذهب واحد، رغم أن ذلك يلعب دوراً خاصاً في المراحل المتقدّمة من التكامل المعنوي، بيد أنه قبل أن يكون المذهب والمسلك هو محور الأُنس والألفة، نجد أن ماهيتنا المشتركة وهويتنا الواحدة هي التي تسوقنا نحو إقامة مختلف العلاقات والروابط فيما بيننا. إن الفرد إنما يقيم علاقته مع الفرد الآخر إنطلاقاً من إنسانيته، في حين أن العلاقة المنشودة دينياً لا تقوم على هذا المنطلق. وبعبارة أخرى: إن الدين لم يأتِ ليقيم ـ في عرض العلاقات والإرتباطات الإنسانية القائمة على الملاكات البشرية ـ علاقات أخرى مستقلة

---

١. المصدر: ٢٢٩.
٢. المصدر: ١٧١.
٣. المصدر: ٢٣٣.

تقوم على أساس الرؤية المذهبية، ودعوتهم إلى إقامة علاقة من نوع جديد، بل إنه يسعى إلى هداية الناس على أساس من نفس الملاكات والمعايير القائمة على الأسس الإنسانية وتكاملها وتطويرها للوصول إلى الأهداف السامية، والحيلولة دون اضمحلال منظومة القيَم تحت سيطرة الأهواء النفسية والميول المادية والأطماع البشرية. بالالتفات إلى ذلك يمكن القول: إن رؤية الفرد الذي يؤمن بالقوانين والأصول الدينية ـ بوصفها قوانين تعمل على بناء الإنسان فيما يتعلق بإقامة الروابط والعلاقات مع الآخرين دون أخذ مشاربهم ومسالكهم بنظر الاعتبار ـ تختلف عن رؤية ذلك الفرد الذي يقيم علاقاته على أساس من احتياجاته البحتة. إن المؤمن هو الذي ينظر إلى الأمور والعلاقات القائمة من خلال المنظار الإلهي، ويرصد نتائج هذا النوع من العلاقات في إطار أوسع يشمل الملاكات الإلهية أيضاً، خلافاً لذلك الشخص الذي يروم تفسير العلاقات مع الآخرين في ضوء تجاربه المحدودة. واضح أن علم الله بالمسار الوجودي للإنسان ومراتبه يفوق ما يعلمه البشر بشأن واقعه، وأنّ توظيف التعاليم الدينية سيغنيه عن تكرار تجاربه التاريخية المريرة. إنّ بحثنا بشأن الأهداف الوسيطة تحت عنوان (علاقة الإنسان المؤمن بالآخرين)، تأتي أهميته من حيث سعة دائرة العلاقات الاجتماعية فيه، حيث لا تقتصر على خصوص علاقة الفرد المؤمن بالآخرين من المؤمنين فقط، بل تشمل غير المؤمنين أيضاً. يدور بحثنا حول ماهية الأهداف التربوية الحاكمة على هذا النوع الأخير من العلاقات، وما هي ردود الفعل التي تصدر عن الفرد المؤمن في تعاطيه مع الآخرين الذين لا ينتمون إلى المسلك والمذهب الذي ينتسب له. إن ما يتم طرحه في دائرة الإسلام حول أسلوب العلاقة مع الآخرين، هو وجوب التعاطي مع الإنسان بوصفه إنساناً. فإن الإنسان من وجهة نظر الإسلام كائن محترم، ويتمتع بمكانة ومنزلة مرموقة ترفعه وتميّزه من

سائر المخلوقات الأخرى. إن المنزلة والمكانة التي شرّف بها الله الإنسانَ والتي تجلّت في أمر الله لملائكته بالسجود لآدم والاعتراف بمواهبه وطاقاته الكامنة في وجوده من العقل والإدراك والعلم، هو أفضل فخر يحصل عليه الإنسان من الله سبحانه وتعالى. إنّ الإنسان من وجهة نظر الإسلام يتمتع بقيمة لا يمكن حتى للملائكة أن تدركها، فعندما تأتي الملائكة على ذكر ما يمكن لهذا الإنسان أن يقوم به من الموبقات وسفك الدماء، يعمد الله تبارك وتعالى إلى التذكير بتفوّق هذا الإنسان على سائر الكائنات بما فيها الملائكة أنفسهم، ولكي يجسّد ذلك على الصعيد العملي يأمرهم بالسجود له، وبيان تفصيل ذلك من القرآن الكريم على النحو الآتي:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

إن عدم المحافظة على حرمة الإنسان يعتبر من وجهة نظر القرآن مصداقاً بارزاً للشر، ويكون سبباً في البعد عن رحمة الله، كما تمّ حرمان الشيطان من رحمة الله بسبب تمرّده وكبريائه وامتناعه عن الاعتراف بشرف الإنسان. وبالالتفات إلى هذه المنزلة والمكانة السامية التي يتمتع بها الإنسان في المنظور الإسلامي والقيَم المعرفية لهذا الدين، نستنتج أن أهم ركن في العلاقة مع الآخرين تشمل أصلين وقانونين عامَّين، وهما:

---

١. البقرة: ٣٠ ـ ٣٤.

أ) احترام الإنسان لإخوته في الإنسانية: كما تقدم أن ذكرنا، فإن احترام الإنسان لأبناء جلدته له جذور دينية. وفي الحقيقة، إذا أردنا أن نقدّم تفسيراً ظاهرياً للخروج من رحمة الله بسبب عدم مراعاة حرمة الآخرين، نستنتج أن تجاوز حقوق الآخرين يؤدي إلى تعرّض الناس وعدوانهم على حقوق بعضهم بعضاً، والابتعاد عن الإنسانية، والخضوع للأهواء النفسية، الأمر الذي يعرض المجتمع بأسره إلى المخاطر الكارثية. لقد كرّم الله الإنسان في القرآن الكريم وفضّله على الكثير من مخلوقاته، وذلك إذ يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1]. وعليه، فإن الإيمان بهذا الأصل القرآني يمثل خير ضمانة أخلاقية تلزمنا برعاية حقوق الآخرين، وتعمل على تنظيم علاقاتنا ببعضنا البعض. إن الإنسان جدير بالاحترام؛ لأنه مسؤول، وإن مسؤوليته تستلزم حريته في الاختيار. وعليه، يجب على المسلم أن يحترم غير المسلم لمكان إنسانيته، وأن يراعي حرمته من هذه الناحية. إن تجنّب السخرية من الآخرين، وبشكل عام تجنب كل العناصر التي من شأنها أن تقلل من احترام الآخرين، يعتبر من الأصول والقواعد الدولية الثابتة في الإسلام، وإن أي تهاون بها أو عدول عنها يؤدي إلى الفرقة والاختلاف، الأمر الذي يحدث فجوة وثغرة يمكن للشيطان أن يتسلل منها ليحيط بأعمالنا ويسيطر علينا، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

ب) مراعاة العدالة: إن العدالة التي تعني رعاية حقوق الآخرين هي مثل احترامهم قبل أن تكون ذات جذور دينية، فإنها ذات جذور إنسانية، وإن دور

---

١. الإسراء: ٧٠.

٢. الحجرات: ١١.

الدين فيها هو العمل على إثرائها وتنميتها. إن الإنسان من وجهة النظر الدينية كائن جدير بالاحترام والتكريم وبحاجة إلى إقامة العلاقات العادلة، وإلى هيمنة قواعد وأسس، من قبيل: المساواة والاعتدال المنسجمين مع أسسه الوجودية. قال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾[١].

إن الأمة الإسلامية أمة متوازنة، وهي على حدّ تعبير القرآن الكريم أمة وسطية، وهذا يعني أن يكون جميع الناس في بحبوحة من العدل والبعد عن الأحقاد والانتقام والركون إلى التقوى الإلهية، قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

إنّ بإمكاننا من خلال ممارسة الأخلاق الحسنة ورعاية الاعتدال في السيرة والتمسّك بالعدالة والتقوى أن نستعيد مكانتنا كأمة وسطية، وأن نشكل عنصر جذب للناس نحو التكامل من خلال الالتزام بالتعاليم الإسلامية والإنسانية. قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٣].

وعلى هذا الأساس، يمكن للعدالة بوصفها عنصراً هاماً وجوهرياً في دائرة العلاقات البشرية، وفيما يتعلق بارتباطنا بسائر نظرائنا في الإنسانية، أن تلعب دوراً فريداً في تقدّم المجتمعات البشرية وازدهارها.

الأهداف التربوية للإسلام فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية

لا يدور البحث هنا حول الأهداف التربوية فيما يتعلق بالعلاقات

---

١. الشورى: ١٥.

٢. المائدة: ٨.

٣. البقرة: ١٤٣.

الاقتصادية الناظرة إلى المسار الاقتصادي الحاكم في المجتمع الإسلامي، وماهية الاقتصاد، وأهدافه في النظام الإسلامي، بل يدور بحثنا حول سلسلة الأهداف الوسيطة فيما يتعلق بالمساحات المختلفة في التربية الدينية. لا شكّ في أن هذا النوع من المسائل يُطرح على الدوام ضمن توجّه تربوي خاص منتزع من نوع ارتباط الفرد بسائر الحوزات الأخرى، لا أن يطرح في معزلٍ عن أي نوع من الروابط الأخرى. وبعبارة أخرى: إن التربية إنما تتحقق ضمن إطار خاص يختلف بما يتناسب ونوع العلاقات البشرية.

يتبع الإنسان في سلوكه الاقتصادي نموذجاً خاصاً من نماذج الانتاج والتوزيع والاستهلاك. إن هذه المقولات الثلاث تحدّد الكثير من سلوكيات الإنسان، وتستوعب جزءاً كبيراً من حياته اليومية. وإن اهتمام الدين بهذا الجانب من حياة الناس يكمن في ناحيتين:

الناحية الأولى: بيان الأهداف والأساليب الاقتصادية.

الناحية الثانية: بيان الفلسفة التربوية الحاكمة على الأصول والمباني والأساليب الاقتصادية المقدّمة من قبل الدين.

إن المنظور لنا في هذا المقام هو الاهتمام بالفلسفة التربوية والأهداف الدينية التربوية في الروابط والعلاقات الاقتصادية. إذ يدور بحثنا حول ما هي العلاقة القائمة بين الدين والمذهب والأفعال الاقتصادية للإنسان؟ وفي معرض الإجابة عن هذا السؤال يجب التنويه إلى أن الاقتصاد الذي هو شكل من أشكال النشاط الروتيني واليومي للإنسان، يمثّل موضوعاً مناسباً لتطبيق الأهداف التربوية للدين ومضامينه الأخلاقية. إن الذي لا يتمسّك بالأخلاق الاقتصادية المطروحة في النظام الإسلامي، لا يستطيع أن يدّعي التديّن وسلوك مسير الهداية. يرى المنطق الإسلامي أن الإسراف والبذخ والربا واستغلال الآخرين وما إلى ذلك، نتيجة طبيعية لعدم التبعية للمنهج التربوي الديني الخاص بالأخلاق الإسلامية فيما يتعلق بالحقل الاقتصادي. إن ارتباط الإسلام بمقولة الاقتصاد على نحوين:

١. الارتباط المباشر. فإن للإسلام ـ بوصفه ديناً يرسم سبل الهداية في مسار الحياة ـ تعليمات وقوانين خاصّة فيما يتعلق بالمسائل الاقتصادية، من قبيل: الملكية، والتبادل التجاري، والضرائب، والمواريث وما إلى ذلك.

٢. الارتباط غير المباشر. ويتم هذا الارتباط من طريق التربية والأخلاق. فالإسلام يدعو الناس إلى مراعاة الأمانة، والعدل، والإحسان، والإيثار، والإنفاق، وعدم السرقة والخيانة والرشوة وأكل الربا وما إلى ذلك مما يندرج في دائرة الثروة والمسائل الاقتصادية.

إن النظام الاقتصادي المثالي من وجهة نظر الإسلام ليس هو النظام الذي يسعى إلى تلبية حاجة الناس فقط، بل يرى أن النظام الاقتصادي المثالي هو الذي يعمل على تلبية حاجة الإنسان في سياق خاص يضمن تحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير الرفاه والسعادة للجميع. ولذلك، فإن ما ورد في بعض آيات القرآن الكريم من الدعوة إلى الإنفاق والصدقة وتجنّب الإسراف والتبذير، لا يهدف إلا إلى توسيع دائرة الرفاه العام ونشره بين الناس كافة، من ذلك قوله تبارك وتعالى:

ـ ﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1].

ـ ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[2].

وعليه، فإن القانون العام في النظام الاقتصادي للإسلام هو تحقيق العدالة الاجتماعية والرفاه العام، وإن الأهداف التربوية في الدين إنما تأتي في هذا الإطار.

١. أهداف الإسلام التربوية فيما يتعلق بالإنتاج

إنّ الإنسان بحاجة ـ في مواصلة حياته ـ إلى النعم التي أعدّها الله له. وإن بعض

---

١. الأعراف: ٣١.

٢. الإسراء: ٢٦ ـ ٢٧.

هـذه الـنعم يمكـن الحـصول عليـه بيـسر ودون أدنـى عنـاء، مـن قبيـل الأوكـسجين الضروري للبقاء على قيد الحياة، وهو متوفّر دائماً في الجوّ المحيط بـالأرض. وهنـاك من النعم شاءت الحكمة والمصلحة أن لا يتمّ الحصول عليهـا إلا بـشيء مـن الـسعي وبذل الجهود، ولكن بعد الحصول عليها يمكـن الاستفادة منهـا دون إحـداث أيّ تغيير عليها، من قبيل: المـاء فـي المنـاطق الـصحراوية الجافـة. وهنـاك مـن الـنعم التـي تحتاج إلى إجراء بعض التغييرات عليها بعد تحصيلها، مـن قبيـل: إستخراج المعادن، كالحديد والنحاس والذهب والفضة. وعلى كل حال، فإن تقدم الإنـسان رهـن برفـع مستوى حياته ومعلوماته، وهذا يستلزم بذل الكثير من المساعي والجهـود. بـل وحتـى يمكن القول: إن الجهود المادية تترك تأثيرات ملحوظة على المسائل المعنويـة. فمـن باب المثال: نجد الناس ـ في سعيهم إلى توسيع حجم الانتاج ـ يحـصلون علـى معرفـة أكبـر وأكمـل بمـا يحـيط بهـم، ويتوصـلون بـذلك إلـى عظمـة الله فـي الـسماوات والأرض، بل وحتى فـي أنفـسهم، ومـن هنـا نتوصّـل إلـى تـأثير الـنشاط الاقتـصادي والانتاجي على الكمالات المعنويـة. مـن هنـا يمكـن تعريـف الانتـاج ضـمن الرؤيـة الإسلامية على النحو الآتي: (كل نشاط اقتصادي يصبّ في إطار الاستفادة مـن الـنعم الإلهية، سواء أكان ذلك الـنشاط يـتمّ عبـر إنتـاج البـضائع أو عبـر تقـديم الخـدمات). وبالالتفات إلى هذه المسائل يمكن القـول: إن أهـداف الإنتـاج ودوافعـه ترمـي إلـى تلبية الاحتياجات ورفع المستوى المعيشي في حياة الإنـسان. تتحـدّد أهـداف الانتـاج تارة من خلال المصالح العامـة، وتـارة يـتمّ تحديـدها مـن خـلال المـصالح الفرديـة، ولكن الأجدى على ما يبـدو هـو التوليـف بـين المـصالح الفرديـة والمـصالح العامـة. بمعنى إمكانية أن يقوم البعض بالنشاط الانتـاجي بهـدف تلبيـة الاحتياجـات الفرديـة، مع اختيار نوع ذلك النشاط مع أخذ المصالح العامة بنظر الاعتبار. وفـي هـذا المـضمار سيبادر أولئك الذي يحصلون على أكثر مـن فرصـة عمـل، إلـى اختيـار ذلـك العمـل الذي يعود بالفائدة الأكبر على المجتمع، حتى وإن كان الربح الـذي يحـصلون عليـه

أقل مِمّا يحصل عَليه غيرهم. وهذا الاختيار يسود بشكل أكبر في المجتمعات التي تدار بهدي القادة الربانيين، حتى يكون الانتاج في مثل هذه المجتمعات من الضرورة بحيث يرقى إلى وجوبه من قبل الشارع.

إنّ بذل الجهود في رفع الانتاج من أجل ضمان الرفاهية للآخرين، من أهمّ الأهداف التي يتمّ التأكيد عليها في التعاليم الإسلامية كثيراً، بحيث إنما كان الإمام عليّ عليه السلام يعمل على الانتاج لهذه الغاية، وكان الإمام الصادق عليه السلام يستثمر أمواله في هذا الاتجاه. فقد رُويَ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن أميرَ المُؤمنينَ عليه السلام أعتَقَ ألفَ مَملوكٍ مِن كَدِّ يَدِهِ»[1].

إنّ عملية الانتاج إذا تمّت في سياق تحقيق الهدف الذي يدعو إليه الدين، والمتمثّل بتوفير الرفاه للفرد والأسرة والمجتمع، كان أمراً مقبولاً وممدوحاً. إن الأهداف الفردية أو العامة للإنتاج تطرح نفسها في طول الأهداف النهائية المتمثلة بالقرب من الله عزّ وجلّ. إن عدم القيام بالدور الاقتصادي والانتاجي في المجتمع يؤدي إلى الركود الاقتصادي والانحطاط الاجتماعي، وعندها سيكون استقرار المجتمع عرضة للمخاطر، وينفتح الباب على مصراعيه أمام الكثير من المعاصي والجرائم والمفاسد الاجتماعية. إننا لو أجرينا دراسة حول الجرائم والمفاسد الاجتماعية، من قبيل: السرقة، والقتل، وغلاء الأسعار، والتطفيف، وغيرها من أنواع الجرائم، سنجد أنها تعود بجذورها إلى الفقر المدقع أو الإسراف والتهتك وطلب الاستعلاء. وعليه، فإن العزّ كل العزّ والاعتدال كل الاعتدال رهن بالجهد الاقتصادي والمبادرة إلى الانتاج، من هناك كان الإمام عليّ عليه السلام يصف التجارة بالعزّ، إذ يقول: «أُغدُ إلى عِزِّك؛ يعني السُوقَ»[2]. ومن ناحية أخرى، فإن الطمع والجشع في الانتاج يؤدي بالفرد ـ من أجل إشباع هذا الرغبة والحصول على مزيد

١. الشيخ الكليني، *فروع الكافي*: ج ٥، كتاب المعيشة، الباب الخامس، ح: ٤.
٢. *فروع الكافي*: ٥/ ١٤٩، ح: ٧.

من الربح ـ إلى القيام بكلّ شيء قبيح واستخدام حتى الرذيلة. إن الانتاج إذا لم تتمّ السيطرة عليه، فإنه سيتحوّل إلى أداة لتهديد الناس وظلمهم، ويتحوّل إلى سلاح هدّام لمحاربة الدين. كما هو الحال بالنسبة إلى الدول الرأسمالية التي تستعمل هذا السلاح كأداة للحظر الاقتصادي والضغط على المجتمعات التي تروم الوصول إلى حقوقها بالطرق المشروعة بعيداً عن الهيمنة الاستكبارية.

٢. الأهداف التربوية للإسلام فيما يتعلق بالتوزيع

مرادنا من التوزيع هنا هو تخصيص المصادر والنعم الإلهية. والتوزيع بهذا المعنى من أكثر الأبحاث الاقتصادية إثارة للجدل، حتى أخذت الكثير من المدارس الاقتصادية على عاتقها مهمة حلّ هذه المسألة بوصفها من أهم المواضيع التي تعنى بها. وإن أكبر الجهود التي بذلتها الإشتراكية والماركسية وحتى الرأسمالية إنما تصبّ في هذا السياق، وكل واحدة من هذه المذاهب الاقتصادية تدّعي أنها قدّمت أكثر المناهج عدلاً فيما يتعلق بالتوزيع. إن الهدف من التوزيع في المذهب الاقتصادي للإسلام هو الوصول إلى مجتمع تسوده العدالة الاقتصادية. إن ثمرة جهود ونشاط كلّ شخص تعود إليه، وبذلك يتحقق الرفاه العام تلقائياً. وإن تطبيق القوانين الحقوقية في الاقتصاد الإسلامي، وامتثال الأحكام الاقتصادية للإسلام، يمهّد الأرضية الصالحة للوصول إلى مثل هذا المجتمع. إن النظام الإقتصادي ـ بالإضافة إلى العدالة الاقتصادية وضمان الرفاه العام ـ يهدف أيضاً إلى غاية أسمى، ألا وهي تحقيق حُلم المجتمع الذي يشارك فيه الناس بعضهم بعضاً في الرزق والمعيشة. ولا يمكن الوصول إلى هذه الغاية إلا في ظلّ التربية الإسلامية وتوسيع أفق الرؤية لدى الناس وتطبيق الأحكام الحقوقية للإسلام. وإن من بين الإصلاحات التي أنجزها رسول الله ﷺ هو أنّه أدّب المسلمين في صدر الإسلام بآداب القرآن بحيث جعلهم يتنافسون فيما بينهم في الإيثار على أنفسهم، وكانوا يقدمون حاجة الآخرين على حاجتهم.

بالالتفات إلى هذه الأمور، يكون المراد من الأهداف التربوية في هذه المقولة هو تحقيق المواساة في الأموال والتحقيق العملي للرفاه والعدالة الاجتماعية. وإن تحقيق هذا الهدف يتمّ بالدرجة الأولى عبر الدولة الإسلامية، وإذا تمكن شخص من الاضطلاع بعملية التوزيع، فعليه أن يراعي هذا الهدف المذكور، وأن لا يحيد عنه أبداً. إن المنظومة الاقتصادية العادلة تشتمل على أجزاء، ويقوم كل جزء بوظائفه ومسؤولياته التي تؤدي إلى الاعتدال في المنظومة الاقتصادية بشكل كامل. وإن الإنفاق[1] والصدقة والخمس والزكاة المستحبة والواجبة، يضمن التوزيع العادل للأموال الذي يمتدّ بجذوره في عمق الأخلاق والاقتصاد الفردي. وإن مرادنا من الأهداف التربوية في هذه المقولة بالتحديد ناظر إلى القيام بهذا النوع من المسؤوليات الدينية.

٣. الأهداف التربوية للإسلام فيما يتعلق بالاستهلاك

إن للناس في استهلاك البضائع والخدمات دوافعَ مختلفة تعود إلى انتماءاتهم وأذواقهم. وإن تلبية بعض هذه الدوافع الناشئة عن المطالب المعقولة والمنطقية تحظى بتأييد الإسلام، وأما تلبية بعض المطالب الأخرى الناشئة عن الاحتياجات الزائفة وغير المعقولة فهي مَنهيٌّ عنها في التعاليم الإسلامية.

يسعى الإسلام إلى تربية الإنسان بشكل يوجّه حركاته ونشاطاته نحو الهدف الغائي من خلقه، ألا وهو القرب من الله سبحانه وتعالى. وإن مفهوم الاستهلاك ليس استثناءً من هذه القاعدة. وعلى هذا الأساس فإن المطلوب إسلامياً هو أن تساق الدوافع الغائية للإستهلاك نحو الحصول على مرضاة الله ونيل القرب منه. وفي ذلك رُويَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَلْيَكُن لكَ في كُلِّ شيءٍ نِيَّةٌ صالِحَةٌ، حتّى في النَومِ والأكل»[2].

---

١. انظر: التوبة: ٦٠؛ الأنفال: ٤١؛ آل عمران: ٩٢؛ البقرة: ٢٧٤.

٢. *مكارم الأخلاق*: ٤٦٤.

أهداف الإسلام التربوية فيما يرتبط بالعلاقات السياسية

وصل بنا البحث بشأن الأهداف الوسيطة من زاوية العلاقات القائمة في المجتمعات البشرية فيما يتعلق بالعلاقات السياسية. يبقى السؤال القائم يقول: ما هو المراد من الأهداف الوسيطة في دائرة العلاقات البشرية؟ هل يمكن لنا أن نتصور للعلاقات المذكورة مشاهد أخرى غير العلاقات السياسية الخاصة في إطار علاقات الفرد بالحكومة أو الأفراد والمؤسسات السياسية ببعضها؟ للإجابة عن هذا السؤال نذكّر بأن العلاقات الإنسانية في أيّ إطار وضعناها، وإلى أيّ جهة مالت، لا يمكن لنا فيها أن نتجنّب سيادة القوانين الأخلاقية سواء أكانت صحيحة أم خاطئة. وبعبارة أخرى: حيثما كان هناك ارتباط وأقيمت علاقة وكان الإنسان طرفاً فيها، لا محالة ستحكم هذه العلاقة سلسلة من القيَم الأخلاقية أو المبادئ التربوية الخاصة. إن نجاح الفرد في الوصول إلى منبع الحقيقة، رهن بجهوده في العثور على القوانين والأسس الصحيحة الناشئة عن الإحاطة بجميع أحواله الوجودية وأحوال العالم. إن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى الغاية والهدف النهائي إلا من خلال التمسّك بمثل هذا القانون. والأسس الحاكمة على العلاقات السياسية لا يمكن أن تستثنى من هذا الحكم العام. إننا لا نستطيع التقدم في الفضاء الاجتماعي والسياسي المناسب والصحيح إلا في ضوء القانون الإلهي. إن مرادنا من الهدف التربوي في هذه المقولة هو الروح التربوية الحاكمة على العلاقات السياسية في العالم الإسلامي، وليس بيان الأهداف السياسية من وجهة نظر الإسلام.

إن أهم شاخص وملاك في العلاقات السياسية، هو الحصول على القدرة والسيطرة. فإن القدرة ـ بوصفها أداة للحصول على الأهداف ـ تعتبر أول مؤشر على النشاط السياسي، إذ لا يمكن الوصول إلى الأهداف السياسية في المجتمع على نحو كامل أو نسبي إلا من خلال القدرة والسيطرة، ولا شك في أن هذا لن يتحقق إلا من خلال التمسّك بحبل القدرة والعناصر الموجدة لتلك الحكومة

والقيادة في المجتمع. وعليه، يمكن النظر إلى مفهوم القدرة في دائرة العلاقات السياسية في الرؤية التربوية من زاويتين، وهما: أولاً: السعي إلى تحصيل القدرة السياسية. وثانياً: توظيف القدرة من أجل الوصول إلى الأهداف السامية للإسلام.

١. السعي إلى تحصيل القدرة السياسية

إن من بين أسس الإسلام الثابتة على مستوى الأبعاد الاجتماعية، قيادة المجتمع وتوفير الأرضية المناسبة لتقدم المجتمع وارتقائه. وهذا الأمر لا يمكن أن يحصل إلا من خلال الاستناد إلى حكم وإقامة دولة. فإن المجتمعات التي تنمو فيها الغرائز الحيوانية والسَّبُعيّة في ظلّ خمود جميع أفراد المجتمع وتخاذلهم عن حقوقهم، تعرّض تقدم الأبعاد الإنسانية والإلهية إلى خطر الزعزعة، والسير نحو القهقرى. إن الإطاحة بحدود انعدام الهوية، وفتح قمم العزة والشرف، إنما هو رهن بامتلاك القدرة، وإسقاط المتسوّرين زوراً عليها. وعليه، فإن الحصول على القدرة للفرد المسلم من أهم المسائل، إذ من خلال هذه الحقيقة فقط يمكن الوقوف بوجه الفساد، وإعداد الأرضية المناسبة للهداية. قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[1].
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].
- ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3].

---

١. النساء: ١٤١.

٢. المائدة: ٥١.

٣. آل عمران: ١٣٩.

إنّ القرآن الكريم يشجب أولئك الذين يرون العزّة والعظمة في انحراف الزعماء وفسادهم، ويؤاخذهم على هذه الرؤية. وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[1].

إن ما هو المهم بالنسبة إلى الدين هو الآثار التربوية المترتبة على اكتساب القدرة السياسية والدخول إلى دائرة هداية الناس. وبشكل محدّد يمكن لنا أن نرصد تأثيرين في هذا السياق، وهما:

١. الحيلولة دون الظلم والضياع الناشئ عن الهيمنة السياسية للتيارات الفاسدة في المجتمع.

٢. هداية الناس والحركة في إطار الوصول إلى المدينة الدينية الفاضلة التي كانت حُلم إفلاطون.

وعلى فرض الإخفاق الظاهري في الوصول إلى مثل هذه الغاية، فإن ذلك لن يكون خالياً من الأثر التربوي، فإن هذه الحركة سُتثبت في الحدّ الأدنى عدم الرضوخ للظلم والفساد والفحشاء في المجتمع المنحرف. وقد كانت هذه هي غاية الإمام الحسين عليه السلام في ثورته يوم عاشوراء، ولا زال تأثيرها ينير الدرب للغيارى عبر القرون المتمادية.

٢. ممارسة السلطة من أجل تحقيق الأهداف الإسلامية المتعالية

إنّ ما هو المنظور في الرؤية الإسلامية بشأن الحصول على السلطة هو مجرّد الحصول على وسيلة وأداة، وأما القدرة والسلطة فهي غير مرادة لذاتها. وإن الفارق الأهم بين الشخص المتديّن وغيره من الأفراد الذين يجعلون من الدنيا

١. النساء: ١٣٩.

والحياة الضيقة أكبر همهم، يكمن في رؤية كل منهما تجاه السلطة ووظيفتها في الحياة. فالفرد الذي يحبس نفسه في دائرة الدنيا الضيّقة ينظر إلى السلطة بوصفها قيمة ذاتية، ويراها عنصراً حيوياً يلبي رغباته وغرائزه الدنيوية المحدودة من قبيل: اللذّة والرفاهية. وبعكسه الشخص الذي يتمتع برؤية دينية وإلهية، فلِما يتمتع به من الأفق الواسع الناشئ عن ارتباطه بالرؤية الإلهية الشاملة، فإنه ينظر إلى السلطة بوصفها وسيلة للوصول إلى الأهداف الأسمى، وامتثال الكمال الديني المطلوب على مستوى الحياة الفردية والاجتماعية، وهذا أهم ما يميّز الرؤية الدينية من الرؤية المادية. من هنا، إذا كانت السلطة هي محور جهود الكثير من كبار رجال الدين على طول التاريخ، فإن ذلك لم يكن بداعي اعتبار السلطة عنصراً مطلوباً ومؤثراً في العلاقات السياسية لذاتها، بل لمجرّد كونها وسيلة لتطبيق القوانين الإنسانية والإلهية للحصول على عناصر أكثر سمواً، وأكثر رقياً. وعلى هذا الأساس، فإن العلاقات الإنسانية في النظرة الدينية تختلف عن العلاقات الإنسانية في النظرة غير الدينية، وإن الذي يلعب الدور الهام من وجهة نظر الإسلام ليس هو السلطة، بل الأهداف التي يمكن الوصول إليها من خلال هذه السلطة. في هذه الرؤية يتعاطى الحاكم الإسلامي مع مختلف طبقات المجتمع وأفراد الشعب تحت تأثير هذه الأهداف وهذه الأسس، خلافاً للرؤية المقابلة التي ترى اتساع رقعة العلاقات مع الآخرين بتأثير من السلطة أو على أساس من الحصول على اللذّة والمتعة أو تلبية الرغبات والغرائز الوضيعة والمتدنية. في منطق الفرد المؤمن فإن السلطة والقدرة ليستا عنصرين رادعين عن الأخوّة وليستا عنصرَين ضغط على الآخرين، وسلب الاستقلال والحرية عنهم، وليس المراد منهما الحصول على المصالح الشخصية ونيل المطالب الدنيوية المحدودة، كي يؤدي التناحر بين الإرادات المختلفة إلى الجور والظلم. وعلى هذا الأساس، فإن السلطة تستخدم دوماً بما يتناسب والهدف المراد من ورائها. إن هذا الهدف إذا كان هدفاً إلهياً،

فسوف تترتب عليه نتائج تربوية خاصة تنعكس على ممارسة السلطة والعلاقات الناشئة عنها على المستوى الاجتماعي. وإذا كان الهدف غير ذلك فإن سلوك الناس تجاه بعضهم بعضاً سيكون له مظهر غير أخلاقي، وسيتخذ طابعاً سلطوياً ودنيوياً. إن العناصر التربوية الدخيلة في رسم السلطة السياسية فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية من وجهة نظر الإسلام عبارة عن:

ـ **إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: إن من بين أهم أهداف الحكومة الإسلامية في المجتمع، توفير الأرضية اللازمة من أجل إحياء المعروف والحيلولة دون وقوع المنكر وكل ما ينهى عنه الشارع المقدس. ولا ريب في أنه كلما اتسعت قدرة الإنسان كانت دائرة مناورته أكبر، وأضحى وصوله إلى الأهداف المنشودة أيسر. إن من جملة أهداف السلطة السياسية في نظام الدولة الإسلامية هو توفير مناخ سليم ومجرّد عن جميع أنواع القبائح والمفاسد. وإن هذا الهدف بالإضافة إلى كونه هدفاً سياسياً، فإنه يبيّن المسار التربوي العام للنظام الإسلامي أيضاً. إن مسؤولية كل فرد مؤمن في المنظار الديني تكمن في التحرّك من أجل الحصول على القدرة لتطبيق الأهداف المذكورة؛ لأن من أهم الأركان في الإطار الديني هو المنحى الأخلاقي والتربوي في المسائل وتعليماتها؛ من هنا، كلما تمّ الرجوع إلى الأهداف الدينية يتم التطبيق بين تلك الأهداف والجوانب التربوية الأخرى. ومن ذلك مسألة الحصول على السلطة والقدرة حيث يتمّ توفير الأرضية اللازمة للخوض في الأمور التي تضمن صلاح الفرد والمجتمع، ويتمّ فيها الإعراض عن كلّ ما من شأنه ضياع الفرد واضمحلال المجتمع، بوصفه هدفاً تربوياً عاماً تسعى إليه الدولة الإسلامية؛ إذ يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1].

---

١. الحج: ٤١.

إن الهدف من الوصول إلى السلطة من وجهة نظر الإسلام هو إحياء الدين الإلهي بوصفه أكبر معروف يمكنه أن يعمّ المجتمعات الإنسانية بأسرها. قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1].

ـ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

ـ المحافظة على الحرية والاستقلال: إن الحرية والاستقلال من أهم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان. فقد ولد الإنسان حراً، ولن يستطيع أحد أن يملي عليه طريقته في الحياة أو يفرض عليه رأيه وأفكاره. إنما الذي يمكنه أن يقيّد الحرية في المجتمع هو الحرية نفسها. فإن القوانين الدينية على المستوى العام وغيرها من القوانين الاجتماعية في مستوى أخص تهدف إلى رفع التعارض القائم بين الناس على المستوى الاجتماعي. إن الإنسان إنما يمكنه رفع هذا التعارض من وجهة النظر الإلهية إذا سعى إلى حلّ هذه المعضلة من خلال القوانين الدينية. إن القوانين والمعطيات البشرية من أجل رفع هذه التعارضات على طول التاريخ، لم تنتج سوى تشديدها واتساع رقعتها. إن من بين القوانين الموضوعة على أعلى المنظمات الحقوقية هو حق النقض (الفيتو) الذي يستعمل بوصفه سلاحاً بوجه البلدان والشعوب الضعيفة. وعليه، لا يبقى أمام الإنسان ـ لنيل حقوقه الطبيعية من الحرية والاستقلال ورفع الصعوبات وتجاوز المعضلات الناشئة عن نقص القوانين البشرية ـ سوى التمسك بالتعاليم الإلهية الدينية. ومن هذه الناحية عندما يكون الحديث ـ في النظام التربوي في الإسلام ـ عن الوصول إلى السلطة السياسية، فإن من بين الآثار

---

١. البقرة: ١٩٣.

٢. الأنفال: ٣٩.

التربوية التي تنتج عن ذلك، هو الاهتمام بالحرية والاستقلال للناس كافة في إطار القوانين الإسلامية. وبطبيعة الحال، فإن للحرية والاستقلال في الدين تعريفهما الخاص الذي لا يسعنا التطرّق له في هذا الكتاب.

ـ **تعزيز روح الإخاء:** إن مظاهر السلطة الزائفة تؤدي إلى انعدام الكرامة والعواطف والمشاعر الإنسانية، وإلى استشراء مظاهر العنف والقسوة. بيد أنه كما ذكرنا، فإن الإسلام ينظر إلى السلطة بوصفها أداة ووسيلة لخدمة الأهداف الإنسانية والإلهية. وإن بسط وتعميم علامات الأخوّة وتوسيع رقعة العلاقات العاطفية بين أفراد المجتمع يتفرّع عن الدور الآلي للسلطة، وإن العمل على حل مشاكل الآخرين وخاصة الضعفاء منهم، وتوفير الأرضية المناسبة للتقدم والمساواة، إنما هو من الثمار المترتبة على التربية الدينية. وفي ذلك نجد الله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيرًا﴾[1]. وإن الأخوّة لا تكتسب معانيها العميقة في المجتمعات الإسلامية فحسب، بل نجد لها تجليات خاصة حتى في العلاقات الدولية أيضاً. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].

أهداف الإسلام التربوية فيما يتعلق بالعلاقات الثقافية

إن علاقة الإنسان في إطار الثقافة السائدة، تعكس سلوكه في منعطفات الحياة الاجتماعية. وفي الأساس، فإن أحد أهم المعايير التي يتمّ توظيفها في بيان

---

١. النساء: ٧٥.

٢. الحجرات: ١٠. وانظر أيضاً: بحث الأهداف التربوية في خصوص ارتباط المؤمن بالآخرين، أيضاً.

حياة الإنسان هي هذه القوالب الثقافية التي تحدّد هوية الناس عبر الأجيال وعلى طول التاريخ. وبعبارة أخرى: إن الثقافة أياً كان نوعها يُنظر إليها اليوم بوصفها عصارة الحياة الاجتماعية التي تتجلى في مختلف أبعاد الحياة المادية والمعنوية، وتظهر في المعتقدات والأخلاق والقيم، وتترك تأثيرها بنحو ما على تفكيرنا وميولنا ونشاطاتنا. ولربما أمكن القول: إن الثقافة بُنية متكاملة تضمّ جميع النماذج السلوكية لشعب من الشعوب. إن الثقافة ـ التي تبدأ من أصغر نواة لها وهي التي تتمثل بالنموذج السلوكي، إلى أكبر مفرداتها المتمثلة بالمؤسسة الاجتماعية، التي تتألف من اجتماع تلك النويات الصغيرة ـ لها وظائف محدّدة. وبطبيعة الحال، فإن الإنسان كما يتأثر بالثقافة، يمكن له أن يترك تأثيره عليها، وعلى الرغم من تبلور شخصيته وسلوكه في الفضاء الثقافي، واتخاذ توجهاتها ما يتناسب وتلك الثقافة، ولكن في الوقت نفسه يمكن للإنسان أن يكون عنصراً مؤثراً في تغيير المناخ الثقافي، وأن يعمل على تغيير الثقافة بإرادته. والذي يقع موضع اهتمامنا هنا هو تأثير الدين من خلال الإنسان في الثقافة والمجتمع البشري.

تنقسم العناصر المؤثرة على سلوك الإنسان إلى مجموعتين، هما: العناصر التي لا تقع تحت اختيار الإنسان، من قبيل: العوامل الجغرافية والطبيعية، أو حتى بعض العوامل الاجتماعية التي تستحوذ على سلوك الإنسان وشخصيته، وتعمل على بناء ثقافة بعينها. والعناصر الاختيارية، وهي تلك المجموعة من العناصر الخاضعة لإرادة الإنسان واختياره، والتي تعمل على تحديد خصوصياته وسلوكياته الفردية. والمراد من الأهداف التربوية في هذا المجال هي العناصر الإرادية ذات الاتجاه الديني، والتي تَترك تأثيراً كبيراً على النماذج السلوكية والمنظومات الاجتماعية، وتعمل على بناء ثقافة المجتمع بشكل عام. وقد خضعت العناصر الثقافية، من قبيل: الفن والسياسة والاقتصاد والأخلاق والعرفان والفلسفة وحتى العلم، تحت تأثير الدين وتعاليمه وقيمه منذ القدم. إن دراسة الثقافات والحضارات لدى الشعوب التاريخية

العريقة تُثبت تأثُّر جميع المؤسسات الاجتماعية والثقافية بالدين بشكل بنّاء، وإن تأثُّر الآداب والسنن والقيم والموسيقى والعمارة والشعر، وكذلك المنظمات الاقتصادية والتعليمية والسياسية وغيرها، بالدين، يُثبت الصلة الوثيقة بين الدين والثقافة على طول التاريخ. إن رعاية المسائل الدينية في سياق العلاقات الثقافية يضمن الوصول إلى الأهداف الوسيطة في هذا المقال، ومع الأخذ بنظر الاعتبار، الأهداف التربوية الإسلامية في الحقول الفردية والاجتماعية، يمكن تحقيق الأهداف المنشودة للإسلام في مجال المسائل الثقافية. وبعبارة أخرى: إنما نحصل عليه من خلال العمل بجميع الأهداف التربوية في مختلف المجالات، يؤكّد مكانة الثقافة في المجتمع الإسلامي. ومن هنا، لا يمكن أن نحدّد لمقولة الثقافة دائرة مختلفة عن الدائرة التي ذكرناها سابقاً، وعندما تجتمع العناصر السلوكية في المجالات الفردية والاجتماعية، تعمل العناصر التربوية على تشكيل البُنية الثقافية الخاصة. إن هذه البُنية ـ بالالتفات إلى المحتوى والعناصر البنّاءة دينياً ـ تعكس ثقافة دينية خاصة. وبالتحديد يمكن اعتبار الهدف التربوي في هذا المجال هو توجيه الثقافة السائدة في المجتمع نحو الرشد والتكامل الإنساني. وعندما يتم توجيه الأسس الثقافية من (الفن والاقتصاد واللغة والآداب والتقاليد وغيرها) نحوالقيم، والحصول على هدف خاص (القرب من الله)، فإن الوجه العام لثقافة المجتمع سوف يتغيّر بالكامل. من هنا، فإن إيجاد المظاهر الثقافية المتناغمة مع التعاليم الدينية، ودفع عناصر الانحراف والفساد عن الثقافة، والجنوح نحو ضمان المطالب المتعالية، ويمكن للأبعاد الإنسانية أن تعتبر من أهم الأهداف التربوية في هذا المجال.

الفصل الرابع

أهداف الإسلام التربوية فيما يرتبط بعلاقة الإنسان بالطبيعة

يتواصل الإنسان مع البيئة المحيطة به طوال حياته. وتمثل هذه البيئة: الأرض وما فيها من الجبال والصحارى والغابات والبحار والحيوانات وكذلك السماء وما فيها من الكواكب والنجوم وجميع مظاهر الطبيعة جليلها وحقيرها يعتبر تجلياً من تجليات قدرة وعظمة الخالق سبحانه وتعالى، وتترك أثراً عميقاً على رؤية الإنسان للحياة. والذي يتمّ طرحه في إطار الأهداف التربوية من وجهة نظر الإسلام، هو أن الحق في استثمار الطبيعة لا يعني احتكار هذا الحق، بل إن الطبيعة مجرد ضمان لرفع ما يحتاج إليه الإنسان، ووسيلة لاستمرار حياته في هذه الدنيا.

إنّ رؤية الإسلام حول كيفية ارتباط الإنسان بالطبيعة منبثق عن أساسه الاعتقادي والتربوي، الذي يفسر النهج الصحيح للإستفادة من العناصر الحيوية لطيّ مدارجُ سُلّم السمو نحو المنازل الإلهية وبلوغ التكامل والقرب من الله سبحانه وتعالى[1]. من هنا فإن الموقف الذي يتخذه الإنسان المسلم تجاه

---

1. أنظر: البقرة: ٢٦ و١٦٤؛ الأنعام: ٩٩؛ إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤؛ النحل: ١٠ ـ ١٢؛ طه: ٥٣ ـ ٥٤؛ الفرقان: ٤٨؛ النمل: ٦٠؛ الروم: ٢٤ و٤٨؛ فاطر: ٢٠؛ الذاريات: ٢٢ و٤٨؛ نوح: ١٧.

العالم وما فيه، يعكس مدى اهتمامه بالوصول إلى الهدف الغائي من خلال هذه القناة. وحيثما تحدث القرآن الكريم عن استثمار الطبيعة، كان ذلك مقروناً على الدوام بنوع من الأهداف التربوية والأخلاقية. إن الاستفادة من المصادر المادية إنما يأتي في سياق ضمان هدف قيّم، لا أن تكون هذه المصادر المذكورة هي الهدف والغاية المنشودة لذاتها. إن التعقل والتدبّر في طريقة تكوين هذه المصادر، والوصول إلى غاية التوحيد، والإيمان بالغيب، والتقوى وطهارة النفس، واجتناب الكفر بالنعم، والابتعاد عن الشرك، والتمسك بالعدالة في ردود الأفعال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، هي من بين الغايات والأهداف الملحوظة في خلق الطبيعة. ولمزيد من إلقاء الضوء على البحث، فإننا سنخوض فيه من ناحيتين:

معرفة الطبيعة

لكي نستثمر الطبيعة يجب علينا أن نتعرف عليها معرفة عميقة، والذي يقع مورداً لاهتمام العلم حالياً هو مزيد من المعرفة لخفايا الطبيعة وظواهرها والقوانين السائدة عليها بغية الاستفادة القصوى منها. وقد اقترنت إشارات القرآن الكريم إلى الطبيعة على الدوام بالعبرة في سياق الهداية والقرب من الله، وقد تمّت دعوة الإنسان إلى التوصّل إلى معرفة أكمل بمظاهر قدرة الله لضمان سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، من قبيل: قول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

---

١. البقرة: ١٦٤.

ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلاَمَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1].

إن في التعمّق في الآيات الإلهية والتدبّر فيها واكتشافها، انتقال من الوعي السطحي إلى المعرفة الأدق والأعمق، وهذا يؤدي بدوره إلى إدراك القدرة الإلهية، وبالتالي فإنه يفضي إلى هداية الإنسان، ويمهّد له الأرضية اللازمة والمناسبة لتقدّمه روحياً ومعنوياً. وبالنسبة إلى الفرد المسلم يُعدّ وجوب تحصيل العلم ومعرفة القوانين الطبيعية من أجل توظيفها في الطريق الإلهي أمر لا يمكن اجتنابه أبداً. وفي الحقيقة، فإننا كلما تعرّفنا على الطبيعة بشكل أكثر، كان ذلك سبباً في اقتدار المجتمع الإسلامي والحفاظ على مكانته وكينونته، واكتساب القدرة للدفاع عن الإسلام، وإبلاغ الدعوة والرسالة الإلهية. وبهذا اللحاظ يمكن لنا أن نبحث معرفة الطبيعة من ناحيتين:

١. إن معرفة العناصر الطبيعية والنظم والقوانين الحاكمة عليها، يعدّ طريقاً إلى معرفة خالق الكون.

٢. إنّ معرفة الطبيعة على نحوجزئي، واكتشاف القوانين الحاكمة والمهيمنة عليها، تكون سبباً في اقتدار الإنسان، وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى اتساع قدرته وحضوره في المجتمع.

---

١. النحل: ١٠ ـ ١٦.

توظيف الطبيعة بشكل صحيح

أما المسألة الأخرى التي تطرح نفسها فيما يتعلق بارتباط الإنسان بالطبيعة، فهي مسألة كيفية استثمار الطبيعة. فإنّ الافراط في الاستفادة من الطبيعة والتبذير والإسراف فيها يؤدي إلى اضمحلالها وزوالها، الأمر الذي يحرم الأجيال القادمة من هذه النعم الإلهية. وعليه، فإن الاستفادة الصحيحة والمناسبة من الطبيعة تُعدّ واحدة من الأسس والقواعد التي يجب الالتزام بها على الدوام.

المصادر

١. الري‌شهري: محمد، ميزان الحكمة، دارالحديث، قم، ط ١، ١٤١٦هـ.

٢. الطباطبائي: السيد محمدحسين(ت١٩٨١هـ)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٧٠م.

٣. الشريف الرضي: محمد بن الحسين الموسوي(ت٤٠٦هـ)، نهج البلاغه، شرح محمد عبده، دارالمعرفة، بيروت.

٤. الشيرازي: صدرالدين محمد(ت١٠٥٠هـ)، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

٥. ابن شعبة: الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني(ت القرن٤)، تحف العقول عن آل الرسول، تعليق و تصحيح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٦. البروجردي: السيد حسين الطباطبائي، جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ.

٧. الحرّ العاملي: محمد بن الحسن(ت١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل بيت، قم، ط ١، ١٤١٢هـ.

٨. ورّام: الأمير أبوالحسن، ورّام بن أبي فراس المالكي(ت٦٠٥هـ)، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر(مجموعة ورّام)، دارالكتب الإسلامية، طهران، ط ٢، ١٣٦٨هـ. ش.

٩. الفيض الكاشاني: محمد بن محسن بن مرتضى(ت ١٠٩١هـ)، المحجة البيضاء فـي تهـذيب الإحيـاء، تـصحيح و تعليـق: علـي أكبـر الغفّـاري، مؤسـسة النشرالإسلامي، قم، ط ٢.
١٠. الطبرسي: رضي‌الدين، أبونصرالحسن بـن فـضل(القـرن٦هـ)، مكـارم الأخـلاق، منشورات الشريف الرضي، قم، ط٦، ١٩٧٢م.
١١. الإمام الصادق ﷺ: الإمـام جعفـر بـن محمـد الـصادق ﷺ(ت١٤٨هـ)، مـصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب إلـى الإمـام الـصادق ﷺ، مؤسـسة الأعلمـي، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
١٢. الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمـي(ت ٣٨١هـ)، من لايحـضره الفقيه، صححه وعلّق عليه: علي أكبـر غفّـاري، مؤسـسة النـشر الإسـلامي التعاليـة لجماعة المدرّسي، قم، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
١٣. الشهيد الثاني: زين‌الدين الجبعي العاملي(ت ٩٦٥هـ)، منية المريد فـي آداب المفيد والمستفيد، تحقيق: رضـا مختـاري، نـشر: مكتـب الإعـلام الإسـلامي، إيران، ط ١، ١٤٠٩هـ.
١٤. الكليني: محمـد بـن يعقـوب الـرازي(ت٣٢٩هـ)، الكـافي، تـصحيح: علـي أكبـر الغفّاري، دارالكتب الإسلامية، قم، ط٣، ١٩٨٨م.
١٥. المجلسي: محمدباقر، بحارالأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار، مؤسـسة الوفـاء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
١٦. القمي: الشيخ عباس بن محمدرضا(ت ١٣٥٩هـ)، سفينة البحار.
١٧. الصدوق: محمد بن علي بـن بابويـه القمـي(ت ٣٨١هـ)، علـل الـشرايع، المكتبـة الحيدرية، النجف، الواق، ١٦٩٩م.
١٨. السبزواري: الملّة هادي السبزواري، منظومة السبزواري.
١٩. المتقي الهندي: علاءالدين علي المتقي(ت٩٧٥هـ)، كنزالعمال في سنن الأقـوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٢٠. الكراجكي: أبوالفتح، محمد بن علي(ت٤٤٩هـ)، كنزالفوائد، مكتبة المصطفوي، قم، ط٢، ١٣٦٩هـ. ش.

٢١. ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي (ت٧١١هـ)، لسان العرب، نشر: أدب الحوزة، قم، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢٢. مسكوية: أحمد بن محمد الرازي (ت٤٢١هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مؤسسة تحقيقات و نشر معارف أهل البيت ﷺ، قم.
٢٣. البخاري: محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفي ديب البغا، دارابن كثير، دمشق، بيروت، ط٤، ١٩٩٠هـ.
٢٤. الفارابي: سياسة المدينة
٢٥. نرمان اي: الأهداف السلوكية، بترجمة: أمان الله مصطفوي
٢٦. شعباني: حسن، المهارات التربوية والتعليمية

۱۳۹۲

فارسی

۱. اصول و روش های آموزش مفاهیم دینی به نوجوانان / حمید الله رضایی
۲. آسیب شناسی فرهنگی با رویکرد تبلیغ بین الملل / محمد رضا قائمی
۳. آشنایی با جوامع حدیثی شیعه و اهل سنت / علی نصیری / ج ۳
۴. آشنایی با صحیفه سجادیه / محمدعلی مجدفقیهی / ج ۳
۵. آشنایی با علم رجال / سید محمد نجفی یزدی
۶. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج ۱ / علی بدن ملک احمدی
۷. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج ۲ / علی بدن ملک احمدی
۸. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج ۳ / علی بدن ملک احمدی
۹. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج ۴ / علی بدن ملک احمدی
۱۰. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج ۵ / علی بدن ملک احمدی
۱۱. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج ۶ / علی بدن ملک احمدی
۱۲. آموزش فارسی به فارسی (کتاب کار ۶) / اصغر فردی، احمد زهری، جعفر مؤمنی / ج ۴
۱۳. آموزش فارسی به فارسی (کتاب کار ۷) / اصغر فردی، احمد زهری، جعفر مؤمنی / ج ۴
۱۴. آموزش فارسی به فارسی (مقدماتی ۱) / اصغر فردی، احمد زهری، محمد دلتی / ج ۲
۱۵. آموزش فارسی به فارسی کتاب چهارم / اصغر فردی، احمد زهری / ج ۳
۱۶. آموزه های بنیادین علم اخلاق ج ۱ / محمد فتحعلی خانی / ج ۳
۱۷. برداشت های مختلف از تقریب مذاهب اسلامی / محمد طاهر اقبالی
۱۸. بررسی تاریخ نگری محمد عابد الجابری / سید محمد علی موری
۱۹. بررسی تطبیقی علم حق از دیدگاه ابن سینا، شیخ اشراق و ملاصدرا / محمد حسن کاظمی
۲۰. پرتو پژوهش ج ۳ / مجتمع آموزش عالی فقه
۲۱. تاریخ تشکیلات در اسلام / محمد رضا شهیدی پاک
۲۲. تاریخ فرهنگ و تمدن اسلامی / محمدرضا کاشفی / ج ۴
۲۳. تأثیر نفس پیامبر اکرم در علم و جود با رویکرد به مسئله توسل / معصومه کلی کلی
۲۴. تجسم عمل از دیدگاه علامه طباطبایی و رشید رضا در المیزان و المنار / صدیقه قیهی
۲۵. تحلیل ادبی نهج البلاغه و صحیفه سجادیه / محمد عشایری منفرد
۲۶. جایگاه عرف در استنباط / تقوی الکانی
۲۷. جغرافیای معرفتی جهان اسلام (مجموعه مقالات شانزدهمین جشنواره بین المللی شیخ طوسی) / مجموعه مؤلفان
۲۸. چکیده مقالات همایش ملی اخلاق و اقتصاد اسلامی / انجمن اقتصاد اسلامی حوزه علمیه
۲۹. چلچراغ ساز جمعه (چهل حدیث ساز جمعه) / محمد عارف حیدر قزلباش
۳۰. چهار مقاله و مرزبان نامه / محمد رضا یوسفی، رقیه ابراهیمی شهرآباد
۳۱. حاکمیت و حکمرانی در نهج البلاغه / محمد مهدی باباپور گل افشانی
۳۲. حدیث و علوم جدید (معلق فهم احادیث علمی) / محمد علی رضایی اصفهانی
۳۳. درآمدی به شیعه شناسی / علی ربانی گلپایگانی / ج ۴
۳۴. درس نامه تاریخ تشیع ۱ / سید لطف الله جلالی
۳۵. درس نامه حقوق بشر از دیدگاه اسلام / عبد الحکیم سلیمی
۳۶. درسنامه تاریخ تحلیلی اهل بیت / مجید حیدری بیک
۳۷. درسنامه روش آموزش و مهارت های کلاس داری قرآن کریم / رحمت عابدی / ج ۳
۳۸. درسنامه مبانی و قواعد تفسیر (خلاصه معلق تفسیر قرآن ۱) / محمد علی رضایی اصفهانی
۳۹. درسنامه مفردات قرآن مجید / غلامعلی همایی / ج ۳
۴۰. درسنامه مناسک حج / محمد حسین فلاح زاده
۴۱. راهکارهای برون رفت از معاملات ربوی / غلام مرتضی انصاری
۴۲. رهیافتی بر علم سیاست و جنبش های اسلامی معاصر / عبدالوهاب فراتی / ج ۲
۴۳. ساز و کار بانکداری اسلامی / محمد جواد توکلی
۴۴. شاخص عرف و معیارهای آن / سید محمد کاظم رجایی، مهدی حلبی
۴۵. شرح و بررسی صفات فعلی حق در زیارت عاشورا / سیده زهرا احمدی
۴۶. شرح و ترجمه کتاب حلقه ثالثه حضرت آیت الله شهید سید محمدباقر صدر، ج ۱ / احمد مرادخانی
۴۷. ضرورت حکومت اسلامی در عصر غیبت / بسم الله حسنی
۴۸. علوم قرآن ۲ (اعجاز قرآن در علوم طبیعی و انسانی) / محمد علی رضایی اصفهانی
۴۹. فرق و مذاهب کلامی / علی ربانی گلپایگانی / ج ۱
۵۰. فقه القرآن آیات الاحکام تطبیقی / محمد فاکر میبدی / ج ۳
۵۱. فلسفه اخلاق / محمد فتحعلی خانی / ج ۲
۵۲. فلسفه تاریخ / جواد سلیمانی
۵۳. مادران چهارده معصوم / حیدر مظفری ورسی / ج ۲
۵۴. مبانی فرجام شناسی تاریخ در قرآن / اکبر علی صمدی
۵۵. مسائل حقوقی در سازمان / محسن معلقی
۵۶. مستشرقان و پیامبر اعظم / حسین عبدالمحمدی
۵۷. مسئله وحی و پاسخ به شبهات آن / حسین علوی مهر
۵۸. منشور جمهوری اسلامی ایران / مجموعه مؤلفان
۵۹. معلق تفسیر قرآن ۱ (مبانی و قواعد تفسیر قرآن) / محمد علی رضایی اصفهانی / ج ۳
۶۰. معلق تفسیر قرآن ۲ (روش ها و گرایش های تفسیری قرآن) / محمد علی رضایی اصفهانی / ج ۱
۶۱. معلق تفسیر قرآن ۳ (روش تحقیق در تفسیر و علوم قرآن) / محمد علی رضایی اصفهانی / ج ۲
۶۲. معلق تفسیر قرآن ۴ (مباحث جدید دانش تفسیر) / محمد علی رضایی اصفهانی
۶۳. معلق تفسیر قرآن ۵ (قرآن و علوم طبیعی و انسانی) / محمد علی رضایی اصفهانی
۶۴. نگارش پیشرفته از پاراگراف تا مقاله / حمید بصیرپور
۶۵. نوع دوستی از دیدگاه اسلام / عین الله نوروزی
۶۶. نهضت قرآنی وظیفه همگانی / علیرضا اعرافی
۶۷. واژه شناسی قرآن مجید / شهید غلامعلی همایی / ج ۳

عربی

۶۸. الأدب الاسلامية، ج ۱ / محمد عندليب الكمال السيدا / ج ۴
۶۹. الأدب الاسلامية، ج ۲ / محمد عندليب الكمال السيدا / ج ۴
۷۰. أدوار الاجتهاد عند الشيعة الامامية / عدنان فرحان آل قاسم / ج ۲
۷۱. الاحوال الشخصية (النكاح) / السيد محمد النجفي اليزدي / ج ۲
۷۲. الاسرة في السيرة العملية للنبي و اهل البيت / محمد حسين زاده الكمال الجزائري
۷۳. الامامة عند الحلي و القوشجي بين النص و الاختيار / امير جليل شيرازي
۷۴. البرنامج التدريسي للحلقة الثانية، ج ۱ / محمود العيداني
۷۵. البرنامج التدريسي للحلقة الثانية، ج ۲ / محمود العيداني
۷۶. السنن الالهية الاجتماعية في القرآن / احمد مراد حسني الطهراني / السيد عبد الامير الموسوي، السيد عبد الكريم الحيدري
۷۷. المدخل الى تاريخ التفسير و المفسرين (آشنايى با تاريخ تفسير و مفسران) / حسين علوى مهر / جعفر الحزامي
۷۸. المطالعة و النصوص العربية لغير الناطقين بها / السيد عبد الهادي الشريفي
۷۹. الهجرة و المهاجرون في القرآن الكريم / مريم علي حسن الهاشمي
۸۰. الهداية في النحو / تصحيح و تعليق: حسين شير افكن / ج ۲۲
۸۱. الوجيز في تاريخ الاسلام (الجزء الاول) / سيد منذر حكيم / تلخيص: محمود السيف
۸۲. الوجيز في تاريخ الاسلام (الجزء الثالث) / سيد منذر حكيم / تلخيص: محمود السيف
۸۳. الوجيز في تاريخ الاسلام (الجزء الثاني) / سيد منذر حكيم / تلخيص: محمود السيف
۸۴. الوجيز في تاريخ الاسلام (الجزء الرابع) / سيد منذر حكيم / تلخيص: محمود السيف
۸۵. الوقف في الشريعة الاسلامية، دراسة فقهية مقارنة على المذاهب الخمسة / السيد عادل الموسوي الخرسان
۸۶. بداية الاصول / سيد رضا پيمبرپور
۸۷. تاريخ الثقافة و الحضارة الاسلامية / محمد رضا كاشفي / انور الرصافي
۸۸. تخطيط الاسرة و تنظيمها / محمد حسين خليق
۸۹. تغير قيمة العملات الورقية دراسة مقارنة بين الفقه الامامي و المذاهب الاربعة / رياض عبد الصمد الدغر
۹۰. جوهرة الحلقة في معرفة العقيدة الحقة / محمد مهدي حيدري پور، مهدي يوسفيان، محمد امين بلاغتيان / رعد كاظم عبد
۹۱. دراسات تمهيدية في الفقه الامامية / السيد محمد النجفي اليزدي
۹۲. دروس تمهيدية في اصول العقائد / عادل السعدي / ج ۱
۹۳. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج ۱: العبادات / الشيخ باقر الايرواني / ج ۱۰
۹۴. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج ۲: عقود ۱ / الشيخ باقر الايرواني / ج ۸
۹۵. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج ۳: عقود ۲ و الايقاعات / الشيخ باقر الايرواني / ج ۸
۹۶. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج ۴: الاحكام / الشيخ باقر الايرواني / ج ۸
۹۷. دروس في البلاغة / شيخ معين دقيق العاملي / ج ۷
۹۸. دروس في الشيعة و التشيع / علي الرباني الگلپايگاني / انور الرصافي / ج ۳
۹۹. دروس في علوم القرآن / نذير الحسني
۱۰۰. ضوابط الرضاع، الجزء الاول / السيد محمد باقر الداماد / تصحيح سيد مجتبى ميرداماد
۱۰۱. ضوابط الرضاع، الجزء الثاني / السيد محمد باقر الداماد / تصحيح سيد مجتبى ميرداماد
۱۰۲. كتاب التعليق ۱ / شاكر محمود فضلي، ميثم الربيعي / ج ۲
۱۰۳. كتاب التعليق ۲ / شاكر محمود فضلي، ميثم الربيعي
۱۰۴. كتاب التعليق ۳ / شاكر محمود فضلي، ميثم الربيعي
۱۰۵. كتاب اللغة العربية ۲ / شاكر محمود فضلي، ميثم الربيعي
۱۰۶. كتاب اللغة العربية ۳ / شاكر محمود فضلي، ميثم الربيعي

۱۰۷. من جهاد الی جهاد/ سید حسن فیروزآبادی/ عبد الکریم الحسنی

۱۰۸. معلق تفسیر القرآن ۱ (اصول و قواعد التفسیر)/ محمد علی الرضائی الاصفهانی/ احمد الازرقی و هاشم ابوحسین

۱۰۹. مقدمة علی اهم الفرق و المذاهب الاسلامیة/ شکیب بن بدیرة العلیلی

۱۱۰. دروس الانظار فی اصول الفقه المقارن الجزء الاول/ السید میر تقی الحسینی الگرگانی

۱۱۱. دروس الانظار فی اصول الفقه المقارن الجزء الثانی/ السید میر تقی الحسینی الگرگانی

انگلیسی

۱۱۲. پندهایی از مرقد پیامبر و امامان/ جعفر سبحانی تبریزی/ فرید مهدوی دامغانی

فرانسوی

۱۱۳. اصول کافی ج۱/ محمد بن یعقوب کلینی/ فرید: مهدوی دامغانی

۱۱۴. اصول کافی ج۲/ محمد بن یعقوب کلینی/ فرید: مهدوی دامغانی

۱۱۵. اصول کافی ج۳/ محمد بن یعقوب کلینی/ فرید: مهدوی دامغانی

۱۱۶. التبلیغ مناهجه و اسالیبه/ جعفر البحارنی/ نعب مباله ابنکی

۱۱۷. به سوی قرآن (روانخوانی و انس با قرآن)/ ابوالفضل خوش منش

۱۱۸. تاریخ فرهنگ و تمدن اسلامی/ محمد رضا کاشفی/ هارون مکومبه

۱۱۹. فرق و مذاهب کلامی/ علی ربانی گلپایگانی/ ابراهیم موتوبتو

۱۲۰. مقدمة علی الفلسفة/ هادی صادقی/ ابراهیم موتوبتو

ایتالیایی

۱۲۱. صحیفه مبارکه سجادیه (آشنایی با صحیفه سجادیه)/ امام زین العابدین علیه‌السلام/ فرید مهدوی دامغانی/ ج۲

اردو

۱۲۲. احکام ازدواج دائم و موقت مطابق با فتاوای مراجع عظام/ سید حجت موسوی خوئی/ فیروز علی بنارسی

۱۲۳. احکام حجاب و عفت/ حمید حلفایی/ سید هادی حسن رضوی

۱۲۴. آزادی و دین سالاری/ جعفر سبحانی تبریزی/ سید مراد رضا رضوی

۱۲۵. پله پله تا آسمان علم (آسمان علم تک قدم به قدم)/ محمد عابدی/ سید وجیه اکبر زیدی

۱۲۶. تاریخ و سیرت معصومین ج۲/ سید منذر حکیم/ سید کمیل اصغر زیدی

۱۲۷. خطبه حضرت زینب در کاخ یزید/ سید توقیر عباس کاظمی

۱۲۸. درسنامه تاریخ عصر غیبت/ مسعود پورسید آقایی، محمد رضا جباری، حسن عشوری، سید منذر حکیم/ طلال حسین پکهنازوی

۱۲۹. شیعه شناسی/ علی ربانی گلپایگانی/ سید مظفر صادق زیدی

۱۳۰. صحیفه شهادت فرمودات امام حسین علیه‌السلام/ محمد صادق نجمی/ سید حسن مهدی حسینی، سید حسن جعفر رضوی اعظمی

۱۳۱. قانون عقل و وحی/ حسن مهدی زاده/ طلال حسین پکهنازوی

۱۳۲. کلیات فقه اسلامی/ حسن قاسمیان/ سید امین حیدر رضوی

تاجیکی

۱۳۳. آشنایی با صحیفه سجادیه/ علی بن الحسین/ الیاس قاسم اف

۱۳۴. تحکیم خانواده از نگاه قرآن و حدیث/ محمد محمدی ری شهری/ حکیم جان کمال اف

۱۳۵. جایگاه اهل بیت علیهم‌السلام از دیدگاه امام ابو حنیفه/ محمد شفق خواتی/ حکیم جان کمال اف

۱۳۶. حکمت نامه پیامبر اعظم ۱/ محمد محمدی ری شهری/ حکیم جان کمال اف

۱۳۷. حکمت نامه پیامبر اعظم ۲/ محمد محمدی ری شهری/ حکیم جان کمال اف

۱۳۸. حکمت نامه لقمان/ محمد محمدی ری شهری/ حکیم جان کمال اف

۱۳۹. سنن النبی (ص)/ محمد حسین طباطبایی/ حکیم جان کمال اف

۱۴۰. نبرد حق و باطل/ شهید مرتضی مطهری/ حبیب الله امان

۱۴۱. نظری به نظام اقتصادی در اسلام/ شهید مرتضی مطهری/ سید برهان اکبر

۱۴۲. نهج البلاغه/ سید رضی/ الیاس قاسم اف

فولانی

۱۴۳. حلال اهل بیت علیهم‌السلام/ سید محمد مهدی صدر/ محمد بازی

۱۴۴. پرتو پژوهش ج۱/ مجتمع آموزش عالی فقه/ محمد بازی

۱۴۵. تاریخ اسلام از جاهلیت تا رحلت پیامبر صلی الله علیه و آله و سلم/ مهدی پیشوایی/ محمد بازی

۱۴۶. نشانه هایی از دولت موعود/ نجم الدین طبسی/ محمد بازی

بنگالی

۱۴۷. پرتو پژوهش ج۱/ مجتمع آموزش عالی فقه/ محمد منیر حسین خان

۱۴۸. چشم اندازی به حکومت مهدی علیه‌السلام/ نجم الدین طبسی/ محمد عبد القیوم

۱۴۹. چهل حدیث سیره نبوی/ جواد محدثی/ سیده شهربانو زیدی

۱۵۰. همسرداری/ ابراهیم امینی/ محمد عبد القیوم

۱۵۱. ولایت فقیه (ساختار حکومت اسلامی)/ امام خمینی رحمه‌الله/ محمد عبد القدوس

آذری

۱۵۲. آیات ولایت در قرآن/ ناصر مکارم شیرازی/ مردان زال اف

اندونزی

۱۵۳. پرتو پژوهش ج۱/ مجتمع آموزش عالی فقه/ اکمل کامل

پشتو

۱۵۴. چشم اندازی به حکومت مهدی علیه‌السلام/ نجم الدین طبسی/ سرفراز علی مهدی

ترکی استانبولی

۱۵۵. چشم اندازی به حکومت مهدی علیه‌السلام/ نجم الدین طبسی/ رسول سور، سرکان سلو، محمد کاراومان

۱۵۶. شمیم ولایت/ عبد الله جوادی آملی/ قادری چلیک

۱۵۷. مثل های آموزنده قرآن/ جعفر سبحانی تبریزی/ رضا شکر اف

روسی

۱۵۸. فقه و عقل/ ابوالقاسم علی دوست/ یوسف قایو

منشورات عام ۱۳۹۱

فارسی

۱. اسلام و اصلاح فرهنگی/ مولف: زکی میلاد/ ت: آیت اله جزمی

۲. آثار تربیتی جلوه‌های اخلاقی قیام عاشورا/ محمد عارف صداقت

۳. آشنایی با اصول و روش‌های ترجمه قرآن (خلاصه کتاب منطق ترجمه قرآن)/ محمد علی رضایی اصفهانی

۴. آشنایی با تاریخ و منابع حدیثی/ علی نصیری/ ج۲

۵. آموزش احکام همراه با استفتائات مقام معظم رهبری مدظله العالی/ محمد حسین فلاح زاده/ ج۷

۶. آموزش فارسی به غیرفارسی زبانان/ فاطمه کبری

۷. آموزش فارسی به فارسی کتاب ج۱/ احمد زهرایی و اصغر فردی

۸. آموزش فارسی به فارسی کتاب ج۲/ احمد زهرایی و اصغر فردی

۹. آموزش فارسی به فارسی کتاب کار ج۱/ مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی/ ج۳

۱۰. پیرهها از رهیافت هایی از دعای هشتم صحیفه سجادیه/ حجت منگه چی

۱۱. پرتو پژوهش شماره ۹۱ الی ۹۶

۱۲. التزام دگزیر تحلیلی بر راهبردهای ایالات متحده آمریکا در مواجهه با بیداری اسلامی/ مولف: امیل نخله/ ت: علی محمد سنایی

۱۳. حقوق اهل‌بیت علیهم‌السلام در تفاسیر اهل‌سنت/ محمد یعقوب بشوی/ ج۲

۱۴. درآمدی بر علم کلام اسلامی/ عزالدین رضانژاد

۱۵. درآمدی بر لیبرالیسم بررسی و نقد مبانی/ علی الهی تبار

۱۶. درآمدی بر مناسبات روحانیت و دولت اسلامی با تاکید بر دیدگاه امام خمینی رحمه‌الله/ نبی معصومی

۱۷. درآمدی به تاریخ علم اصول/ مهدی علی پور/ ج۳

۱۸. دردری (مجموعه سروده‌های شاعران پارسی گوی جوامع بزرگ درباره حادثه عاشورا)/ سید حسن احمدی نژاد بلخی بلخابی

۱۹. درسنامه تفسیر تربیتی ج۱/ محمد حسین محمدی

۲۰. درسنامه درایة الحدیث/ سید رضا مؤدب/ ج۳

۲۱. درسنامه عقاید/ علی شیروانی/ ج۷

۲۲. رهیافتی به منظومه فکری حضرت امام خمینی رحمه‌الله و رهبر معظم انقلاب در حوزه فرهنگ و تربیت/ جمعی از محققین دفتر فرهنگی فخر الائمه به سفارش جامعه المصطفی العالمیه/ ج۲

۲۳. شکوه کلام در نهج البلاغه/ حسن امیر انصاری

۲۴. علم درایه تطبیقی/ سید محمد رضا مؤدب/ ج۲

۲۵. فصلنامه طلوع رضوانی

۲۶. فلسفه شک/ سید عبدالله حسینی

۲۷. قرآن و امام حسین علیه‌السلام (تحلیل استشهادات قرآنی و روایات تفسیری امام حسین علیه‌السلام)/ حسین مطهری محب

۲۸. کوثر معارف شماره ۲۲

۲۹. مبانی کلامی فارسی مجاز قرآن/ روح الله رضوی

۳۰. مجموعه مقالات همایش بین المللی قرآن و مستشرقان/ جمعی از مولفان

۳۱. منطق ترجمه قرآن/ محمد علی رضایی اصفهانی/ ج۲

۳۲. منطق مقدماتی/ ابوالفضل روحی/ ج۲

۳۳. نشریه پرتو شماره ۲۴

۳۴. ویژه نامه مستشرقان/ جمعی از مولفان

عربی

۳۵. ولایة الفقیه و الحکومة الاسلامیة فی عصر الغیبة/ ودیع الحیدری

۳۶. القدس فی الشعر العربی الحدیث فی سوریة و لبنان و فلسطین/ جهاد فیض الاسلام

۳۷. دراسات الاسلامیة فی علم نفس النمو مرحلة الطفولة مراحل النمو و مقومات التربیة/ سعید کاظم العذاری

۳۸. النحو الجامع/ سید حمید الجزایری/ ج۲

۳۹. القرائات والاحرف السبعة / عبدالرسول الغفاری
۴۰. القراءة والمقارنة / مولف میثم الربیعی؛ محمد الحیدری؛ شاکر الفضلی
۴۱. التعلیم المتمیز / مولف میثم الربیعی؛ محمد الحیدری؛ شاکر الفضلی

انگلیسی

۴۲. نهج البلاغة / مولف: سید رضی ت: سید علی رضا
۴۳. کتاب احادیث (چهل حدیث) / مولف: سید علی لواسانی ت: سید علی فرید محمدی

فرانسوی

۴۴. امام اخلاق سیاست / مولف: سید حسن اسلامی / ت: ابراهیم موتو

اردو

۴۵. قرآن و امام حسین علیه السلام / مولف محسن قرائتی / ت: سید نصرت علی جعفری / ج۲

فیلیپینی

۴۶. آشنایی با احکام / ت: معطر دگلاس بنگالن
۴۷. شیعه پاسخ می‌گوید / ت: معطر دگلاس بنگالن

پشتو

۴۸. شفاعت / مولف: سید حسن طاهری خرم‌آبادی ت: سرفراز علی محمدی
۴۹. رویکرد اخلاقی بر باورهای وهابیت / مولف: سید حسن طاهری خرم‌آبادی / ت: محمد رحیم دری

اویغوری

۵۰. نهج البلاغه / مولف سید رضی ت: عبدالرحمن امام موهای مدنی / (ماسوفی)

اندونزی

۵۱. شفاعت / مولف: حسن طاهری خرم‌آبادی ت: احمد مرزوقی امین
۵۲. رویکرد عقلانی بر باورهای وهابیت / نجم الدین طبسی ت: حسن نوبو

تایلندی

۵۳. جایگاه زن از دیدگاه امام خمینی ره / مولف: محمد شریف کت سیمون

سال انتشار ۱۳۹۰

فارسی

۱. اسلام در هند / دکتر محمد رضا موحدی
۲. اعجاز قرآن / سید رضا مؤدب
۳. اعجاز قرآن و مصونیت از تحریف / محمد مهدی اشکدرلو
۴. انقلاب اسلامی ایران در زمینه‌ها و فرآیند شکل‌گیری / محمد مهدی باباپور
۵. آداب و اخلاق پزشکی در اسلام / ت: محمدرضا صالح
۶. آشنایی با اندیشه سیاسی شهید صدر / علی رضایی بیان، محمد مهدی باباپور، منصور میر احمدی
۷. آشنایی با اندیشه سیاسی شهید مطهری / علی رضایی بیان، محمد مهدی باباپور، منصور میر احمدی
۸. آشنایی با آموزه‌های اسلام (اول راهنمایی) / علی بمان ملک احمدی
۹. آشنایی با آموزه‌های اسلام (دوم راهنمایی) / علی بمان ملک احمدی
۱۰. آشنایی با آموزه‌های اسلام (سوم راهنمایی) / علی بمان ملک احمدی
۱۱. آشنایی با آموزه‌های اسلام (اول دبیرستان) / علی بمان ملک احمدی
۱۲. آشنایی با آموزه‌های اسلام (دوم دبیرستان) / علی بمان ملک احمدی
۱۳. آشنایی با آموزه‌های اسلام (سوم دبیرستان) / علی بمان ملک احمدی
۱۴. آشنایی با متون حدیث و نهج البلاغه / مهدی مهریزی
۱۵. آشنایی با متون روایی معارفی / عبدالمجید زهادت
۱۶. آموزش احکام (همراه با استفتائات مقام معظم رهبری) / محمدحسین فلاح زاده
۱۷. آموزش فارسی به فارسی کتاب کار چهارم / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۸. بررسی احوال فرزندان امام موسی کاظم علیه السلام و نقش آنها در تاریخ تشیع / سید یحیی زاهدی
۱۹. پرتو پژوهش، ج۲ / معاونت پژوهش مجتمع عالی فقه
۲۰. پژوهشی تطبیقی در روایات تفسیری فریقین / مهدی رستم نژاد
۲۱. پژوهشی در علم رجال / اکبر ترابی
۲۲. پلورالیسم دینی و قرآن / موسی ابراهیمی
۲۳. پیوندهای ممتاز / محسن قرائتی
۲۴. تاریخ فلسفه اسلامی (ویرایش جدید) / جمعی از مؤلفان
۲۵. تاریخ فلسفه غرب ۱ / مهدی بنایی
۲۶. تاریخ قرآن / محمد حسین محمدی
۲۷. تجزیه جهان اسلام چرایی و پیامدها / علی اصغر زاده
۲۸. تمدن و فرهنگ شیعیان افغانستان / عبدالقیوم سجادی
۲۹. جایگاه مردم در نظام سیاسی دینی از منظر آیت الله نائینی و شهید صدر / امیر حسین فاضلی
۳۰. چکیده پایان‌نامه‌های کارشناسی ارشد، ج۱-۴ / معاونت آموزش
۳۱. حقوق بین الملل اسلامی / عبدالحکیم سلیمی
۳۲. حقوق بین الملل خصوصی / محمد مهدی کریمی نیا
۳۳. دایرة المعارف فرهنگ ملل، ج۱ / پژوهشگاه بین المللی المصطفی ﷺ
۳۴. درسنامه اخلاق / جواد محدثی
۳۵. درسنامه روش‌های تفسیر قرآن / دکتر محمد علی رضایی اصفهانی
۳۶. درسنامه وضع حدیث / ناصر رفیعی محمدی
۳۷. دستور زبان فارسی / حمید مصیریان
۳۸. دعای مکارم اخلاق (در پرتو قرآن و حدیث) / حجت منگنه چی
۳۹. دقایقی با قرآن / محسن قرائتی
۴۰. در باختر / حاج میرزا عبدالحسین قدسی
۴۱. دیدگاه مذاهب اسلامی در مورد تفاوت دیه زن و مرد و ادله آنها / محمد یاسین حسنی
۴۲. رابطه قدرت و عدالت در فقه سیاسی / غلام سرور اخلاقی
۴۳. ریاضی مقدماتی / غلامرضا صفایی صادق
۴۴. زن در افغانستان / محمد آصف محسنی (حکمت)
۴۵. سیره اخلاقی و تربیتی معصومین علیهم السلام / محمد حسنی
۴۶. شیوه‌ای نو در آموزش عروض و قافیه / محمد رضا نیکزاد
۴۷. عقل و ایمان از دیدگاه ابن رشد، صدر المتألهین شیرازی و ایمانوئل کانت / علاءالدین ملک‌اف
۴۸. فرهنگ اصطلاحات اصول / مجتبی ملکی اصفهانی
۴۹. فرهنگ واژگان فارسی به انگلیسی / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۵۰. فرهنگ واژگان فارسی به چینی / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۵۱. فرهنگ واژگان فارسی به روسی / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۵۲. فرهنگ واژگان فارسی به عربی / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۵۳. فرهنگ واژگان فارسی به فرانسه / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۵۴. فرهنگ واژگان فارسی به مالایو / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۵۵. قیام مهدی عج / معطر امنت / سید حسن فیروزآبادی
۵۶. کتاب‌شناسی تعلیم و تربیت در اسلام / بهروز رفیعی
۵۷. کتاب کار دستور زبان فارسی / حمید مصیریان
۵۸. کمک درسی زبان روسی / علی مدبر چهار برجی
۵۹. الگوی فرزانگی / معاونت پژوهش
۶۰. مبانی فقهی انقلاب اسلامی در اندیشه امام خمینی ره / علی اکبر ناصری
۶۱. مجموعه مقالات چهاردهمین جشنواره بین المللی پژوهشی شیخ طوسی، ج۱-۳ / جمعی از مؤلفان، پژوهشگاه بین المللی المصطفی ﷺ؛ پژوهشکده انقلاب اسلامی
۶۲. مجموعه مقالات نخستین همایش اندیشه سیاسی حضرت امام خمینی ره، ج۲-۴ / مجتمع آموزش عالی امام خمینی ره
۶۳. مجموعه مقالات همایش زن در افغانستان، ج۴ / جمعی از مولفان
۶۴. مشاهیر تشیع در افغانستان، ج۱-۳ / عبدالمجید داود ناصری
۶۵. معرفت‌شناسی / حسن معلمی
۶۶. معرفت‌شناسی باور دینی از دیدگاه شهید مطهری و آلوین پلانتینگا / علاء الدین ملک‌اف
۶۷. مقایسه تطبیقی اندیشه مهدویت در اسماعیلیه و امامیه / قدیر محمداف
۶۸. منشور فضل / به کوشش جمعی از مؤلفان
۶۹. نقد نظریه تجربه دینی با تأکید بر قرآن / امیرعلی شجاع
۷۰. ویژه‌نامه اختر تابان / جمعی از مولفان
۷۱. ویژه‌نامه همایش دین، فرهنگ و رسالت علمای افغانستان / نمایندگی جامعة المصطفی ﷺ در افغانستان
۷۲. ویژه‌نامه همایش شیخ طوسی / پژوهشگاه بین المللی المصطفی ﷺ
۷۳. همایش حوزه‌های علمیه افغانستان / نمایندگی جامعة المصطفی ﷺ در افغانستان
۷۴. یهودیت / محمد حسین طاهری آکردی

عربی

۷۵. اسالیب التبلیغ عند الانبیاء دراسة قرآنیة / السید منتظر الموسوی (الحائری)
۷۶. ولایة عقد النکاح / حمودی حسن عباس العقیل
۷۷. آیة الانتصار بین عالمیة الاسلام والعولمة المعاصر / ریاض عبدالرحیم الباهلی
۷۸. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: رعد الحجاج
۷۹. تأثیر الثورة الاسلامیة علی البلدان العربیة / ت: عبدالکریم بحروی نعمه
۸۰. التسهیل فی التجوید والترتیل / حسن عالمی بکتاش
۸۱. تداعیات الثورة الاسلامیة فی العالم الاسلامی / دکتر منوچهر محمدی
۸۲. تطور حرکة الاجتهاد عند الشیعة الامامیة / عدنان فرحان
۸۳. التفسیر التربوی للقرآن الکریم / شیخ هاشم ابو خمسین
۸۴. تهذیب البلاغة فی تلخیص مختصر المعانی لسعد الدین التفتازانی / علی عرب خراسانی
۸۵. الحریة الاقتصادیة ضوابطها وحدودها فی الفقه الاسلامی / عبدالکریم بحروی

۸۶. الحقوق الزوجية / موسى علي حسين (ادريس)
۸۷. الحكومة الإسلامية في رؤية الإمام الخميني ره / ت: محسن زين العابدين
۸۸. الحكومة الإسلامية و ولاية الفقيه في رؤية الإمام الخميني ره / ت: محسن زين العابدين
۸۹. الدر الزاهر في مقتضيات الجواهر ج۱ / السيد جمال الدين دين‌پرور
۹۰. دراسة أدلة إثبات وجود الواجب في ضوء الحكمة المتعالية / السيد أحمد السيد صلاح الموسوي
۹۱. دراسة تطبيقية عند التكافؤ في الترجمة (من الفارسية إلى العربية) / أنور بيام الرصافي
۹۲. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي، تطبيقي ج۲و۳ / الشيخ باقر الإيرواني
۹۳. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج۱ / الشيخ باقر الإيرواني
۹۴. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج ۲،۳ / الشيخ باقر الإيرواني
۹۵. دروس في الأصول الفقه المقارن / مجيد البيسي
۹۶. دروس في تاريخ الفقه و دوره / آية الله جعفر السبحاني
۹۷. دروس في علم الدراية / ت: قاسم البيضاني
۹۸. دروس في نصوص الحديث و نهج البلاغة / ت: أنور الرصافي
۹۹. شقائق الرحمن / عادل المزيعل الساعي
۱۰۰. علم الدراية المقارن / ت: أنور الرصافي
۱۰۱. الفقه المقارن (العبادات و الأحوال الشخصية) / سيد كاظم مصطفوي
۱۰۲. القواعد الفقهية ۲ (القواعد الأصولية، حجية البينة و...) / السيد محمد كاظم المصطفوي
۱۰۳. قيام المهدي منقذ المنتظر عج / السيد حسن فيروز آبادي
۱۰۴. مباني نقد متن الحديث / قاسم البيضاني
۱۰۵. النجوم الزاهرة في إثبات خلافة الأئمة الطاهرة / السيد خليل التركي

انگلیسی

۱۰۶. آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران / ت: حامد حسین وقار
۱۰۷. آشنایی با صحیفه سجادیه / ت: حامد حسین وقار
۱۰۸. حفظ موضوعی قرآن کریم / ت: حامد حسین وقار
۱۰۹. خاطرات امیرالمؤمنین ع / ت: علی فرید محمدی
۱۱۰. در آستان رحمت / فرید: مهدوی دامغانی
۱۱۱. در آغوش نور ولایت / سید علی فرید محمدی
۱۱۲. قیام مهدی عج منتظر منجی / ت: مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفی ص
۱۱۳. نگاهی دوباره به نظریه شفاعت / ت: سلام جودی

فرانسوی

۱۱۴. آموزش احکام / ت: لیزا کاب
۱۱۵. پیام آور رحمت / فرید: مهدوی دامغانی
۱۱۶. در آستان رحمت / فرید: مهدوی دامغانی
۱۱۷. سرودهای عاشورایی / فرید: مهدوی دامغانی
۱۱۸. فلسفه اخلاق / ت: ابراهیم متوبتو
۱۱۹. نامه‌های امیرالمؤمنین ع / فرید: مهدوی دامغانی

تاجیکی

۱۲۰. اهل بیت ع در قرآن و سنت / ت: حکیم جان کمالی
۱۲۱. بحث‌هایی پیرامون اسلام / حکیم جان کمالی
۱۲۲. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: حکیم جان کمالی
۱۲۳. تفسیر سوره عنکبوت / ت: شهاب الدین محمد امین
۱۲۴. چهل حدیث مقام زن در روایات / محمد رحیمی
۱۲۵. حکمت نامه جوان / حکیم جان کمالی
۱۲۶. حکمت نامه کودک / ت: حکیم جان کمالی
۱۲۷. دین و آخرت / ت: حکیم جان کمالی
۱۲۸. سید جمال الدین مصلح شرق / ت: سید اکبر برهان
۱۲۹. شرح چهل حدیث خداشناسی / بحرالدین قربان
۱۳۰. مسأله حجاب / ت: سید اکرم جان زیادالله
۱۳۱. مسئولیت والدین در قبال فرزندان / ت: محمد الله حلیم اف
۱۳۲. مقام و منزلت ازدواج / محمد رحیمی
۱۳۳. نگاهی به مسیحیت / ت: محمدالله حلیم اف

آذری

۱۳۴. اهل بیت ع در قرآن و سنت / ت: رضا شکراف
۱۳۵. آداب معاشرت از نگاه معصومین ع / ت: محمد خلیل اف
۱۳۶. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: رضا شکراف
۱۳۷. پرتویی از فضائل امیرالمؤمنین علی ع / ت: علاء الدین ملک اف
۱۳۸. پلورالیسم دینی، حقیقت و کثرت / ت: علاء الدین ملک اف
۱۳۹. پیامبر ص از نگاه قرآن و اهل بیت ع / ت: علاء الدین ملک اف
۱۴۰. توحید و زیارت / ت: محمد خلیل اف
۱۴۱. جسم انگاری خدا از نگاه شیعه و سنی / ت: حسین مهدی اف
۱۴۲. حکمت‌نامه زنان / توفیق اسد اف و فضل الدین رحیم اف
۱۴۳. حیات پیامبر اسلام حضرت محمد ص / ت: علاء الدین ملک اف
۱۴۴. خصائص امیرالمؤمنین ع / ت: جبرئیل نبی اف
۱۴۵. زندگی در پرتو اخلاق / ت: رضا شکر بیگلی
۱۴۶. سیری در صحیحین / ت: رشاد اکبر اف
۱۴۷. شفاعت / ت: الشن آقام علی اف
۱۴۸. صد و پنجاه درس زندگی / ت: اسماعیل اسماعیل اف
۱۴۹. عقل، ایمان و انسان‌شناسی / ت: علاء الدین ملک اف
۱۵۰. گفتمان مهدویت زبان آذری / ت: علاء الدین ملک اف

اردو

۱۵۱. آداب دعا / رجب علی حیدری
۱۵۲. پرتو پژوهش، ج۱ / سید حمید اختر رضوی
۱۵۳. تعلیمات قرآن / موسسه قرآن و عترت
۱۵۴. تفسیر القرآن و هو الهدی و الفرقان / سید محمد عباس رضوی
۱۵۵. معارف قرآن و عترت / موسسه قرآن و عترت

استانبولی

۱۵۶. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: رسول سر
۱۵۷. عدل الهی از دیدگاه امام خمینی ره / گردآورنده: بحری کیوک

هوسایی

۱۵۸. التربیة الدینیة / ت: محمد بشیر

ایتالیایی

۱۵۹. صحیفه سجادیه / فرید: مهدوی دامغانی

فولانی

۱۶۰. تاریخ اسلام زندگی حضرت زهرا س / ت: محمد بازی
۱۶۱. سیره پیشوایان / ت: محمد بازی

پشتو

۱۶۲. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: محمد رحیم درانی

سنة الطبع ۱۳۸۹

فارسی

۱. از سی مرغ تا سیمرغ / محمدرضا یوسفی
۲. از قدیسان تا پیشگامان / محمدرضا یوسفی، رقیه ابراهیمی شهرآباد
۳. آسیب‌شناسی تمدن اسلامی / علیرضا عالمی
۴. آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران / حسین علوی مهر
۵. آشنایی با صحیفه سجادیه / محمد علی مجد فقیهی
۶. آموزش فارسی به فارسی (کتاب کار ۵، ۶، ۷) / اصغر فردی، احمد زهرایی، جعفر مقیمی
۷. آموزه‌های بنیادین علم اخلاق، ج۲ / محمد فتحعلی خانی
۸. با نور قرآن هدایت شدم / ت: محمدقاسم احمدی
۹. بدایة المبتدی، ج۱-۲ / سید یونس استروشنی، قمرالدین عسلی
۱۰. براهین جهان‌شناختی از دیدگاه ابن‌سینا و آکویناس / حمید ذاکری
۱۱. پرتو پژوهش، ج۱ / معاونت پژوهش مجتمع آموزش عالی فقه
۱۲. تاریخ پیامبر و اهل بیت ع، ج۱-۱ / علی ملک محمدی
۱۳. تاریخ تحلیلی اندلس / محمدرضا شهیدی پاک
۱۴. تاریخ تحلیلی مغرب / محمدرضا شهیدی پاک
۱۵. تاریخ حدیث / سید رضا مؤدب
۱۶. تفسیر تطبیقی (بررسی تطبیقی مبانی تفسیر قرآن و ...) / فتح الله نجارزادگان
۱۷. جایگاه جامعة المصطفی ص العالمیة در بعثت جهانی / اداره کل دفتر ریاست جامعة المصطفی ص العالمیة
۱۸. جوانی در خلوت / مرتضی عادلی
۱۹. چهل حدیث در مورد انسجام اسلامی / جمعی از مؤلفان مجتمع امام خمینی ره
۲۰. حفظ موضوعی قرآن کریم / سید علی میرداماد نجف‌آبادی
۲۱. خلوص کامیاب / عبدالحسین طالعی، مرتضی عادلی
۲۲. درآمدی بر سیره اهل بیت ع / حسین عبدالمحمدی
۲۳. درسنامه آیات الاحکام جزایی / محمد مهدی کریمی نیا
۲۴. درسنامه صرف / علی عرب خراسانی
۲۵. درسنامه عقاید / علی شیروانی
۲۶. دیکشنری فارسی - اندونزی / بانو فیروزان
۲۷. رهیافتی به منظومه فکری امام خمینی ره و مقام معظم رهبری / جمعی از محققان دفتر فرهنگی فخرالائمه

۲۸. شناخت متعمد / مصطفی سکندری
۲۹. قرآن کتاب رشد و تعالی / روح الله دهقانی
۳۰. قصه‌های قرآنی / صالح قنادی
۳۱. مبانی و روش‌های تفسیری / محمد کاظم شاکر
۳۲. مبانی و اصول طراحی کتاب درسی / محمد شریفی نیا
۳۳. مجموعه مقالات ویژه سیزدهمین جشنواره شیخ طوسی / جمعی از مؤلفان
۳۴. مجموعه مقالات نخستین همایش اندیشه سیاسی امام خمینی، ج ۱ / مجتمع آموزش عالی امام خمینی
۳۵. مجموعه مقالات همایش زنان در افغانستان، ج۱-۴ / ستاد برگزاری همایش
۳۶. مقام محبت الهی از منظر حکمت و عرفان نظری و عملی / محمد حسین حلیلی
۳۷. منشور جامعة المصطفى العالمية
۳۸. منطق پیشرفته / عسکری سلیمانی امیری
۳۹. مهدویت در ادیان آسمانی / ابراهیم کوثری
۴۰. مهندسی اوقات فراغت / محمد علی متولیان، احمد هوشمند
۴۱. نحو آسان / حسن ابراهیم زاده
۴۲. نظام حقوقی اسلام / خلیل قنوتی

عربی

۴۳. بحوث في علم الرجال / آية الله محمد آصف المحسني
۴۴. تاريخ الحديث / السيد رضا مؤدب
۴۵. التعرف على خط التقى / مرتضى الشعباني
۴۶. دروس تمهيدية في السيرة القادة الهداة، ج۱-۲ / السيد منذر حكيم
۴۷. دروس في الفقه المعاملات (البيع) / السيد محمد كاظم المصطفوي
۴۸. دروس في المسيحية / علي الشيخ
۴۹. دروس في المناهج والاتجاهات و التفسيرية للقرآن / ت: قاسم البيضاني
۵۰. دروس في علوم القرآن / حسين جوان آراسته
۵۱. دروس في فقه الاستدلالي، ج۱-۳ / عبد الكريم آل نجف
۵۲. دروس موجزة في علمي الرجال والدراية / آية الله جعفر سبحاني
۵۳. العلم في نظر الدين / عبدالكريم الحنفي
۵۴. القرآن الحسين وحدة المنهج و الهدف / السيد ليث الحيدري
۵۵. المحكم و المتشابه / عبدالرسول غفاري
۵۶. المرأة في الاسلام / عبدالرسول غفاري
۵۷. معجم الافعال المتداولة و مواطن استعمالها / السيد محمد الحيدري
۵۸. معرفة ابواب الفقه / محسن الفقيهي
۵۹. النسخ بين المفسرين / عبدالرسول غفاري
۶۰. وغاية الحكمة في شرح نهاية الحكمة / حسين عشاقي الاصفهاني

انگلیسی

۶۱. شعائر عاشورایی، ج۱-۲ / محمد رضا فخر روحانی

فرانسوی

۶۲. سخنان حسین بن علی علیه‌السلام از مدینه تا کربلا / ت: فرید: مهدوی دامغانی

تاجیکی

۶۳. اربعین مولانا جامی / دستان جعفرزاده
۶۴. پدر و مادر و معلم موارد خوب تربیت کن / ت: سید امان‌الله بابایوف
۶۵. پیامبر اعظم صلی‌الله‌علیه‌وآله / رجب جمعه‌جان
۶۶. تفسیر سوره محمد صلی‌الله‌علیه‌وآله / محسن قرائتی
۶۷. حرمت شراب / روح الله قلندر
۶۸. فضیلت صدقه / مصطفی علی
۶۹. مقام پدر و مادر / محمد رحیمی
۷۰. مقام قرآن کریم / اسماعیل محی الدین
۷۱. مقام نماز / عبد الهاشم میرزا

آذری

۷۲. حجاب چرا و چگونه / ت: حمزالدین شکراف
۷۳. دعا و توسل / حسین طاهری خرم آبادی
۷۴. سرنوشت از دیدگاه علم و فلسفه / ت: رضا شکراف
۷۵. قرآن کریم چنانکه هست / یلقار اسماعیل زاده

اردو

۷۶. آداب اسلامی، ج۱-۲ / محمد عندلیب
۷۷. تاریخ شیعیان کشمیر / غلام محمد گلزار
۷۸. تحریف قرآن کی بطلان کا تحقیقی جائزه / ت: عارف حسین مبارکپوری
۷۹. ترجمه گزیده غرر الحکم و درر الکلم / ت: محمد فائز باقری
۸۰. چگونه قرآن را حفظ کنیم / شهریار پرهیزکار
۸۱. قصه‌های قرآنی ـ قرآن قصص / صالح قنادی

ترکی استانبولی

۸۲. عقاید اسلامی در پرتو قرآن حدیث و عقل / ت: بحری اکیوز

بنگلایی

۸۳. چهل حدیث معرفت / ت: محمد ابوسعید

هوسایی

۸۴. رابطه والدین با فرزندان / حافظ محمد سعید
۸۵. زندگی زناشویی / حافظ محمد سعید

ایتالیایی

۸۶. صفات شیعه / ت: عباس دی پالما

ازبکی

۸۷. آموزش مفاهیم قرآن کریم / ت: شیر علی‌اف

هندی

۸۸. ترجمه گزیده غرر الحکم / سید قمر غازی

سال انتشار ۱۳۸۸

فارسی

۱. اسراف و تبذیر، تباهی سرمایه‌ها / ناصر رفیعی محمدی
۲. اندیشه‌های قرآنی شهید مطهری رحمه‌الله، ج۲ / جمعی از مؤلفان
۳. آزادی در مکتب فکری عاشورا / علیرضا محمدی، اسماعیل دانش، غلام سخی حلیمی
۴. آسیب‌های درونی عزاداری / سید محمد علی موسوی
۵. آشنایی با مستشرقان و اسلام‌شناسی غربیان / محمدحسن زمانی
۶. آشنایی با علوم قرآن / محمد باقر سعیدی روشن
۷. آموزش صرف / جمعی از مؤلفان
۸. آموزش علوم قرآن / محمدباقر سعیدی روشن
۹. آموزش فارسی به فارسی (کتاب کار ۱-۴) / اصغر فردی، احمد زهرایی، جعفر مقیمی
۱۰. بازخوانی تأثیرات انقلاب اسلامی ایران بر بیداری مسلمانان / سید مهدی طاهری
۱۱. بررسی واقعه عاشورا در تاریخ طبری / آزاده محمدی
۱۲. بررسی تحریفات قیام عاشورا از دیدگاه تحریف‌ستیزان / آمنه حسنی، حمیده احمدی، کریمه کاکلی
۱۳. بررسی مدارک و مستندنویسی واقعه عاشورا / سید حسن سجادی، سید طالب زکی
۱۴. بررسی مستند حیات حضرت زینب علیهاالسلام و نقش او در نهضت عاشورا / سید علیرضا عالمی
۱۵. تاریخ آموزش در اسلام / حسن حسین‌زاده شانه‌چی
۱۶. تجزیه و ترکیب / حسین شیرافکن
۱۷. تصمیم‌گیری شورایی / معاونت پژوهش
۱۸. تطور عاشوراانگاری در میان اهل سنت / حبیب الله صالحی (روحانی)، غلامحسین امیری
۱۹. جلوه‌ها و الگوهای اخلاقی قیام عاشورا / محمد عارف صداقت، حمیدالله شریفی
۲۰. چالش‌های زمینه‌ساز قیام حسینی / معصومه گل‌گلی، تقوا کنانی
۲۱. چکیده اندیشه‌های آیة الله سیدمجتبی موسوی لاری / حسن ابراهیم‌زاده
۲۲. حقوق اساسی جمهوری اسلامی افغانستان با تأکید بر قانون اساسی / عید محمد احمدی و قاسم علی صداقت
۲۳. حقوق غیر ایرانیان در جمهوری اسلامی / فرج الله هدایت‌نیا
۲۴. خردناب، ج۱-۲ / معاونت پژوهش
۲۵. دکترین مهدویت، ج۱-۴ / تهیه و تدوین: مؤسسه آینده روشن
۲۶. رابطه دیالکتیکی عاشورا با بحران‌های محیطی / محمدقاسم مرادی، قنبرعلی تابش
۲۷. زلال اندیشه / معاونت پژوهش
۲۸. سروش آسمانی، ج۱-۴ / محمدرضا فضلی
۲۹. سنت‌ها و آیین‌های بزرگداشت عاشورا در میان اهل سنت / محمد شریف حیدری، محمد جمعه شیخ‌زاده
۳۰. سیره اهل بیت علیهم‌السلام در جذب مخالفان / سید محسن مهدی زیدی
۳۱. سیره عملی پیامبر صلی‌الله‌علیه‌وآله و اهل بیت علیهم‌السلام در جذب دل‌ها / محمدجمعه شیخ‌زاده
۳۲. سیره و راه شهیدان: بنت الهدی رحمهاالله / ت: محب الله نوری
۳۳. عاشورا تجلیگاه عزت اسلامی / علیرضا محمدی، اسماعیل دانش، غلام سخی حلیمی
۳۴. فرهنگ تصویری فقه / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۳۵. فلسفه سیاسی فارابی و ارتباط آن با ولایت فقیه / محمد حسین حسینی
۳۶. کارنامه مجمع علما و طلاب خاوری / مجمع علما و طلاب خاوری
۳۷. مجموعه مقالات حکومت دینی / جمعی از مؤلفان
۳۸. مجموعه مقالات همایش اندیشه‌های قرآنی شهید مطهری رحمه‌الله / جمعی از مؤلفان
۳۹. مجموعه مقالات همایش دین و دینداری در عصر جدید / مجمع علما و طلاب خاوری

۳۰. مجموعه مقالات همایش عالمان دینی افغانستان / مجمع علماء و طلاب هزاره
۳۱. مجموعه مقالات همایش وحی شناسی / مدرسه عالی فقه و معارف اسلامی
۳۲. مسائل جدید کلامی و فلسفه دین، ج ۱-۳ / عبد الحسین خسروپناه
۳۳. معارف مثنوی / محمدرضا فضلی
۳۴. معرفی واحدهای آموزشی و پژوهشی جامعة المصطفی العالمیة / معاونت پژوهش
۳۵. مفاهیم علم نحو، ج ۱-۲ / محمود رضا عطاری
۳۶. مقایسه تطبیقی چهار گزارش مشهور در واقعه عاشورا / سید عبدالله حسینی
۳۷. نقد مبانی هرمنوتیکی نظریه قرائت های مختلف از دین / قربانعلی هادی
۳۸. نقش خاندان امام حسین در حادثه کربلا / رحیمه دانش، رقیه سادات میرکبیری
۳۹. نقش زنان در واقعه عاشورا / مرضیه سادات مرتضوی، صدیقه نجفی
۵۰. نقش عاشورا در وحدت میان مسلمانان / قربانعلی هادی
۵۱. نیایش عارفان / معاونت پژوهش
۵۲. وحدت اسلامی مبانی، عرصه ها، موانع و راهکارها / محمد رسول حسینی
۵۳. هرمنوتیک و تفسیر / غلام رسول حمیدی

عربی

۵۴. ابن تیمیه منهجه فی الحدیث / ابومحمد النعیمی
۵۵. اعجاز القرآن / ت: قاسم البیضانی
۵۶. التبلیغ: منهجه و سبله / جعفر البحرانی
۵۷. ترجمه قرآن کریم / محمد علی رضایی اصفهانی
۵۸. تعریب دروس فی وضع الحدیث / ناصر رفیعی المحمدی
۵۹. التقیة فی المجتمع الاسلامی الادلة و الآثار / محمد جواد فاضل موسوی
۶۰. تهذیب جواهر البلاغة / تهذیب و تلخیص: امیر الأمینی
۶۱. الحیاة الجنسیة بین الاستقامة و الشذوذ / سید کاظم الغزالی
۶۲. حیاة السیاسیة للامام الرضا / عصری البناء
۶۳. دروس فی تاریخ الادیان / ت: انور الرصافی
۶۴. دروس فی مبادئ الفقه و معرفة ابوابه / حسن الرضایی
۶۵. دروس فی وضع الحدیث / سید عبدالکریم حیدری و عبدالامیر الوردی
۶۶. الدین و عملیة العولمة / ت: عبدالکریم الحنفی
۶۷. القواعد الفقهیه (و بروست جدید) / السید محمد الحسینی القزوینی
۶۸. کتاب التعلیق / شاکر محمود فضلی
۶۹. اللغة العربیه / شاکر محمود فضلی
۷۰. المدخل الی تاریخ علم الاصول / مهدی علیپور، علی ظاهر
۷۱. مقدمه علی الفلسفه / صادق الساعدی
۷۲. النحو الجامع / حمید جزیری
۷۳. نحو القرآن / حسن الرضایی

انگلیسی

۷۴. معاد از دیدگاه قرآن و علوم / ت: زین العابدین یوبی
۷۵. یک گام بسوی ظهور / مدرسه امام حسین

فرانسوی

۷۶. غدیر از دیدگاه اهل سنت / ت: ابوالقعد نصر الله

تاجیکی

۷۷. احکام اسلامی / الیاس قاسم اف
۷۸. امام علی و پیروانش / الیاس قاسم اف

آذری

۷۹. امامت و ولایت در قرآن / ت: رضا شکراف
۸۰. آشنایی با رهبران سلفی وهابیت / الیاس قاسم اف
۸۱. پرسش و پاسخ در مورد عاشورا / فضل الدین رحیم اف و توفیق اسد اف
۸۲. حکمت نامه کودک / جمال الدین شکراف

اردو

۸۳. اتحاد الفریقین / سید شجاعت حسین رضوی
۸۴. اندیشه سیاسی شهید مطهری / ت: عون علی کریمی
۸۵. مصونیت قرآن از تحریف / ت: عارف حسینی
۸۶. مفاهیم اساسی نظریه ولایت فقیه / محسن رضا جعفری

زبان ایتالیایی

۸۷. سیرة النبویه / ت: عرفان دیزیوبی

سنة الطبع ۱۳۸۷

فارسی

۱. اجوبة الشحصیه شیعیان افغانستان / عبدالله شدائی
۲. اسلام و دموکراسی لیبرال / محمد حنیف طاهری
۳. اندیشه های قرآنی شهید مطهری، ج ۱ / جمعی از مؤلفان
۴. ایضاح الحکمة فی شرح بدایة الحکمة / علی ربانی گلپایگانی
۵. بررسی جامعه شناختی پیامدهای فرهنگی بازگشت مهاجران به افغانستان / محمد عیسی عالمی
۶. تحلیل قصص / محمد شریفانی
۷. جوان و جوانی در سیره اهل بیت / محمد عارف صداقت
۸. چکیده پایان نامه های کارشناسی ارشد جامعة المصطفی / مرتضی رضاخانی
۹. درآمدی به تاریخ علم اصول / مهدی علیپور
۱۰. درسنامه تاریخ عصر غیبت / پورسید آقایی، جباری، عاشوری و حکیم
۱۱. درسنامه درایة الحدیث / سید رضا مؤدب
۱۲. روحانیت و حکومت در افغانستان / محمدعلی صفدری
۱۳. فرهنگ تصویری واژه ها (چندزبانه) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۴. کلام تطبیقی (توحید، صفات و عدل الهی) / علی ربانی گلپایگانی
۱۵. کلام تطبیقی (نبوت، امامت و معاد) / علی ربانی گلپایگانی
۱۶. گفتمان فلسفی اسلام و غرب / سید حسن حسینی
۱۷. مدرسه ترسیم توحید / مجید حیدری فر
۱۸. نقش جنگ های صلیبی در انتقال تمدن اسلامی به غرب / سید عبدالرئوف رحیمی

عربی

۱۹. دراسات موجزة فی الخیارات و الشروط / آیة الله جعفر السبحانی
۲۰. دروس فی الفقه الاستدلالی (فی الفقه العبادات)، ج ۱-۲ / الشیخ باقر الایروانی
۲۱. الدعاء عند اهل البیت / محمد مهدی الآصفی
۲۲. قضاء المرأة فی الفقه الشیعی / ت: نبیل یعقوبی
۲۳. من فیض الخلود / فاضل الموسوی
۲۴. الوجیز فی مسائل الفقه الاستدلالی، ج ۱-۴ / سید علی العلو

تاجیکی

۲۵. تاریخ اسلام / مهدی پیشوایی، عبدالحکیم کمالی
۲۶. تفسیر سوره حجرات / ت: سید تاج الدین حسام
۲۷. تفسیر سوره یس، الرحمن، ملک / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۸. تسلیات / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۹. چهل حدیث بهداشت / حبیب الله امان
۳۰. سوره القمر / ت: محمد الله حلیم
۳۱. سوره یاسین / ت: محمد الله حکیم
۳۲. قصه کربلا / ت: عبدالحکیم کمالی
۳۳. منتخب میزان الحکمة، ج ۱-۴ / ت: عبدالحکیم کمالی، امان الله بنایی
۳۴. نگین آفرینش / الیاس قاسم اف

آذری

۳۵. السلف و السلفیون / ت: توفیق اسد اف
۳۶. مهدویت و جهانی سازی / ت: شکراف

اردو

۳۷. امتیازات علوی / ت: سید شاهد حسین رضوی هندی
۳۸. گزیده غرر الحکم و درر الکلم ت: محمد فیاض باقری
۳۹. نظام عادلانه اسلام / غلام اکبر حیدری
۴۰. یک گام بسوی ظهور / مدرسه امام حسین

تامیلی

۴۱. تاریخ شیعه و اعتقاداتشان / محمد نظام الدین

بنگلادیی

۴۲. آنچه یک زن مسلمان باید بداند / میرشرف العالم

سنة الطبع ۱۳۸۶

فارسی

۱. استخلاف از آیات تا حق / محمد سعید بهمن پور
۲. اعجاز قرآن از دیدگاه مستشرقان / رئیس اعظم شاهد
۳. آشنایی با ادیان بزرگ / حسین توفیقی
۴. آموزه های گام به گام استعلیق / حسن آهنگران
۵. پله پله تا اسرار علم / محمد عابدی
۶. تاریخ تشیع در افغانستان / عبدالمجید ناصری داوودی
۷. حقیقت محمدیه و فرد انسان از زادن تا بد در مکتب ابن عربی / احمد داتوران
۸. درآمدی بر برنامه ریزی آموزش عالی دینی / ت: نورالهدی توفیق، علی زاهدی پور
۹. درآمدی بر تئوری های حاکمیت / سید محمد مصطفوی
۱۰. سنت های اجتماعی الهی در قرآن / احمد مرادخانی تهرانی

۱۱. سیر تدوین و تطور تفسیر علمی قرآن / ناصر رفیعی محمدی
۱۲. سیمای جهاد و مجاهدان در قرآن (تفسیر سوره انفال) / علی شیروانی
۱۳. مکه در بستر تاریخ / نعمت الله صفری فروشانی
۱۴. منطق ترجمه قرآن / محمد علی رضایی اصفهانی
۱۵. منطق مقدماتی / ابوالفضل روحی

عربی

۱۶. التفسیر المیسر / سید محمد شاهدی
۱۷. التفسیر و المفسرون / سید محمد شاهدی
۱۸. التلاقح العلمی بین العلوم الشرعية / سید کاظم العداری
۱۹. الجبر و الاختیار / ت: حسین الوسطی
۲۰. دروس فی التاریخ عصر الغیبة / تعریب: نور الرحمن
۲۱. روایات سهو النبی الاکرم (ص) / قیصر التمیمی
۲۲. نقد آراء الذهبی فی کتاب التفسیر و المفسرون / قاسم البیضانی

انگلیسی

۲۳. درآمدی بر فلسفه اسلامی / عبدالرسول

تاجیکی

۲۴. این است دین اسلام / سید یونس استروشنی
۲۵. تفسیر سوره نور / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۶. زهرا (س) برترین بانوی جهان / ت: جمعی از مترجمان
۲۷. گزیده تحف العقول / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۸. گزیده شهاب الاخبار / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۹. گزیده غرر الحکم و درر الکلم / ت: عبدالحکیم کمالی

اردو

۳۰. امام حسن و امام حسین (ع) از نظر اهل سنت / سید محمد علی موسوی
۳۱. اهل بیت (ع) سفینة النجاة / غلام محمد فخر الدین نجفی
۳۲. اهل بیت (ع) کشتی نجات / محمد باقر مقدسی
۳۳. آثار و برکات نماز / رجبعلی حیدری مظفرنگری
۳۴. بررسی و تحلیل وجود جن و کارکردهای آن / سید مرتضی رضوی
۳۵. تعلیمات علوی / مؤسسه فکر اسلامی
۳۶. سنن النبی (ص) / ت: کرار حسین اظهری مبارکپورهندی
۳۷. سید رضی: زندگی و کارنامه / زاهد علی هندی
۳۸. صبح انتظار / ت: جلال حسین
۳۹. غدیرشناسی و پاسخ به شبهات / ت: قیصر حیدر حیدری
۴۰. فی رحاب العقیدة، ج۱-۳ / ت: شاه مظاهر حسین
۴۱. الگوهای فضیلت / ابراهیم امینی
۴۲. مفاهیم اعتقادی / صالح قنادی

بنگالی

۴۳. تاریخ سرگذشت حدیث / مطیع الرحمن

روسی

۴۴. داستان‌های قرآن به قلم روان / ت: محمد حسین‌اف

سنة الطبع ۱۳۸۵

فارسی

۱. احکام و مقررات شکار و صید / علی اکبر صادقی
۲. اخلاق تبلیغ در سیره رسول الله (ص) / سید مرتضی حسینی
۳. اصول تدوین ضوابط و مقررات / دفتر بهبود روش‌ها و برنامه‌ریزی سازمانی گروه قوانین و مقررات
۴. ادب اسلامی، ج۱-۲ / محمد عندلیب
۵. آشنایی با تاریخ و منابع حدیثی / علی نصیری
۶. بطن قرآن از دیدگاه شیعه و اهل سنت / سید حیدر طباطبایی
۷. پیامی به سوی ساحل (زبان تصویر ۱) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۸. حکومت دینی در اندیشه امام خمینی (ره) و ابوالاعلی مودودی / حسن علی حیی
۹. خدا و صفات خدا در مکتب امامیه و ماتریدیه / حیات الله ناطقی
۱۰. در قطار خورشید / جمعی از مؤلفان
۱۱. درآمدی بر ساختار اداری حکومت اسلامی / عبدالعلی محمدی
۱۲. رابطه قرآن و عترت از دیدگاه شیعه و اهل سنت / فدا حسین عابدی
۱۳. سیره تبلیغی پیامبر اعظم (ص) / ناصر رضایی
۱۴. شرح مولد النبی / ت: جمعی از مؤلفان
۱۵. شناخت ادیان ۲ / سید احمد محمودی
۱۶. شناخت مذاهب اسلامی، ج۱-۲ / سید احمد محمودی
۱۷. صف و ستاد در سازمان / گروه امور سازمانی دفتر بهبود روش‌ها و برنامه‌ریزی سازمانی
۱۸. قضاوت زن از دیدگاه فقه شیعه / سید محمد یعقوب موسوی
۱۹. مبانی جامعه‌شناسی / مجید کافی
۲۰. مفاهیم اخلاقی / صالح قنادی
۲۱. نقش حسابداری در توسعه اقتصادی / احمد صادقی گلدکانی، محسن بروزاده

عربی

۲۲. اسباب النزول القرآنی: تاریخ و حقائق / حسن محسن حیدر
۲۳. تاریخ الاسلام، ج۱-۳ / السید منذر الحکیم
۲۴. قواعد الاملاء / عبدالهادی الشریفی
۲۵. مصادر السنة الشریفة / السید محمد جواد الجلالی
۲۶. نظریة العرف بین الشریعة و القانون / السید نذیر الحسنی

انگلیسی

۲۷. اصول الفقه / محمد علی شمالی

تاجیکی

۲۸. تفسیر سوره فرقان / ت: جمعی از مترجمان
۲۹. دوستی در کتاب و سنت / ت: حکیم‌جان کمالی
۳۰. مودة القربی و اهل البیت / ت: الیاس قاسم

آذری

۳۱. الهیات تطبیقی: اسلام و مسیحیت / توفیق اسدوف و فضل الدین رحیم‌اف
۳۲. سیره پیشوایان / ت: منیبی حقوردی‌اف

اردو

۳۳. سرّ نماز / رجبعلی حیدری مظفرنگری
۳۴. تعلیمات نهج البلاغه / سعی و اهتمام: مؤسسه فکر اسلامی انگلستان
۳۵. جوابات مختصر سپاه صحابه / ت: سید ابو محمد نقوی
۳۶. سیری در صحیحین / ت: محمد منیرخان
۳۷. نقش فقیه در غیبت امام زمان (عج) / سید شمشاد حسین رضوی

بنگالی

۳۸. شیعه‌شناسی در تاریخ اسلام / حیدر علی بنگالی

سنة الطبع ۱۳۸۴

فارسی

۱. اهل بیت (ع) از دیدگاه اهل سنت / سید ابوالحسن باقری
۲. آموزش فارسی به فارسی (کتاب چهارم و پنجم) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۳. آموزش فارسی به فارسی (کتاب دوم و سوم) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۴. تفسیر تطبیقی آیه مودت / فدا حسین عابدی
۵. تفسیر مقدماتی قرآن کریم / محمد علی رضایی اصفهانی
۶. حقوق اهل بیت (ع) در تفاسیر اهل سنت / محمد یعقوب بشوی
۷. در جست و جوی حق / حیدر مظفری ورسی
۸. راز آفرینش اهل بیت (ع) / سید محمد علی موسوی
۹. رنگ‌ها (زبان تصویر ۲) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۰. سفیر (زبان تصویر ۶) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۱. فلسفه اخلاق / حسن معلمی
۱۲. میراث تفسیری اهل بیت (ع) / سید حسین هاشمی
۱۳. نقد احادیث مهدویت از دیدگاه اهل سنت / محمد یعقوب بشوی
۱۴. یاس‌های وحشی (زبان تصویر ۴) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی

عربی

۱۵. الاحوال الشخصیة (الطلاق) / السید محمدکاظم المصطفوی
۱۶. تحریر الاسفار للمولی صدرالدین الشیرازی، ج۱-۳ / علی الشیروانی
۱۷. دروس فی الاحکام الاسلامیة، ج۱-۲ / الشیخ عبدالکریم آل زنیف
۱۸. دروس فی الاحکام الاسلامیة، ج۱-۲ / عبدالکریم البهبهانی
۱۹. کیف نحفظ القرآن / شهریار پرهیزکار

تاجیکی

۲۰. سفارشات پیامبر اکرم (ص) به دختران و زنان / اکرم جان زیادالله
۲۱. یوسف قرآن (تفسیر سوره یوسف) / ت: امان الله بابایی

آذری

۲۲. معصومان امت اسلامی (تفسیر تطبیقی آیه تطهیر) / یعقوب اسماعیل‌زاده ۸۴

اردو

۲۳. علوم قرآنی / حسین جواد آرسته

بنگالی

۲۴. تفسیر آیات ولایت / ت: محمد سمیع الحق
۲۵. داستان‌های بحار الانوار / ت: محمد علی مرتضی

هوسایی

۲۶. وهابیت: مبانی فکری و کارنامه عملی ـ ت: یونس محمدانی

تامیلی

۲۷. عقاید ما ـ ت: محمد علم الدین

سنة الطبع ۱۳۸۳

فارسی

۱. آموزش دینی به فارسی (کتاب ششم) ـ مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۲. تمرین کتاب ششم ـ مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۳. نگرش‌های جدید در پیوند دین و فلسفه ـ سید محمد مهدی هاشمی
۴. ولایت در پرتو آیات ـ علی حسن محمدی (افغانی)

عربی

۵. الاخلاق السیاسیة فی المنهج الاسلامی ـ شهاب الدین الحسینی
۶. الاخلاق والحضارة ـ علی حسن البصری
۷. البحوث فی الحجج ـ محمد عبد الخالق کاظم
۸. دروس فی علم الاصول ـ سید محمد باقر حکیم
۹. فلسفة التربیة فی الاسلام ـ السید نادر الحسنی
۱۰. فی الاخلاق الفطریة ـ السید عبد الهادی الشریفی
۱۱. القصص القرآنی ـ سید محمد باقر حکیم
۱۲. القواعد الفقهیة ـ سید کاظم مصطفوی، سید عبد الهادی شریفی
۱۳. المعاد الجسمانی ـ شاکر عطیة الساعدی
۱۴. الموجز فی تاریخ الادب العربی ـ سید عبد الهادی شریفی

انگلیسی

۱۵. سنت و مدرنیته ـ ت: محمد شریف شجاع
۱۶. خدمات متقابل اسلام و ایران ـ ت: ابوبکر ادریس نجمی مسعودی
۱۷. رساله‌ای کوتاه در باب صفات الهی ـ محمد اسلم حقانی
۱۸. عدل الهی ـ ت: شجاع علی میرزا

اذری

۱۹. عقاید ما ـ ت: فضل الدین رحیم اف
۲۰. مهدی (امام مهدی) از دیدگاه قرآن و حدیث ـ ت: یعقوب اسماعیل زاده

اردو

۲۱. تاریخ فدک ـ ت: حیدری مظفرنگری

ترکی استانبولی

۲۲. زندگی حضرت فاطمه زهرا (س) ـ ت: محمد امین

روسی

۲۳. در جستجوی فرقه ناجیه ـ سالم ریشاتو

المانی

۲۴. بر درگاه دوست ـ ت: محمد رضا والدی

هندی

۲۵. عقاید ما ـ ت: سید قمر غازی هندی

سنة الطبع ۱۳۸۲

فارسی

۱. تفسیر تطبیقی (تفسیر از دیدگاه اهل بیت و اهل سنت) ـ یعقوب اسماعیل زاده
۲. حدیث پژوهی شیعه ـ سید علی نقی میرحسینی
۳. زنان دین گستر در تاریخ اسلام ـ طاهره روحانی
۴. شخصیت و حقوق زن در اسلام ج ۲-۳ ـ جمعی از مؤلفان
۵. شناخت دین ۱ ـ سید احمد محمودی
۶. علم الدرایة تطبیقی ـ سید رضا مؤدب
۷. مجموعه مقالات سمینار افغانستان و قانون اساسی آینده ج ۱-۲ ـ مجمع محققین و علمای افغانستان

زبان عربی

۸. حوار الحقیقة فی ضوء رؤیة التوحید لدى الفقهاء ـ حسین البداری
۹. العدالة الاجتماعیة فی الاسلام ـ سید فاضل موسوی جابری
۱۰. قبسات من سیرة القادة الهداة ج ۱-۲ ـ سید منذر حکیم
۱۱. محاضرات فی علوم القرآن ـ محمد علی تسخیری

انگلیسی

۱۲. مصحف امیرالمؤمنین ـ ت: عبد النبی احمد باقر

زبان اردو

۱۳. ادب مذهب ـ محمد یعقوب بشوی

ترکی استانبولی

۱۴. بازگشت به عصر دین ـ ت: قدری چابک

زبان بنگلایی

۱۵. آموزش دین ـ محمد زین العابدین بوبی

سنة الطبع ۱۳۸۱

فارسی

۱. آزادی اراده انسان در کلام اسلامی ـ طاهره روحانی، حلیمه حسینی
۲. روش ادبیات ـ حسین مهدوی
۳. رویارویی تمدن اسلامی و مدرنیته ـ سید محمد عارف حسینی
۴. علوم عقلی از دیدگاه مکتب شیخیه ـ سید حسین مرتضوی
۵. مفاهیم عقیدتی ـ صالح قنادی

عربی

۶. الامام علی (ع) و نشأة دولة اهل الکوفة ـ محمد العبادی
۷. الدولة الاسلامیة من التوحید الى المدنیة ـ عزیز جابری
۸. علم الکلام المعاصر ـ حیدر حب الله
۹. الفقه المقارن ـ سید کاظم مصطفوی

سنة الطبع ۱۳۷۶_۱۳۸۰

فارسی

۱. آموزش منطق ـ خسروپناه ۸۰
۲. علوم قرآنی ـ محمد جواد اسکندرلو ۸۰
۳. آموزش کلام اسلامی ۲ ـ محمد سعیدی مهر ۷۸
۴. جغرافیای سیاسی جهان اسلام ـ عزت الله عزتی ۷۸
۵. سیره اهل بیت (ع) ـ عبدالرحمن عبدالخالق ۷۸
۶. علم حدیث و درایه ـ نوروزشاه میرحسن ۷۸
۷. مبانی مطالعات سیاسی ـ اجتماعی ج ۱-۲ ـ محمدرضا حافظیان ۷۸
۸. مفهوم دین در قرآن کریم ـ مؤسسه معارف اسلامی ۷۷
۹. درآمدی بر علم تربیتی اسلام ـ محمد علی حاجی ده آبادی ۷۷
۱۰. شرح منظومه بر قصیده فرزدق ـ جوهری ستروشنی، سید رحمن؛ تحقیق و تعلیق ملا معروف حسن شروشنی ۷۷

زبان عربی

۱۱. آداب التلاوة و التجوید ـ محمد غلامی ۷۸
۱۲. بدایة البلاغة ـ سید یونس استروشنی ۷۸
۱۳. تاریخ الادب العربی ـ عبد الهادی شریفی ۷۸
۱۴. موجز الادب العربی و تاریخه ـ محمد علی آذرشب ۷۸
۱۵. فضائل القرآن ـ محمد غلامی ۷۶

زبان تاجیکی

۱۶. احکام روزه ـ کمیته فرهنگی بعثت اسلامی تاجیکستان ۷۷
۱۷. احکام زکات ـ کمیته فرهنگی بعثت اسلامی تاجیکستان ۷۷
۱۸. احکام نکاح و طلاق ـ کمیته فرهنگی بعثت اسلامی تاجیکستان ۷۷
۱۹. آموزش نماز ـ کمیته فرهنگی بعثت اسلامی تاجیکستان ۷۷
۲۰. چهره اسلام و کردار ما ـ کمیته فرهنگی بعثت اسلامی تاجیکستان ۷۷
۲۱. چهل حدیث ـ کمیته فرهنگی بعثت اسلامی تاجیکستان ۷۷
۲۲. نگاهی به زندگی پیامبر (ص) ـ کمیته فرهنگی بعثت اسلامی تاجیکستان ۷۷